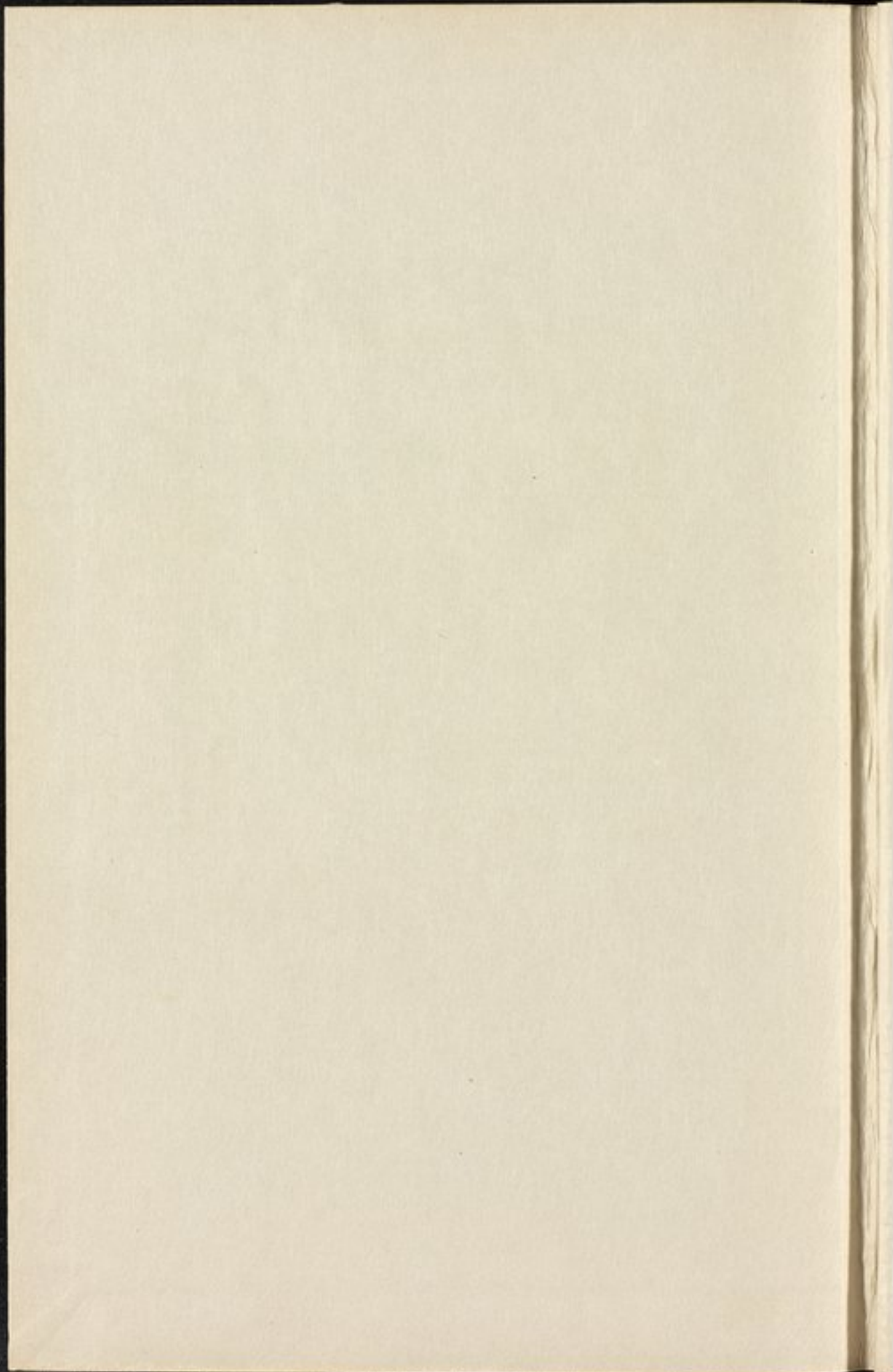
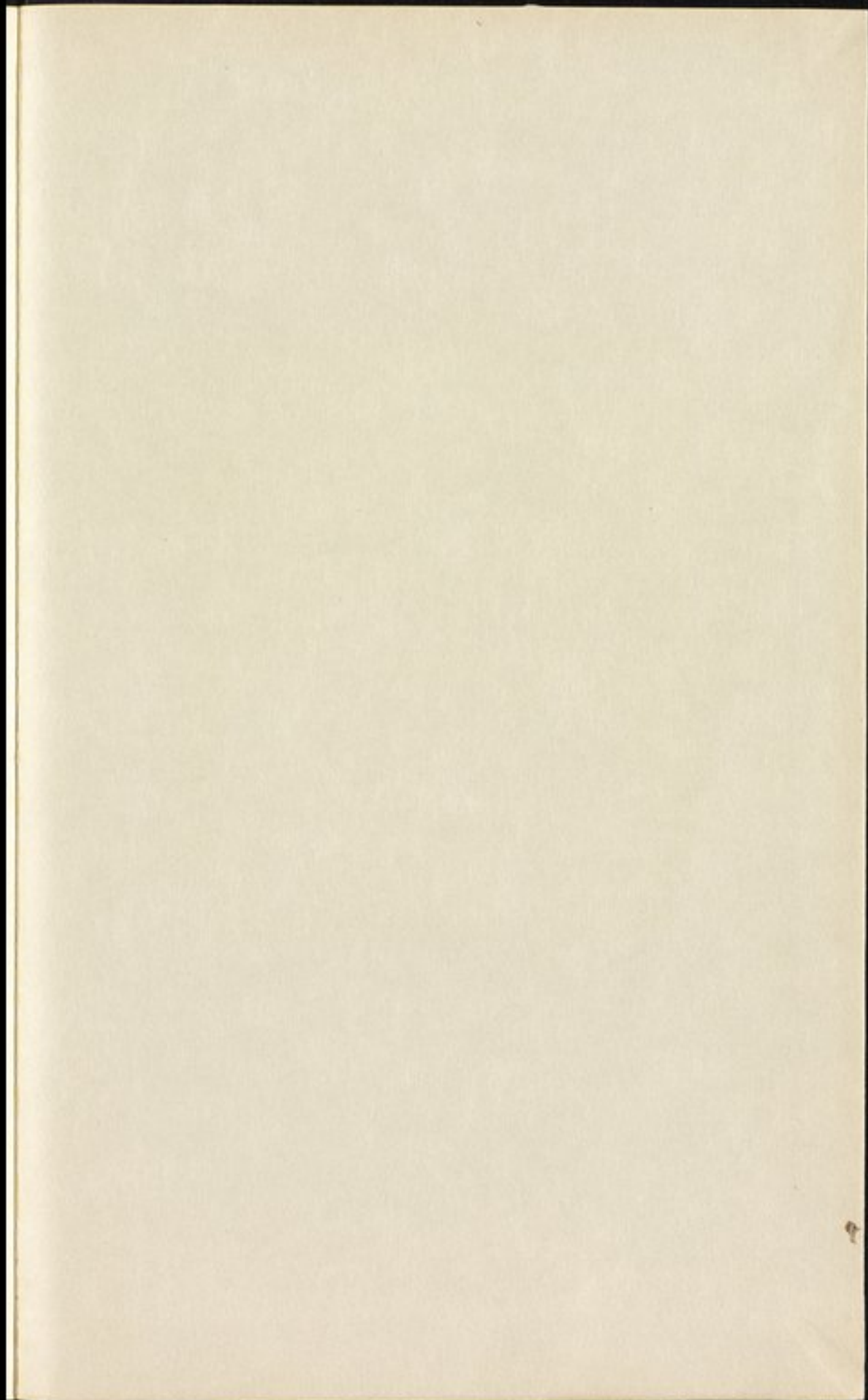


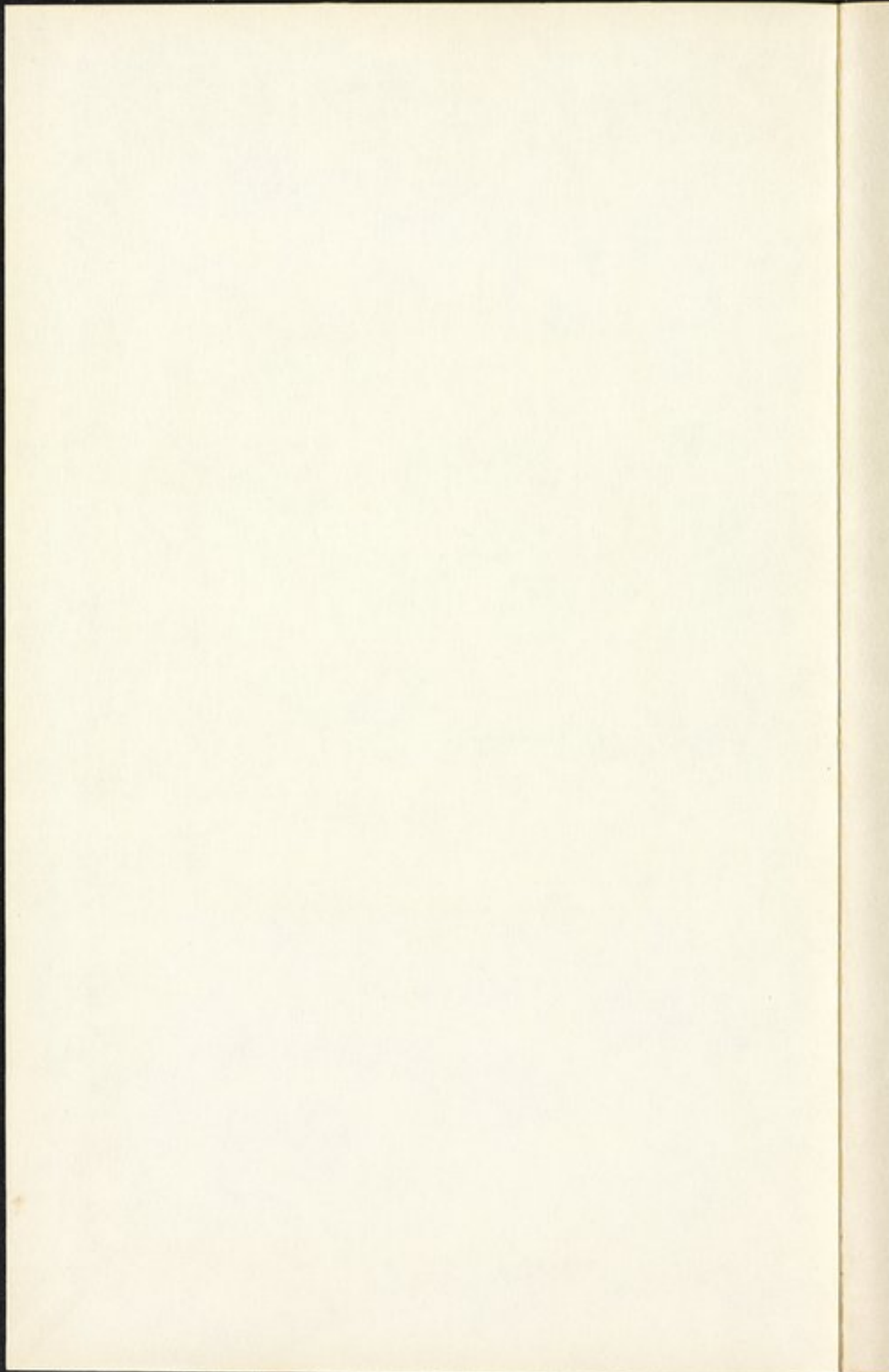
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

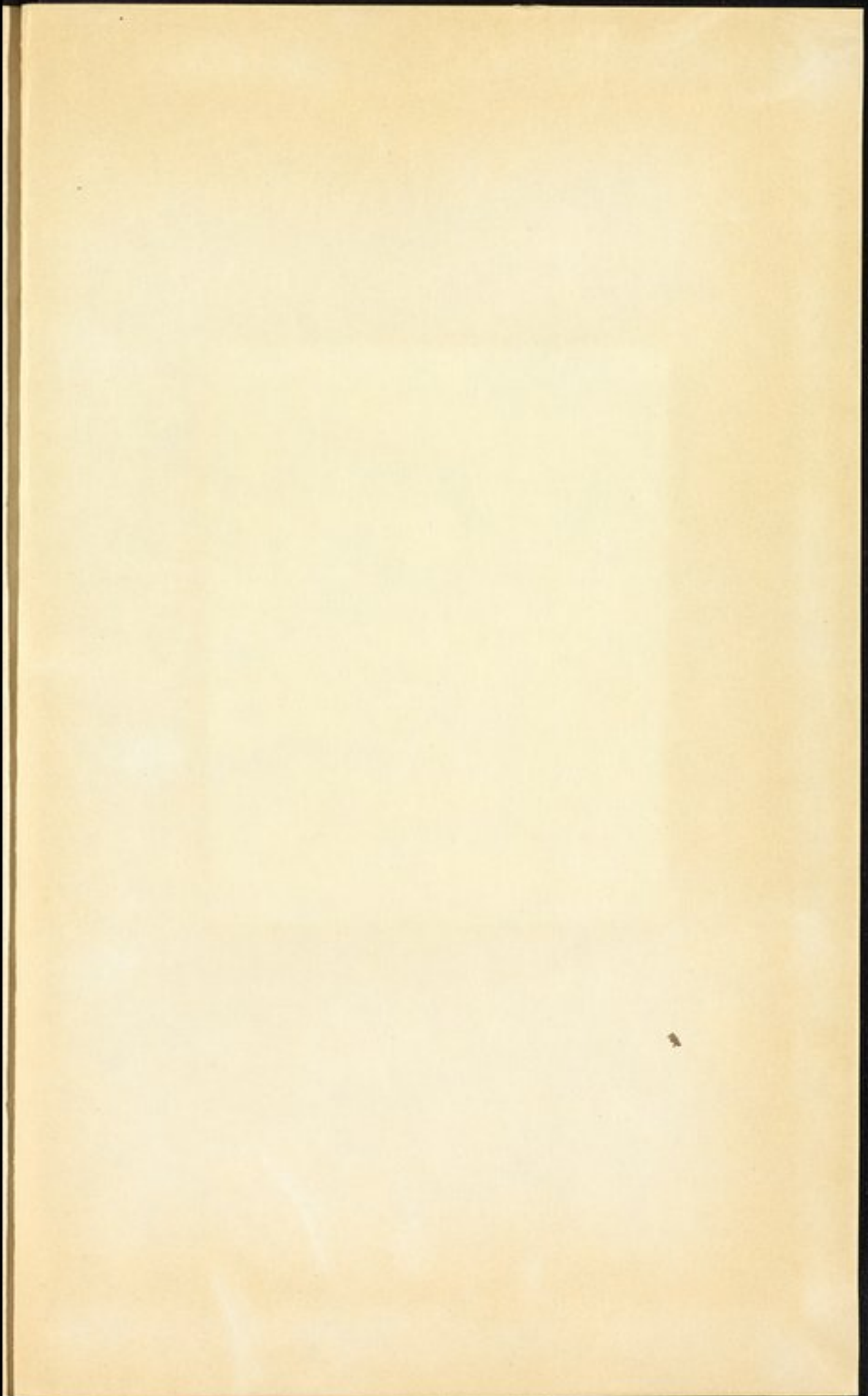


GENERAL LIBRARY









الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقما

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

~~964
SL17~~

DT
314
.S252
v. 3

V. 3

58647T

الدولة المرينية

الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب

وذكر أوليتهم وأصلهم

اعلم أن العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة الى طبقتين ، الطبقة الاولى هي التي كان منها مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وقد تقدم الكلام على دولتهم مستوفى ، والطبقة الثانية هي التي كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الاقصى ، وهؤلاء هم الذين تعلق الغرض الان بذكرهم .

فاعلم أن جيل زناتة في المغرب كما قال الرئيس المذكور جيل قديم معروف العين والاثر وهم لهذا العهد ماخذون من شعار العرب في سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب في الارض وايلاف الرحلتين وتحطف الناس من العمران والاباية من الانقياد الى النصفة ، وشعارهم من بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ، ومواطنهم في سائر مواطن البربر بأفريقية والمغرب

فمنهم بلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد ، وأذعنوا لحكمهم ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم آخر ، وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواغن بمجالات القفر من فيجيج الى سجلماسة الى ملوية ، وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمد بن ورزير بن

فكوس بن كرماط بن مرين ، ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبى الجيل
وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة
وعسكر وخمسة أبناء علات ، وكان يقال لهم بلسان زناتة ثيربعين ومعناه
الجماعة

ويزعمون أن محمد بن ورزيز لما هلك قام بأمره فى قومه ابنه حمامة بن
محمد وكان الاكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده
ابنه المخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسمائة فى بعض الحروب (*)
التي كانت بين عبد المومن والمرابطين

ثم قام بأمر بنى مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمامة بن محمد
الى أن هلك فقام بأمرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبى بكر ولم يزل مطاعا فيهم
الى أن استنفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الارك بالاندلس فشهدوها وأبلوا
فيها البلاء الحسن ، وأصاب محيو بن أبى بكر يومئذ جراحات هلك منها
بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق
ابنه من بعده وبقائها فى عقبه ما نذكره ان شاء الله .

الخبر عن دخول بنى مرين أرض المغرب الاقصى

واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك

كان السبب فى دخول بنى مرين لهذا القطر المغربى أنه لما كانت وقعة
العقاب بالاندلس سنة تسع وستمائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية
المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب ذلك الوباء العظيم
الذى تحيف الناس الاقليلا وهلك الناصر سنة عشر بعدها فبايع الموحدون ابنه
يوسف المنتصر وهو يومئذ صبى حدث لا يحسن التدبير ، وشغلته مع ذلك
أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بأمر الرعية فتضافرت هذه الاسباب على
الدولة الموحدية فأضعفتها لحينها وأمراضها المرض الذى كان سببا لحينها ،

(*) انظر هذه الحروب فى الذخيرة السنية صفحة ١٨ وما بعدها طبع الجزائر

وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة ،
يتنقلون في تلك القفار والصحارى لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تتالهم
الدولة بهزيمة ولا يؤدون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا
حرثا انما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد
وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوه زمان الربيع والصيف
فيكتالون من أطراف البلاد ما يحتاجون اليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة
أنعامهم وشاءهم حتى اذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم باكر سيف ثم شدوا
الرحلة الى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين

فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى
اذا أطلوا على المغرب من تناياه ألقوه قد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله
وفئت حماته وأبطاله وعريت من أهله أو طانه وخف منها سكانه وقطانه
ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكفاف
فسبحة المزارع متوفرة العشب لقلة راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها
فأقاموا بمكانهم وبعثوا الى اخوانهم فأخبروهم بحال البلاد وما هي عليه من
الخصب والامن وعدم المحامى والمدافع ، فافتنموا الفرصة وأقبلوا مسرعين
بنجعهم وحللهم وانتشروا في نواحي المغرب وأوجفوا عليها بخيلهم وركابهم
واكسحوا بالغارات والنهب بسيطها ولجأت الرعايا الى حصونها ومعقلها وتم
لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله وانتجاع مواقع طله ووبله.



الخبر عن رياسة الامير ابى محمد عبد الحق بن محيو المرينى

رحمه الله



لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن
أبى بكر بن حمامة بن محمد المرينى ، فكثر عيئهم وضررهم بالمغرب وأعزل
داؤهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة
بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهز لهم جيشا

كيفا من عشرين ألفا وعقد عليه لابي علي بن وانودين وكتب له الى صاحب فاس السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن يأمره بالخروج معه لغزو بني مرين والاثخان فيهم وعدم الابقاء عليهم مهما قدر علي ذلك

واتممل الخبر ببني مرين وهم في جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أنقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف وصدوا الى الموحديين فالتقى الجمعان بوادي نكور (*) فكان الظهور لبني مرين على الموحديين فهزموهم وقتلوهم وامتلأت الايدي من أسلابهم وأمتعتهم ورجع الموحدون الى فاس يخلصون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ واعتماد الفدن بالزرع وأصناف الباقلي فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعلة وهي سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ثم زحف الامير عبد الحق في ذي الحجة من السنة المذكورة بجموع بني مرين الى رباط تازة (*) حتى وقف بازاء زيتونها فخرج عاملها لحره في جيش كفيف من الموحديين والعرب والحشد من قبائل تسول ومكاسة وغيرهم فقتلت بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه

وجمع عبد الحق الاسلاب والخيل والسلاح وقسم ذلك كله في قبائل بني مرين ، ولم يمك منها لنفسه شيئا وقال لبنيه : اياكم أن تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم منها التناء والظهور على أعدائكم



(*) وتمت المعركة بحفص الوادي ما بين رباط تازا والمقرمداة (الذخيرة السنية ص ٢٧ طبع الجزائر)

(*) راجع الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية صفحة ٣١ طبع الجزائر

حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق

رحمه الله

لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحديين حصل في نفوس بنى عسكر ابن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم وضافت صدورهم من استقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم ، فخالفوا الامير عبد الحق وعشيرته التي مظاهرة الموحديين وأوليائهم من عرب رياح ، وكانت رياح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقواهم شوكة وأكثرهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالجز والباوة ، فأغراهم الموحدون يومئذ بنى مرين لينتصفوا لهم منهم واتفقت كلمتهم عليهم وسمعت بنو مرين بأقبال العرب والموحديين وبنى عسكر اليهم ، فاجتمعوا الى أميرهم عبد الحق فقالوا له : ما ترى في أمر هؤلاء العرب المقبلين إلينا ؟ فقال : يا معشر مرين أما مادمتم في أمركم مجتمعين ، وفي آرائكم متفقين وكنتم على حرب عدوكم أعوانا وفي ذات الله أخوانا ، فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلفت أهواؤكم وتشتت آراؤكم ظفر بكم عدوكم فقالوا له : «انا نجد ذلك الان بيعة على السمع والطاعة وأن لا نختلف عليك ولانفر عنك أو نموت دونك فانفض بنا اليهم على بركة الله ، فنهض الامير عبد الحق في جموع بنى مرين فكان اللقاء بمقربة من وادي سبو على أميال من تافرطاست فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها وقتل فيها الامير عبد الحق وكبير أولاده ادريس

ولما رأت بنو مرين ما وقع بأميرها وابنه حميت وغضبت وأقسمت بايمانها أن لا يدفن حتى يأخذوا بثاره فصمموا العزم لقتال رياح واستأنفوا انجد لقراعهم ، وصبروا صبورا جميلا فنصرهم الله على عدوهم فهزموا رياحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وشردوهم في الشعاب والوادية ورؤوس الهضاب ، واحتوا على ما كان في محلثهم من السلاح والخيل والاثاث ، وقام بأمر بنى مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان على ما نذكره ان شاء الله

بقية اخبار الامير عبد الحق وسيرته

قالوا كان الامير عبد الحق المريني مشهورا في قومه بالتقى والفضل والدين ، موسوما بالصلاح وصحة اليقين معروفا بالورع والعفاف ، موصوفا في سيرته بالعدل والانصاف يطعم الطعام ويكفل الايتام ويؤثر المساكين ، ويحنو على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفة وكانت قلنسوته وسراويله يتبرك بهما في جميع احياء زناته ، وكانوا يحملون فضة وضوئه فيستشفون بها لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائما طول عمره في الحر والبرد لا يرى مفطرا الا في ايام الاعياد ، كثير الذكر والاوراد لا يفتقر عنها في سائر الحالات متحريرا لاكل الحلال لا يقتات الا من لحوم ابله والبانها او ما يعاينه من الصيد ، معظما في بني مريين مطاعا فيهم يقفون عند امره ولا يصدرون الا عن رأيه

حكى ابن ابي زرع عن حدثه من الثقات انه قدم على امير المسلمين يعقوب بن عبد الحق في وفد من اعيان فاس وفقهائها وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة والامير يعقوب يومئذ برباط الفتح يريد العبور الى الاندلس برسم الجهاد قال : فجرى في مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق فقال الامير يعقوب « كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قال فعل واذا عاهد وفي لم يحلف بالله قط بارا ولا حائنا ولم يشرب مسكرا قط ، ولا ارتكب فاحشة ، تضع الحوامل ببركة ازاره متى عسرت عليهن الولادة وكان يسرد الصوم ويقوم أكثر الليل واذا سمع بخبر صالح او عابد قصد لزيارته ، واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضعا لهم ، وكان مع ذلك سما لاعدائه فاهرا لهم وما وجدنا الا ببركة وبركة من دعا له من اصالحين » .

قالوا : وكان الامير عبد الحق في ابتداء امره قليل الاولاد فرأى ذات ليلة في منامه كان شملا اربعا من نار خرجن منه فملون في جو المغرب ثم احتوين على

جميع أقطاره ، فكان تأويلها تملك بنيه الأربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التي
 رآها عبد الملك بن مروان من بونه في المحراب أربع مرات فكان تأويلها أن
 ولي الخلافة أربعة من بنيه الوليد وسليمان ويزيد وهشلم
 وكان للإمير عبد الحق تسعة من الولد : ادريس وهو أكبرهم وقتل معه
 في حرب رباح وعثمان ومحمد وأبوبكر ويعقوب وهؤلاء الأربعة هم الذين
 ولوا الأمر بعده ، وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحو وزيان وأبو
 عباد وبنت هي العاشرة والله أعلم

الخبر عن رياسة الإمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله

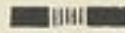
لما فرغ بنو مرين من حرب رباح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى الامير
 أبي سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بنى أبيه بعد ادريس فعزوه بمصاب
 أبيه وأخيه وبايعوه عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلمتهم ولما فرغ الامير أبو
 سعيد من تجهيز أبيه وأخيه ودفنهما أقسم أن لا يرجع عن حرب رباح حتى ينأى
 بمائة شيخ منهم فسار اليهم وأتخن فيهم حتى شفا نفسه وأذعنوا الى الطاعة
 ولاذوا بالسلم ، فسالمهم على اتاوة يؤدونها اليه كل سنة

ثم ضعفت شوكة الموحدين وتداعى أمرهم الى الاختلال وأشرف ملكهم
 على ربهوة الاضمحلال وتقلص ظل حكاهم عن البدو جملة وفسدت السابلة
 واختلط المرعى بالهمل

فلما رأى الامير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدين من الضعف وما نزل
 برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وندبهم الى القيام بأمر
 الدين والنظر فى مصالح المسلمين فأسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته ،
 فسار بهم أبو سعيد فى نواحي المغرب يتقرى مسالكة وشعوبه ويتبع تلولة
 ودروبه ويدعو الناس الى طاعته والدخول فى عهده وحمايته ، فمن أجابه
 منهم آمنه ووضع عليه قدرا معلوما من الخراج ، ومن أبى عليه نابذه وأوقع
 به قبائل المغرب هوارة وزكارة ثم تسول ومكاسمة ثم بطوية وشمالة
 ثم سدراتة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال ، ثم

فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كنامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم
 ثم لما كانت سنة عشرين وستمائة غزا بلاد فازاز ومن بها من ظواعن زناة
 فأتخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذابة الناس بالغازات
 والنهب في الطرقات

ثم في سنة احدى وعشرين بعدها غزا عرب رياح أهل أزغار وبلاد الهبط
 فأتخن فيهم حتى كاد يأتي عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويخ بلاد المغرب
 وأقطاره حتى هلك باغتيال عالج له كان رباة صغيرا ، فشب وسول له الشيطان
 الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة في منحره فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين
 وكان ذا نحدة وشجاعة وعزم وكرم وإثار مكرما للفقهاء وأهل الصلاح
 سالكا في ذلك سنن أبيه رحمه الله



الخبر عن رياسة الامير ابى معروف محمد بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك الامير أبو سعيد قام بالامر بعده أخوه أبو معرف محمد بن عبد
 الحق ، فافتضى سنن أخيه في تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره
 وجباية المغارم من باديته ، وبعث الرشيد بن المأمون صاحب مراکش قائده أبا
 محمد بن وانودين لحرب بنى مرين وعقد له على مكناسة فأجحف بأهلها في
 المغارم ، ثم نزل بنومرين في بعض الاحيان بنواحيها وأجلبوا عليها فنادى أبو
 محمد في عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من
 الجانبين ، وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من قواد الفرنج
 فاختلفا ضربتين هلك العالج باحدهما وجرح محمد بالآخرى فاندمل جرحه
 وصار أترا في وجهه لقب من أجله بأبى ضربة ، ثم شد بنو مرين على
 الموحدين فانكشفوا ورجع بن وانودين الى مكناسة مفلولا
 وبقي بنو عبد المومن من أثناء ذلك في مرض من الايام وتناقل عن الحماية
 ثم أومضت دولتهم ايماضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة

أربعين وستمائة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعه أهل المغرب انصرفت
عزائمه الى غزو بني مرين ، وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تملك المواطن
فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الفرنج
فنهضو سنة اثنتين وأربعين وستمائة في جيش كيف يناهز عشرين ألفا ،
فسمع الامير أبو معرف بأقبالهم فاستعد لقتالهم وزحف اليهم فكان اللقاء بموضع
يعرف بصخرة أبي بياش من أحواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة وصبر
الفريقان ، ولما كان عشى النهار قتل الامير أبو معرف بن عبد الحق في الجولة بيد
زعيم من زعماء الفرنج تحاملا فعثر فرس أبي معرف به ، وأمكنت العليق فيه
انفرصة فاغتنمها وطعنه فمات ، فانهزمت بنو مرين وتبعهم الموحدون فاتخذوا
الليل جملا وأسروا طول ليلتهم بحللمهم وعيالاتهم وأموالهم فأصبحوا بجبال
غياثة من نواحي تازا فاعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا
عليهم أبا بكر بن عبد الحق على ما تذكره ، وكانت هذه الوقعة وهلاك الامير
أبي معرف عشية يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين
وستمائة

الخبر عن دولة الامير أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله

هذا الامير هو الذى رفع من راية بنى مرين وبسما بها الى مرتبة الملك
وكنيه أبو يحيى وهو أول من جند الجنود منهم ، وضرب الطبول ونشر
البنود وملك الحصون والبلاد واكسب الطارف والتلاد . بايعه بنو مرين
بعد مهلك أخيه أبي معرف فى التاريخ المتقدم فكان أول ما ذهب اليه ورآه
من النظر لقومه : أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل
كلا منهم بناحية منه سوغهم اياها سائر الايام طعمة لهم وأمر كل واحد من
أشياخ بنى مرين أن يتركب الرجل ويستلحق الاتباع فحسنت حالهم
وكرت غاشيتهم وتوفرت جموعهم

استيلاء الامير أبي بكر على مكناسة

وبيعة أهلها لابن أبي حفص بواسطته



ثم سار الامير أبو بكر بمنحله فنزل جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبي زكرياء بن أبي حفص صاحب افريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفي ولايته ، وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات الى أن أذعنوا لطاعته ، فافتحها صلحا بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبي الحسن ابن أبي العافية وبعثوا ببيعتهم الى الامير أبي زكرياء الحفصي ، وكانت البيعة من انشاء أبي المطرف بن عميرة المخزومي وكان من أعلام ذلك العصر ومشاهيره ، ولي القضاء لبني عبد المومن بمدينة سلا ، ثم استقضوه بعدها بمكناسة فشهد هذه القضية وكتب البيعة

ولما فتح الامير أبو بكر مكناسة أقطع أخاه يعقوب ثلث جبايتها جزاء له على واسطته وكان فتح مكناسة سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ثم آانس الامير أبو بكر من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الالة لذلك وسما بنفسه الى مرتبة الملك وأعد له عدته وانتهى الخبر الى السعيد صاحب مراكش بتغلب الامير أبي بكر على مكناسة وصرفها لابن أبي حفص فوجم لها وفاوض الملا من أهل دولته في أمره وأراهم كيف اقتطع الأمر عنهم شيئا فشيئا حتى لم يبق بيدهم الا قرارة مراكش وما حولها بعد امتداد ظل ملكهم على المغربين وافريقية والاندلس

ثم نهض السعيد من مراكش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبني مرين أولا ، ثم تلمسان ويغمراسن بن زيان ثانيا ثم افريقية وابن أبي حفص آخرها

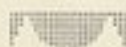
ولما وصل الى وادي بهت عرض جيوشه وميزها واتصل الخبر بالامير أبي بكر وهو بمكناسة فخرج وحده ليلا يتجسس الاخبار ويستطلع أحوال السعيد وجموعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كتب ولا علم لاحد به

فراى مالا طاقة له به ورأى من الرأى أن يتخلى للسعيد عن البلاد ولا يناجزه الحرب فلحق بمكناسة واستدعى بنى مرين من أماكنهم التى عين لهم ، فلاحقوا به وساروا الى قلعة تازوطا من بلاد الريف فتحصنوا بها

وتقدم السعيد الى مكناسة فلقاه أهلها خاضعين مستشفعين اليه بشيوخهم وصبيانهم فعفا عنهم ، ثم سار الى فاس فنزل بظاھرھا من ناحية القبلة وخرج اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فتكرم عنهم وأبى ، ثم ارتحل الى رباط تازا فنزل بظاھرھا وهناك بعث اليه الامير أبوبكر بيته قبلها وكتب له ولقومه بالامان وكان فيما خاطبه به الامير أبوبكر أن قال له : «ارجع يا أمير المؤمنين الى حضرتك وأنا أكفيك أمر يفراسن وأفتح لك تلمسان» فشاور السعيد خاصته فى ذلك فقالوا : « لا تفعل يا أمير المؤمنين فان الزناتى أخو الزناتى لا يسلمه ولا يخذله وأنا نخاف أن يصطلحا على حربك» فأسمعهم وكتب الى الامير أبوبكر يقول له : «أقم بموضعك وابعث الى بحصة من قومك» فأمده بخمسمائة من بنى مرين وعقد عليها لابن عمه أبى عياد بن أبى يحيى ابن حمامة

وتقدم السعيد الى تلمسان فكان من هلاكه على قلعة تامزردكت ما قدمناه فى أخبار دولته ، وكان الامير أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذلك الحصن يومئذ هم بنو وطاس بطن من بنى مرين أجمعوا الفتك به غيره ونفاسة عليه فدس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما تواطوا عليه من غدره فارتحل الامير أبو بكر عنهم الى بنى يزناسن وكانوا نازلين يومئذ بعين الصفا فأقام هناك معهم حتى رجعت اليه الحصنة التى كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله وافتراق جموعه فاتتهز الامير أبو بكر الفرصة فى فل الموحدين واعترضهم بأكرسيف فاستلبهم وانتزع الالة من أيديهم وأدار اليه كنية الفرنج والناشبة من الاعزاز ، واتخذ المركب الملوكى ، يومئذ تم أعذ السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها وأقام بها أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فافتتحها ودوخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة ست وأربعين وستمائة

استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له



لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزاعها من يد بنى عبد المومن وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بنى عبد المومن فأناخ عليها الامير أبو بكر بخيله ورجله وتلطف فى مداخلة أهلها وضمن لهم جميل انظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم ، فأجابوه ووثقوا بمهده وغنايه وأووا الى ظله وركتوا الى طاعته وانتحال الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بنى عبد المومن يأسا من صريخهم فبايعوه بالرابطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد الفشتالى ونشده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وسلوك طريق العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التى يتعرف أثرها خلفهم فى تلك البيعة

ودخل الامير أبو بكر مدينة فاس زوال يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ست واربعين وستمائة بعد موت السعيد صاحب مراکش بشهرين ، ولما دخل الامير أبو بكر قصبه فاس أمن السيد أبا العباس عامل الموحدين بها وأخرجه من القصبه بعياله وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يلبغونه الى مأمته فأجازوه وادى أم الربيع ورجعوا .

ثم نهض الامير أبو بكر الى منازلة تازا وبها يومئذ السيد أبو على بن محمد أخو أبى دبوس فنازلها أربعة أشهر حتى نزلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وسد نفورها وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحق رباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة واستقامت له الامور ، وقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول فى البساط وعماره القرى والمداشر وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وصلاح أمر الناس واغتبطوا بولايته

انتقاض أهل فاس على الامير أبي بكر ومحاصرته اياهم

لما استولى الامير أبو بكر على المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرنا نهض في ربيع الاول سنة سبع وأربعين وستمائة الى معدن العوام من بلاد فازاز لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستخلف عنى فاس مولاة السمود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وكان الامير أبو بكر لما فتح فاسا استبقى من كان فيها من عسكر بني عبد المومن من غير نسبهم على الوجه الذي كانوا عليه من الخدمة مع الموحدين ، وكان من جملتهم طائفة من النصرى نحو المائتين ، وعليهم قائد منهم يقال له شريد الفرنجى فكانوا من حصة السمود هنالك ، فوقعت بينهم وبين شيعة الموحدين من أهل فاس مداخلة وعزم الفاسيون على الفتك بالسمود وتحويل الدعوة الى المرتضى فاجتمعوا الى القاضى أبى عبد الرحمن المغلبى وفاوضوه فى ذلك فوافقهم على رأيهم ، فاستدعوا شريدا وقالوا له : «تقتل هذا الاسود وتضبط البلد حتى نكتب الى المرتضى فيعت الينا من يقوم بأمرنا» فأجابهم الى ذلك وكان ميله الى الموحدين وهواه معهم لكونه صنيعتهم وكان الذى مشى فى هذه الثورة وتولى كبرها المشرف ولد القاضى المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبى طاط وولده فلما كانت صبيحة الثلاثاء الموفى عشرين من شوال سنة سبع واربعين وستمائة طلع الاشياخ المذكورون الى القصبه للسلام على السمود على عادتهم فى ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه ببعض المحاورات فغضب واتهرهم فوثبوا به ونادوا بشعارهم وكان شريد الفرنجى واقفا فى عسكره أمام القصبه قد واطأهم على ذلك فافتحم على السمود فقتله وقتل معه أربعين من رجاله واحتز العامة رأسه ورفعوه على عصا وطاقفوا به فى أسواق البلد وسككها وافتحموا القصر فانتهبوه وسبوا الحرم ونصبوا النصرانى لضبط البلد وبشوا بيعتهم الى المرتضى صاحب مراكش واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو منازل بلاد فازاز فافرج عنها وأغذ السير الى فاس فاناخ عليها بساكره وشمر لحصارها وقطع المادة عنها .

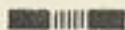
وبعث أهل فاس الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم
ضرا ولا نفعا ولا وجد لكشف ما نزل بهم حيلة ولا وجها ، سوى أنه
استجاش على الامير أبى بكر يغمراسن ابن زيان صاحب تلمسان وأمله
لكشف هذه النازلة عن انجاش الى طاعته فأجابه يغمراسن الى ذلك وطمع
ان يكون ذلك سببا له فى تملك المغرب وسلما للصعود الى ذروة ملكه فاحتشد
لحركه ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير ابى بكر عن فاس وأهلها .
واتصل بالامير أبى بكر خبر نهوضه اليه لتسعة أشهر من منازلته فاسا ،
فجمر الكتاب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده فلقبه بسوادى
ايسلى من يسيط وجدة فتراجف القوم وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد
الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بنى عبد الواد

ثم انكشفت بنو عبد الواد ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان بـراس
طمرة ولجام وترك محلته بما فيها فاحتوى عليها الامير أبو بكر وانكفا راجعا
الى فاس للاخذ بمخنفها فوصل اليها فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين
وستمائة وأناخ عليها بكللكه واستأنف الجد وأرهف الحد وشد فى الحصار
وأيس أهل فاس من اغانة المرتضى وسقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ولم
يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة بنى مرين . فسألوا الامير أبا بكر الامن
فبذله لهم على غرم ما أتلفوا له بالقصر من المال يوم الثورة وقدره مائة
ألف دينار فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها فى الثالث والعشرين من
الشهر المذكور فأقام بها الى رجب الموالى له وطالبهم بالمال فسوفوه وتلوا فى
المقال

فلما رأى ذلك منهم قبض على جماعة من أشياخها وأمنائها وأنقلهم
بالحديد وطالبهم بالمال والاثاث الذى انتهوه من القصر فقال له شيخ يعرف
بأبن الحبا : «انما فعل الذنب مناساة فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ ولو فعل
الامير ما أشير به عليه لكان صوابا من الرأى » فقال : « وما ذلك؟ » قال : « تعمد
الى هؤلاء نفر الستة الذين سعوا فى الفتنة فتأخذ رؤوسهم وتشرذ بهم من
خلفهم ثم تأخذنا نحن بفرم المال » فقال : « لعمرى لقد أصبت »

والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين الجلاب فاقتل مصاف الموحدين
وانهزمت عساكر المرتضى وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مفلولا ، واستولى
بنو مرين على معسكره واستباحوا سرادقه واتهبوا فساطيطه وغنموا جميع
ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر ، وامتلأت
أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده ، وفي
القرطاس أن انهزام جيش المرتضى في هذه المرة كان عن جولان فرس بين
أخيبتهم ليلا فحسبوا أن بنى مرين قد أغاروا عليهم فانهزموا لا يلوون على شيء
والله أعلم .

ثم غزا الامير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح حاميتها من بنى جابر
عرب جيشه واستلحم أبطالهم والان من حدهم وخضد من شوكتهم وفي خلال
هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير
أبى بكر شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوئب على الامر فذس لابنه أبى
حديد مفتاح ابن أبى بكر بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين
وستمائة والله تعالى أعلم

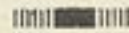


استيلاء الامير ابى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة



لما كانت سنة خمس وخمسين وستمائة نهض الامير أبو بكر الى محاربة
يفمراسن بن زيان وسمع به يفمراسن فنهض اليه أيضا ، فكان اللقاء بأبى سنيط
فاقتلوا وانهزم يفمراسن واعتزم الامير أبو بكر على اتباعه فثناه عن رايه فى
ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لمهد تأكد بينه وبين يفمراسن فرجع
ولما انتهى الى المقرمدة من أحواز فاس بلغه أن يفمراسن قصد سجلماسة
ودرعة لمداخلة كانت له من بعض أهلها وعورة أطمعته فى ملكها فأسرع
الامير أبو بكر السير بجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يفمراسن
اليها بيوم ، ثم جاء يفمراسن حتى نزل خارجها بباب تاحسنت وسقط فى يده

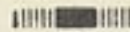
ويش من غلبة الامير ابي بكر عليها ودارت بينهما حرب تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق بن أخي الامير ابي بكر ، وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير ابو بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على النجاية عبد السلام الاوربي وجعل مسلحة الجند بها لنظر ابي يحيى القطراني وملكه قيادتهم وانكفا راجعا الى فاس والله تعالى أعلم .



وفاة الامير ابي بكر رحمه الله



لما رجع الامير ابو بكر من حرب يغمراسن على سجلماسة اقام بفاس أياما ثم نهض الى سجلماسة أيضا متفقا لثغورها فانقلب منها عيلا ووصل الى فاس فتوفى بقصره من قصبتها أواسط رجب سنة ست وخمسين وستمائة ودفن داخل باب الجيزين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ ابي محمد الفشتالي حسبما أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما تذكره



الخبر عن دولة ابي حفص الامير عمر بن ابي بكر بن عبد الحق رحمه الله



لما مات الامير ابو بكر رحمه الله اشتمل العامة من بني مرين على ابنه ابي حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامر وتباروا في خدمته ، ومالت المشيخة وأهل القدر والحل الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عند مهلك أخيه بتازا فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر ، وأحسن عمر بميل الناس الى عمه يعقوب فقلق لذلك وأغراه أتباعه بالفتك بعمه فاعتصم بالقصبة ، ثم سعى الناس في الاصلاح بينهما فتفادى يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على أن تكون له بلاد تازا وبطوية وملوية التي كان أقطعه اياها أخوه من قبل ، فانفصلوا على ذلك وخلص الامر لعمر واستمر بفاس أشهراً الى أن غلب عليه عمه المذكور حسبما نقص عليك .

الحبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

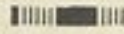


هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بنى مرين على الاطلاق
وستسمع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف
وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بنى عبد الحق وكانت
أمه واسمها أم اليمن بنت علي البطوي رأت وهي بكر كأن القمر خرج من
قبلها حتى صعد الى السماء وأشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على أبيها
فسار الى الشيخ الصالح أبي عثمان الوريكلي فقصها عليه فقال ان صدقت
رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبد الحق
عن ابن أخيه عمر بولاية تازا وما أضيف اليها اجتمع اليه كافة بنى مرين
وعذلوه فيما كان منه من التخلي عن الملك وحملوه على العود فى الامر
ووعده من أنفسهم المظاهرة والنصر الى أن يتم أمره فأجاب وبايعوه وصعد
الى فاس فبرز الامير عمر للقائه

ولما تراهى الجمعان خذل عمر جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مفلولا
ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر ، فأجابه الى ذلك
ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة ونفذت
كلمته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سجلماسة وقصر كامة
واقصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه
لنحو سنة من امارته فكفى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنازع
والشقاق عن ملكه

وكان يغمراسن بن زيان لما سمع بموت قرنه الامير أبى بكر سماله أمل
فى الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بنى عبد الواد واستظهر بنى
توجين ومغراوة ووعدهم ومناهم وأطمعهم فى غيل الاسد ، ثم نهض بهم الى
المغرب حتى اذا انتهوا الى كلدمان صمد اليهم الامير يعقوب فقلهم وردهم على
أعقابهم ومر يغمراسن فى طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فأحرق واتسف

واستباح وأعظم النكابة ورجع الامير يعقوب الى فاس واقضى مذهب أخيه الامير
أبى بكر فى فتح أمصار المغرب وتدوين أقطاره وكان مما أكرمه الله به أن
فتح أمره باستيلاء مدينة سلا من أيدى نصارى الاصبنيول فكان له بها أنس
جميل وذكر خالد رحمه الله



استيلاء نصارى الاصبنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها

كان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد استعمله عمه الامير أبو بكر
ابن عبد الحق على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون
من يده أقام يتقلب فى جهاتها مترصدا للفرصة وامكانها فيها ولما بويع عمه
السلطان يعقوب بن عبد الحق آسفته بعض الاحوال منه فذهب مغاصبا حتى
نزل عين غبولة وألطف الحيلة فى تملك رباط الفتح وسلا ليعتدهما ذريعة
لما أسر فى نفسه من التوب على الامر فتمت له الحيلة وملك سلا وركب
عاملها أبو عبد الله بن يعلو البحر فارا الى آزموور وخلف أمواله وحرمه ،
فتملك يعقوب بن عبد الله ذلك وتمكن من البلد وجاهر بالخلع ، وصرف
الى منازعة عمه السلطان يعقوب وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين اليعقوبين
وداخل يعقوب سلا تجار الحرب من الاصبنيول فى الامداد بالسلاح
فتباروا فى ذلك وكثرت سفن المترددين منهم اليها حتى كثروا أهلها وزاد
عددهم فعزموا على الثورة بها واهتبلوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان
وخمسين وستمائة عند اشتغال الناس بعيدهم وثاروا بسلا فى اليوم الثانى من
شوال فوضعوا السيف فى أهلها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم وانهبوا الاموال
وكان الحادث بها عظيما وضبطوا البلد وتحصن يعقوب بن عبد الله برباط
الفتح

وطار الصريخ الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو يومئذ بمدينة تازا

دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أحوال يغمراسن بن زيان فوصل اليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة ، وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته والا فالمسافة ما بين تازا وسلا ست مراحل أو أكثر، ثم تلاحقت به جيوش المسلمين من القبائل المتطوعة من جميع آفاق المغرب فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لاربع عشرة ليلة من حصارها وأئخذ فيهم بالقتل ونجاشينج منهم الى سفنهم فنشروا قلوبهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ، ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله في بناء السور الغربي من سلا الذي يقابل الوادى منها فانها كانت لاسور لها من تلك الجهة من أيام عبد المومن بن على فانه كان قد هدم اسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبتة وسلا حسبما قدمنا الخبر عنه في دولته ومن هذه الثلثة كان دخول النصارى الى سلا فنشرع السلطان يعقوب رحمه الله في بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبلة الى البحر جوفاً وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعياً في صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحسن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب اليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل في الوادى وكان ذلك من الامر المهم في دولة الموحدين حسبما سلف قال في الجذوة : « دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد ابن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشبيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الاجرام ورفع الانتقال بصيرا باتخاذ الالات الحربية الجافية ، اه

وأما يعقوب بن عبد الله التائر فانه خشى بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد

تامسنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهى المسماة الآن بالدار البيضاء ،
 فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح
 السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زيان لمنازلته وسار هو الى لقاء
 يغمراسن فلقية وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب
 ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما نذكره



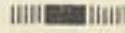
خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق

رحمه الله



قد تقدم لنا أن الامير عبد الحق المريني كان له تسعة من الولد أكبرهم
 ادريس وقتل مع والده فى حرب رباح وكان لادريس هذا عدة أولاد بقوا فى
 كفالة أعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب وكان أولاد ادريس قد
 ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيمتهم فنفسوا عليه ما آتاه الله من الملك ورأوا
 أنهم أحق به منه لان أباهم هو الأكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على
 عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كرامة وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على
 رأيه واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليهم من
 كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فنهض اليهم
 السلطان يعقوب وتلطف بهم حتى استزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس
 منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من
 المتطوعة من بنى مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفرض
 لهم فى العطاء وشفع بهذه الفعلة النجسة عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش
 عبر البحر الى الاندلس من بنى مرين فكان لهم فى الجهاد والمرابطة مواقف
 مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلك فيهم برهة من
 الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم الله
 وجزاهم عن المسلمين خيرا .

وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فإنه أقام خارجا بالنواحي متقلا في
الجهات الى أن قتله طلحة بن محلى من أولياء السلطان يعقوب على ساقية
غبولة من ناحية رباط الفتح سنة ثمان وستين وستمائة فكفى السلطان يعقوب
أمره .



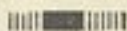
حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبي دبوس منها إليه
وهلاك المرتضى بعد ذلك



لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رأيه
لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم وحضرتهم ورأى أنه أوهن لشوكتهم
وأقوى لامره عليهم ، فبعث في قومه وحشد أهل مملكته واستكمل التعبئة
وسار سنة ستين وستمائة حتى انتهى الى جبل جيليز فشارف دار الخلافة ونزل
بعقربا وأخذ بمخنتها وخفقت ألويته على جناتها ، وعقد المرتضى على حرب
لابي دبوس ادريس بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن فعبا كتابه ورتب
مصافه وبرز لمدافعهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب بعد العهد بمنلها هلك
فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق فقت مهلكه في عضدهم وارتحلوا
عنها الى أعمالهم واعترضهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى
ابن عبد الله بن وانودين فاقتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين
هزيمة شعاء وتركوا الاموال والاثاث فاحتوى بنو مرين على ذلك كله وهي
واقعة أم الرجلين

ثم سعى سماسة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه أبي
دبوس بأنه يطلب الامر لنفسه وشعر هو بالسعاية في جانبه فخشى بادرة
المرتضى ولحق بالسلطان يعقوب سنة احدى وستين وستمائة عند دخوله الى
فاس من محاصرته مراکش فأقام عنده مليا ثم سأله الاعانة على أمره بعسكر
يمده به وآلة يتخذها للملكه ومال يصرفه في ضرورياته ، على أن يشركه في

الفتح والغنيمة والسلطان فأمدد السلطان يعقوب بخمسة آلاف من بني مرين وبالمستجاد من الالة والكفاية من المال وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل مملكته وغيرهم أن يكونوا معه يداً واحدة حتى يبلغ مراده من فتح مراكش ، وسار أبو دبوس في الكتاب حتى شارف الحضرة ودس الى أشياعه من الموحدين بأمره فأاروا بالمرتضى فكان من فراره الى آزمور ونزوله على صهره ابن عطوش ومقتله على يده ما قدمنا ذكره في دولته ، واستتب أمر أبي دبوس بمراكش وثبت قدمه بها فبعث اليه السلطان في الوفاء بالمشاركة فاستكف واستكبر ونقض العهد وأساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بني مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بالانسوار فزحف اليه السلطان يعقوب وحاصره أياماً ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزروع وينسف الاقوات وعجز أبو دبوس عن مدافعته فاستجاس عليه بيغمراسن بن زيان ليفت في عضده ويشغله عما أمانه بما وراءه فكان ما نذكره



وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان



لما نزل السلطان يعقوب حضرة مراكش وربض على ترائبه للتوثب عليها لم يجد أبو دبوس ملجأ من دون الاستظهار عليه بيغمراسن بن زيان ليأخذ بحجزته عنها فبعث اليه بالصريح في ذلك وأكد العهد وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بشن الغارات على ثغور المغرب وايقاد نار الفتنة بها ، فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا وأرهب منه حداً ماضياً فأفرج للوقت عن مراكش ورجع عوده على بدئه يريد تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان فنزل فاساً وتلوم بها أياماً حتى أخذ أهبة الحرب وعدة النزال ثم نهض الى تلمسان منتصف محرم سنة ست وستين وستمائة وسلك على أكرسيف ثم على تافرطاست .

وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبأ كل منهما كتابه ورتب مصافه وبرز

النساء فى القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض والتحم القتال
وطال القراع والنزال ، ولما فاء الفىء ومال النهار وكثرت حشود بنى مرين
جموع بنى عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومنحوا العدو اكنافهم وهلك فى
الحومة أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير اولاده وولى عهده
وهلك معه جماعة من عشيرته ، ولما انهزم بنو عبد الواد بقى يغمراسن فى
ساقنتهم حاميا لهم من بنى مرين أن تركبهم من خلفهم فكان ردها لهم الى أن
وصلوا الى بلادهم ، وكانت وقعة تلاغ يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى
الاخيرة من السنة للذكورة ورجع السلطان يعقوب الى مكانه من حصار
مراكش والله غالب على أمره .



فتح حضرة مراكش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين بها



لما قفل السلطان يعقوب من حرب يغمراسن صرف عزمه الى غزو مراكش
والعود الى حصارها كما كان أول مرة فهض اليها من فاس فى شعبان سنة
ست وستين وستمائة ولما عبروا وادى أم الربيع بث السرايا وشن الغارات
وأطلق الاعنة والايدي للنهب والعبث فحطموا زروعها وانتسفوا آثارها وتقرى
نواحيها كذلك بقية عامه ، ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأنخن فيهم
واستباحهم ، ثم نزل وادى العبيد فأقام هناك أياما ثم غزا بلاد ضهاجة فاستباحها
ولم يزل ينقل ركابه فى أحواز مراكش ويجوس خلالها الى آخر ذى القعدة
من سنة سبع وستين وستمائة فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة
عند أبى دبوس وقالوا له : «يامولانا كم تقعد عن حرب بنى مرين وقد ترى ما
نزل بنا فى حريمنا وأموالنا منهم فاخرج بنا اليهم لعل الله يجعله سبب الفتح
فانهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا برباط تازا لحراسة ذلك
الثغر من بنى عبد الواد ولم يزالوا يفتلون له فى الذروة والغارب حتى أجابهم الى
رأيهم فاستعد للحرب وبرز من حضرة مراكش فى جيوش ضخمة وجموع

وافرة ، فاستجره السلطان يعقوب بالفرار أمامه ليعيد عن مدد الصريخ فيستمكن منه ، فلم يزل أبو دبوس يسعى خلفه حتى نزل ودغفوا فحيث ذكر عليه السلطان يعقوب فالتجمت الحرب واختل مصاف أبي دبوس وفر يسابق الى مراكش وأين منه مراكش فأدركه الخيول وحطته الرماح فخر صريعا واحتز رأسه وجيء به الى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم الاحد ثاني محرم سنة ثمان وستين وستمائة ، ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراكش وفر من كان بها من الموحدين الى تينملل وبايعوا اسحق أخا المرتضى فبقى ذبالة هنالك الى أن قبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة وجيء به فسي جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبدالمومن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملا وأهل الشورى من الحضرة الى لقاء السلطان يعقوب ففرح بهم وأمنهم ووصلهم ، ودخل مراكش في عسكر ضخم وموكب فخم يوم الاحد التاسع من محرم المذكور وورث ملك آل عبد المومن وتملاه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن الناس لبأسه وسكنوا لظل سلطانه ، وأقام بسراكش الى رمضان من سنته ثم أغزا ابنه الامير أبا مالك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فافتحها وأوغل في ديارها ودوخ أقطارها ورجع الى أبيه واستمر السلطان يعقوب بمراكش يصلح شؤونها الى رمضان من سنة تسع وستين وستمائة فخرج بنفسه الى بلاد درعة فأوقع بعربها الواقعة المشهورة التي خضت من شوكتهم ورجع لشهرين من غزاته ، ثم أجمع الرحلة الى دار ملكه بفاس فمقد على مراكش لمحمد بن عني ابن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خؤلته وكان من طبقة الوزراء وأنزله بقصبة مراكش وجعل المسالحي في أعمالها لنظره وعهد اليه بتدوين الأقطار ومحو آثار بني عبد المومن وفصل من مراكش قاصدا حضرة فاس في شوال من السنة المذكورة والله تعالى أعلم



مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي
للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمهما الله

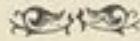


كانت دولة بني أبي حفص أصحاب تونس وأفريقية فرعا من دولة بني عبد المومن وشعبة منها حسبما نبهنا عليه غير مرة ، ولما ضعفت دولة بني عبد المومن بمراكش والمغرب كان صاحب أفريقية أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الهنتاني يأمل الاستيلاء عليها والتملك لها ويتمنى ذلك لو ساعده القدر لأنه كان يرى أنه أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بني عبد المومن لأنها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لأن عمالة مراكش لم تعرف إلا للمصامدة من قديم الزمان وقبيلة هنتانة هي صميمها وذوآبتها فهذا ونحوه كان بنو أبي حفص يتطاولون إلى ملك مراكش ، ولما نبغ بنو مرين بالمغرب وغلبوا على الكثير من ضواحيه كانوا يدعون إلى أبي زكرياء الحفصي تأليفا لأهل المغرب واستجلابا لمرضايتهم وإتيانا لهم من ناحية أهوائهم إذ كانت صبغة الدعوة الموحدية قد رسخت في قلوبهم فلو دعوا إلى غيرها من أول الأمر لحاصوا عنها حيصة حمر الوحش ، ولما لم يمكن بني مرين أن يدعوا إلى بني عبد المومن لأنهم أقتانهم وإياهم ينازعون ولهم يحاربون ويجالدون دعوا إلى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة إلى الفرع كالدعوة إلى أصله ، فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها وإنما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا في ارتقاء ولهذا لما استقل السلطان يعقوب بالأمر وتمكن له السلطان بالمغرب قطع دعوة الحفصيين حالا بعد أن كان أولا يدعو إليها هو واخوته من قبله وكان بنو أبي حفص يشغلون لذلك ويهادون بني مرين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك ولما عزم السلطان يعقوب على منازة مراكش كتب إلى أبي عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص يخبره بذلك ويستمدده حتى كأنه نائب عنه لاغير وأرسل بكتابه مع ابن أخيه عامر بن إدريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه دولته فأكرم المستنصر وفادتهم ، ثم لما فتح السلطان

يعقوب مراکش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بهدية فيها من أصناف الخيل
الجياد والسلاح والنياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة
من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكنانى فتلطف الكاتب
المذكور فى ذكر المستنصر على منبر مراکش حتى تم له ذلك بمحضر وفد
الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم بالخبر واتصلت المودة والمهاداة
بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ، ولما هلك المستنصر وبويع ابنه
أبو زكرياء يحيى المدعو بالوائق أفتى سنن أبيه فى ذلك فبعث الى السلطان
يعقوب بهدية حافلة مع قاضى بجاية أبى العباس الغمارى سنة سبع وسبعين
وستمائة فعظم موقعها من السلطان يعقوب وكان لابى العباس الغمارى هذا
بالمغرب ذكر تحدث الناس به دهرا وقطع السلطان يعقوب لأول أمره الدعوة
الى الحفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم



عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا وما نشأ عن ذلك من خروج قراجه عليه



كان السلطان يعقوب حين خرج من مراکش بعد فتحها قاصدا حضرة
فس دار ملك بنى مرين اجتاز بمدينة سلا فأراح بها أياما فطرقه مرض وعك
منه وعكا شديدا ، فلما أبل من مرضه جمع قومه وعقد العهد لأكبر أولاده أبى
مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم جميعا
فأعطوها طواعية وعز ذلك على اقرباة من بنى عبد الحق وهم أولاد سوط
النساء بنو ادريس بن عبد الحق وبنو عبد الله بن عبد الحق وبنو رحو بن
عبد الحق وإنما قيل لهم أولاد سوط النساء لان هؤلاء الثلاثة من بنى عبد الحق
كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء ، فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أبى مالك
بولاية العهد آسفهم ذلك لانهم كانوا يرون أنهم أحق بالامر حسبما سلف
فارتدوا على أعقابهم وقلبوا لهم ظهر المجن وعادت هيف الى أديانها وأسروا

من ليلتهم من سلا ولم يصبحوا الا بجبل علودان من بلاد غمارة عش خلافتهم
ومدرج فنتهم وكان ذلك في عيد الفطر من سنة تسع وستين وستمائة وانضم
اليهم بنو أبي عياد بن عبد الحق وشايعومهم على رأيهم ، فخرج السلطان يعقوب
في أثرهم وقدم بين يديه ابنه الامير يوسف بن يعقوب في خمسة آلاف فأحاط
بهم وأخذ بمخبتهم ولحق به أخوه أبو مالك في عسكره ومعه مسعود بن
كانون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب في عساكره فحاصروهم ثلاثة
ولما رأوا أن قد أحيط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأنزلهم ومسح صدورهم
واسترضاهم واستل سخائمهم ووصل بهم الى حضرته فسألوا منه الاذن في
اللحاق بتلمسان حيا مما ارتكبوه من الخلاف فأذن لهم فأجازوا البحر الى
الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آتس من ميل عمه اليه فبقى بتلمسان
حتى توثق لنفسه بالمهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان يعقوب لتلمسان
حسبما نذكره عن قريب .

قال ابن خلدون : « واحتل هؤلاء القرابة من بني عبد الحق بأرض الاندلس
على حين أقفر من الحامية جوها واستأسد العدو على تفورها وتحلبت شفاها
لاتهامها ، فتبوأوها أسودا ضاربة وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع
البحر والنزاع مستغلفين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش
فعمظت نكايتهم في العدو واعترضوا في صدره سجي دون الوطن الذي كان
طعمة له في ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين
وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمداغمة طانغيتهم وزاحموا أمير الاندلس في
رياستها بمنكب قوى فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الفزاة من أهل
العدوة من أعياصهم وغيرهم من أمم البربر وثاقنوه في مستقر عزه وساهموه ،
في الجباية بفرض العطاء والديوان فبذله لهم واستعدوا على العدو وحسن
أثرهم فيه حسبما تلمع بالبعض من ذلك ان شاء الله



هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب

لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة هجم النصارى على مدينة العرائش وتشمس من ثغور العدو المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها واتهبوا أموالها وأضرموها نارا ورجعوا عودهم على بدهم فركبوا أجنانهم ولحقوا ببلادهم ولم تلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفتح مراكش فى التاريخ المذكور ولم بين فى القرطاس هؤلاء النصارى من هم

وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق و يغمراسن بن زيان

لما أنعم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه فى أقطار المغرب ونواحيه ونفوذ كلمته فى حواضره وبواديه وتم له الصنع بفتح مراكش وورائسة كرسى بنى عبد المومن بها وعاد الى فاس كما قلنا تحرك ما كان فى نفسه من ضغائن يغمراسن بن زيان وما آسفه به من تخذيل عزائمهم ومجاذبته عن قصده ورأى أن وقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره لغزوه ونشطه لذلك ما صار اليه من الملك وسعة السلطان ، فحشد جميع أهل المغرب وعزم على استنصاله وقطع دابره فمسك بفس وبمث ولده أبا مالك الى مراكش فى جماعة من خواصه حاشرين فى مدائنهم وضواحيها ، فأجتمع عليه من قبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج وناشبة الغزو ، استكثر من ذلك كله واحتفل السلطان يعقوب بفس كذلك ، ثم نهض منها غرة صفر سنة سبعين وستمائة فسار حتى نزل وادى ملوية فأقام عليه أياما حتى لحقه ابنه أبو مالك فى جموعه وتوافت لديه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والمعاصم وبنو جابر ومن معهم من الابيج وقبائل ذوى حسان والشنات من معقأها

السوس الأقصى وقبائل رياح أهل أزغار وبلاد الهبط ، فعرض هنالك عساكره وميزها ورتبها فيقال انها بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان

ولما انتهى الى أنكاد قدمت عليه رسل ابن الاحمر ووفد أهل الاندلس يستصرخونه على العدو ويسألونه الاعانة والنصر ويخبرونه بأنه قد كلب عليهم وشره لالتهم بلادهم فتحركت همته رحمه الله للجهاد ونصر المسلمين واعانة المستضعفين منهم ، ونظر فيّ صرف الشواغل عن ذلك وجنح للسلم مع يغمراسن وعزم عليها واستشار الملا من أشياخ العرب ، وبنى مرين في ذلك فصوبوا رأيه لما كانوا عليه أيضا من اثار الجهاد ومحبته ، فبعث السلطان يعقوب جماعة من أشياخ القبائل الى يغمراسن يدعونه الى الصلح واجتماع الكلمة وقال لهم في جملة قوله : « ان الصلح خير كله فان جنح يغمراسن اليه وأتاب فذاك والا فأسرعوا الى بالخبر . » فسار الاشياخ الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبتهم واستعد للقاء وحشد قبائل زناتة المجاورين له في تلك البلاد من بنى عبد الواد وبنى راشد وأحلافهم ومغراوة من عرب بنى زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكبر وصم عن سماع قولهم وموعظتهم وقال : « أبعث مقتل ولدى أصالحه ، والله لا كان ذلك أبدا حتى أثار به وأذيق أهل المغرب النكال من أجله » فرجعت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر ، وتزاحف الفريقان فكان اللقاء على وادي ايسنى من بسيط وجدة وعبا السلطان يعقوب كتابه ورتب مصافه وجعل ابنه عبد الواحد في الميمنة وابنه يوسف في الميسرة ووقف هو في القلب ، ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك في الحومة أبو عنان فارس بن يغمراسن بن زيان في جماعة من بنى عبد الواد ، وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا معهم لثباتهم بثبات يغمراسن فطاحتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم برنيس وانهمز الباقون ، ونجا يغمراسن في فله حاميا لهم ومدافعا عنهم من خلفهم ، ومر في هزيمته بفساطيطه فأضرمها نارا فتأديا من حصرة استيلاء العدو عليها وانتهت بنو مرين باقى معسكره واستبيحت حرمة وارتحل السلطان يعقوب من الغد في أثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فأمر بهدمها فتسارعت ايدي

الجند اليها وجعلوا عليها سافلها والصقوا بالرغام جدرانها وتركوها قاعا صفصفا ،
وكانت هذه الواقعة منتصف رجب من سنة سبعين وستمائة .

ثم تقدم الى تلمسان فنزل عليها وحاصرها أياما وأطلق الايدي فسي
ساحتها بالنهب والعيث ثم شن الغارات على البسائط فاكتسحها سبيا ونسفها
نسفا وهلك في طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساي وكان من عليه
وزرائه وحماة ميدانه وله في ذلك أخبار مذكورة ، وكان مهلكه في شوال
من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير أبو زيان محمد
ابن عبد القوي بن العباس بن عطية كبير بني توجين من زناتة فسي جيش
كثيف من قومه مباهيا بنوده وطبوله وآلة حربيه ، وكان قدومه هذا بقصد
مظاهرة السلطان يعقوب على يغمراسن وتلمسان لعداوة كانت بينهما فأكرم
السلطان يعقوب وفادته واستركب الناس للقاءه واتخذ رتبة السلاح لمباهاته
واستمر الحصار على تلمسان ، وعظمت نكاية بني توجين فيها بتخريب
الرباع وانتساف الجنات وقطع النمار وافساد الزرع وتحريق القرى والضياع
لما كان يغمراسن يعاملهم في بلادهم بمثل ذلك أو أكثر ، ولما امتعت تلمسان على
السلطان يعقوب وأيس من فتحها لحصانتها واشتداد شوكة حاميتها عزم على
الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوي بالقبول الى مأمته قبل أن
ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملا حقايبهم من التحف وجنب لهم
مائة من الخيل المقربات الجياد بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب
وعمهم بالخلع الفاخرة والصلوات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والفايزات
والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا الى منجائبهم ومقرهم من جبل
واتشريس ، وتلوم السلطان يعقوب عليهم أياما ريثما وصلوا حذرا عليهم من
يغمراسن أن ينتهز الفرصة في اتباعهم ، ثم أقنع السلطان عن تلمسان ونسي
عنايه الى المغرب فوصل الى رباط تازا في أول يوم من ذي الحجة من السنة
المذكورة فعيد بها عيد النحر ثم ارتحل الى فاس فدخلها فاتح سنة احدى
وسبعين وستمائة فأقام بها الى اليوم الحادي عشر من صفر فتوفى ولده وولى
عهده الامير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب

« الاستعصا . تاك . 3 »

ثم نهض * الى مراکش فدخلها أوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة فأقام بها شهرا حتى أصلح من شأنها ثم نهض الى طنجة وسبته على ما نذكره

فتح طنجة وسبته وما كان من أمر العزفي بهما

قد تقدم لنا في دولة أبي حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفي استبد عليه بسبته وتوارث ذلك بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوتات سبته وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ، ولما ضعف أمر بني عبد المومن بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبي العباس العزفي برياستها وضبطها وانتظم في طاعته سائر أعمالها ، ولما كانت سنة ثلاث وستين وستمائة بعث الفقيه المذكور أجفانه الى مدينة أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قصبته لانه خاف عليها من خلائها أن يملكها العدو ويتمنع بها ، واستمرت أموره في سبته ونواحيها على السداد وكانت طنجة تالية لسبته في سائر أحوالها وكاتنا معا من أحسن بلاد المغرب فدخل صاحب طنجة وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني المعروف بابن الامير في طاعة أبي القاسم المذكور ، ثم انتقض عليه لمضى سنة من طاعته واستبد وخطب لابن أبي حفص صاحب أفريقية ثم للخليفة العباسي صاحب بغداد ثم لنفسه ، وسلك في طنجة مسلك العزفي في سبته ولبثوا على ذلك ما شاء الله ، حتى اذا ملك بنو مرين المغرب واقتحوا

(*) قال في الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية ما نصه : فلما انقضى شهر صفر الذي توفي فيه له ولد أبو مالك ارتحل أمير المسلمين إلى حضرة مراکش فوصل إلى رباط الفتح في الثاني عشر من ربيع الأول فأخذ البيعة لولد الامير أبي يعقوب علي بن مرين بولاية العهد بها لولد الامير أبي يعقوب ثم سار إلى مراکش فدخلها في نصف ربيع الآخر فقدم بها أياما ثم ارتحل إلى بلاد السوس الخ ... وهذا خلاف ما عند المؤلف هنا فراجع ذلك ص ١٥٤ طبع الجزائر .

معاقله وحصونه وهلك الامير أبو بكر بن عبد الحق وابنه أبو حفص عمر من بعده فتحيز بنوه في أتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة واصيلا فأهطنوا ضاحتها وعانوا في نواحيها وضيقوا على أهل طنجة حتى شارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ، ثم مكروا وأضروا الغدر فدخلوا في بعض الايام متأطنين السلاح وفنكوا بابن الامير غيلة ، فنارت بهم عامة أهل طنجة واستلحموهم لحينهم في مصرع واحد سنة خمس وستين وستمائة ، واجتمعوا على ولده فبايعوه وبقيت في ملكته خمسة أشهر. ثم استولى عليها أبو القاسم العزفي فهض انبها بعساكره من الرجل برا وبحرا وملكها وفر ابن الامير فلحق بتونس ونزل على المستنصر الحفصي واستقرت طنجة في ايالة العزفي فضبها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملائكة من أشرفها في السورى

ولما استولى السلطان يعقوب على حضرة مراکش ومحا دولة آل عبد المؤمن منها وفرغ من أمر عدوه بغمراسن هم بتلك الناحية وأحب أن يضيفها الى ما بيده ليصفو له أمر المغرب الأقصى كله فهض الى طنجة ونازلها مفتوح اثنتين وسبعين وستمائة لانها كانت في البسيط دون سبته فكان أمرها أسهل فحاصرها نحو ثلاثة أشهر فامتعت عليه ويش منها وعزم على الافراج عنها فينما هو يقاتل في عشي اليوم الذي عزم على النهوض في غده اذا بجماعة من رماثها قاموا على برج ورفعوا لواء أبيض ونادوا بشعار بنى مرين ، وذلك لخلاف وقع بينهم داخل البلد فتسارع الجند اليهم فملكوهم البرج فتسوروا اليه الحيطان وقاتلوا عليه سائر ليلتهم الى الصباح ثم تكاثرت جيوش بنى مرين واقتحموا البلد عنوة ونادى منادى السلطان يعقوب بالامان فلم يهلك من أهلها الا نفر يسير ممن رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول ، وكان ذلك في ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولما فرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبته فحاصر بها العزفي أياما ثم لاذ بالطاعة عنى أن يبقى ممتنا بحصنه ويؤدى للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك وأفرجت عنه عساكره وعاد الى فاس والله غالب على أمره

فتح سجلماسة وما كان من أمرها



قد ذكرنا ما كان من استيلاء الامير أبى بكر بن عبد الحق على سجلماسة ودرعة وانه عقد على مسلحتها لابي يحيى القطراني الذي كان السبب في فتحها عليه ، ولما هلك الامير أبو بكر استبد القطراني المذكور بسجلماسة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطراني بواسطة القاضي ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كنه ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بنى معقل أهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادي المعروف بابن حنينة نسبة الى أمه وهي أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمتها في ملكته وجه عزمه الى افتتاح سجلماسة وانتزاعها من أيدي بنى عبد الواد المتغلبين عليها فنهض اليها في رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة في جموع بنى مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ، ونازلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون : « ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها » اه كلامه . قلت وفيه فائدة : أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصراتهم وحرورهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسي في شرح منظومته الموضوع في العمل الجارى بفاس قال : « كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم في تأليف له في الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود » اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بناني في حاشيته . على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويقلب على ظني أن لفظ الستمائة تصحف بالسبعمائة فسرى الغلط من ذلك والله أعلم

عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده ، وانقرض امر ابن هود عن
أمد قريب واستمرت دولة ابن الاحمر في عقبه الى اخر المائة التاسعة ولما استتب
أمر ابن الاحمر بالاندلس عقد السلم مع الطاغية على أن ينزل له عن جميع
بساط عرب الاندلس فنزل له عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر
معتصمين بأوعاره ومتشبهين بمعاقله وحصونه ، واختار ابن الاحمر لنزوله
مدينة غرناطة واتخذها كرسى مملكته وابتنى بها لسكناه حصن الحمراء .

وكان ابن الاحمر هذا يدعى بالشيخ وكان قد عهد الى ولده القائم من بعده
محمد المعروف بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره وأوصاه اذا نابه أمر من
العدو أو وصل اليه مكروه أن يستصر عليه بنى مرين ويدراً بهم في نحره
ويجعلهم وقاية بين العدو وبين المسلمين ، فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس
بادر محمد الفقيه الى العمل بإشارة والده وأوفد (*) مشيخة الاندلس كافة على
السلطان يعقوب رحمه الله فلقية وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة فتبادروا
للسلام عليه وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين ونقل وطأته
فحيا وفدهم واستبشر بمقدمهم وبادر لاجابة داعي الله وإيثار الجنة وكان
السلطان يعقوب رحمه الله منذ أول أمره موثرا عمل الجهاد كلفابه مختارا له
لو أعطى الخيار على سائر أعماله حتى لقد كان اعترم على الغزو الى الاندلس
أيام أخيه الامير أبي بكر وطلب اذنه في ذلك فلم يأذن له فكان في نفسه من
ذلك شغل وله اليه صاغية ، فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزيمته وايقظوا همته
فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير ونهض من فاس في شوال سنة ثلث
وسبعين وستمائة فوصل الى طنجة وأقام هنالك وجهاز خمسة آلاف من قومه
أزاح عليلهم وأجزل أعطياتهم وعقد عليهم لابنه أبي زيان وأعطاه الراية
واستدعى من العزفي صاحب سبته السفن لاجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه

(*) راجع نص الكتاب الذي جاء به مشيخة الاندلس من ابن الاحمر الى السلطان يعقوب
يستعرضه فيه للجهاد في كتاب الذخيرة السنية صفحة ١٥٩ طبع الجزائر

وراجع ايضا جواب السلطان يعقوب على كتاب ابن الاحمر في الذخيرة السنية ايضا

عشرون أسطولا فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من
 ذى القعدة من السنة المذكورة فأراح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثاً، ثم دخل دار
 الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبساتنها وامتلات أيديهم من المغانم
 وأئمنوا بالقتل والاسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة
 شريش فخام حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالاسوار وقفل الأمير أبو زيان إلى
 الجزيرة الخضراء وقد امتلات أيدي عسكره من الاموال وحقائبهم من السبي
 وركائبهم من السلاح والاثاث ورأى أهل الاندلس أن قد ثاروا بعام العقاب
 بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم إلى الآن والله غالب على أمره .



الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد



ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ في الاستعداد
 وعزم على الخروج إلى بلاد المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه ، وخشى على
 ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث حافده تاشفين بن عبد
 الواحد بن يعقوب في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع
 للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد
 فأكرم موصله وموصل قومه ، وبادر إلى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بنى عبد
 الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع
 الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه
 من الميل إلى الجهاد وإثار مبرورات الاعمال ، فبث الصدقات شكرا لله تعالى
 على ما منحه من التفرغ لذلك ، ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع
 ودعا المسلمين إلى جهاد عدوهم وخاطب في ذلك سائر أهل المغرب من زناتة
 والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل
 البربر من المرتزقة والمتطوعة وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فأجازهم من
 فريضة قصر المجاز في صفر سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف

وكان السلطان يعقوب حين استصرخه ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس
اشترط عليه السلطان يعقوب النزول عن بعض الثغور بساحل افرضه لاحتلال
عساكره بها فتجافى له عن رندة وطريف

ولما أحس الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة باجازه السلطان يعقوب قدم اليه
الوفد من أهل مالقة بيعتهم وصرىخهم وكان أبو محمد بن اشقيلولة واخوه أبو
اسحق من أصهار ابن الاحمر وكانا مستولين على مالقة ووادي آش وقمارش
ووقعت بينهما وبين ابن الاحمر منافسة فخرجا عن طاعته ، ولما عبر السلطان
يعقوب الى الاندلس بادر أبو محمد بن اشقيلولة اليه واتصل به وأمحصه النود
والصح وسابق ابن الاحمر في ذلك ونازعه في برور مقدمه والاذعان له وربما
صدرت من ابن اشقيلولة في حق ابن الاحمر جفوة بمحضر السلطان يعقوب
أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الاحمر مغاضبا للسلطان من أجل ذلك

ولما احتل السلطان بناحية طريف ملات كتابه ساحة الارض ما بينها وبين
الجزيرة الخضراء ، ثم نهض الى العدو قبل أن يسبق اليهم الخبر فدخل دار
الحرب وانتهى الى الوادي الكبير فعقد هنالك لولده الامير يوسف عنى خمسة
آلاف من عساكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره وسرح كتابه في البسائط
وخلال المعامل تسف الزروع وتحطم الثغورس وتخرب العمران وتتهب
الاموال وتكتسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية حتى انتهى انى
حصن المدور وبياسة وأبدة وافتحم حصن بلمة عنوة ، وأتى على سائر الحصون
في طريقه فطمس معالمها واكسح أموالها

وقفل السلطان يعقوب رحمه الله والارض تموج سيبا الى أن عرس
بانسجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير باتباع العدو آثاره لاستتقاد أسراه
واسترجاع أمواله وأن زعيم الفرنج وعظيمهم نونه خرج في طلبهم في أمم
النصرانية من المحتلم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا
من الفرسان أمامها وسار يقتفيها من خلفها حتى اذا أطلت رايات العدو من
ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرى السيف وذكر اسم الله وراجمت
زناته بصائرهما وعزائمهما وتحركت هممها وأبلى في طاعة ربها والذب عن دينها

وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها فلم يكن الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم نونه وكان هذا اللعين زعيم النصرانية بالاندلس قد قدمه الفئس على جيوشه واستعمله على حروبه وفوض له في جميع أموره وكان النصارى قد سعدوا بطائره وتيمنوا بنقيته لانه لم تهزم له قط راية وكان وبالا على بلاد الاسلام كثير الغارات عليها حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكد الغارات وألحقه بأمة الهاوية ، ومنح المسلمين رقاب الفرنج واستحر فيهم القتل حتى بلغت قتلاهم عدد الالوف وجمعوا من رؤوسهم ما آذن أذنوا عليها نصلاتي الظهر والعصر ، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين (*) أكرمهم الله تعالى بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أوليائه وأظهر دينه ، وبدا للعدو ما لم يكن يحتسبه بمحاربة هذه العصاة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث السلطان يعقوب رحمه الله برأس الزعيم نونه الى ابن الاحمر فيقال انه بعثه سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم ، ومداراة وانجرافا عن السلطان يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين

واعلم أن هذا الزعيم يسميه كثير من المؤرخين دون نونه ولفظة دون معناها في لسانهم السيد أو العظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها

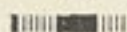
وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع من السنة المذكورة فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم واسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمسة لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ، ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السبى ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة ، وأما الغنم فأتسعت عن الحصر كثر حتى لقد زعموا أنه قد بيعت الشاة الواحدة بدرهم وكذلك السلاح

وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياما ثم نهض في جمادى الاولى من

(*) ذكر في الذخيرة السنية أن عددهم أربعة وعشرون صفحة ١٧٣ طبع الجزائر .

السنة المذكورة غازيا اشيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها وانخن بالقتل والنهب في جهاتها وعان في عمرانها وأوغل في مسيره حتى وقف على بابها وزعقت طبوله في جوها وخفقت ألويته على جناتها ولجأت الفرنج الى الاسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ، ثم ارتحل الى شريش فأذافها من وبال العيث والاكساح مثل ذلك أو أكثر ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته فيعت الفرنجية من سبيه بها بمثقال ونصف لكثرة السبي حينئذ (*)

ودخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب في اختطاط مدينة بفرضة المنجاز من العدو لتزول عسكره متبذبا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لها مكانا ملاصقا للجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية ، ثم أجاز البحر الى المغرب في رجب من سنته أعنى سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور عنى بادس مرفا السفن ومحل العبور من بلاد غمارة ثم رحل الى فاس فدخلها في النصف من شعبان من السنة المذكورة



فتح جبل تينملال ونبس قبور بنى عبد المؤمن على يد المليونى عفا الله عنه



قد تقدم لنا أن جبل تينملال كان حصنا للموحدين وملجأ لهم اذا نابهم مكروه وكان مسجده مزارا عظيما لهم لانه مدفن امامهم وملحد خلفائهم فكانوا يعكفون عليه ويلتمسون بركة زيارته ويقدمون ذلك بين يدي غزواتهم قربة يتقربون بها الى الله تعالى ، ولما استولى السلطان يعقوب على مراکش فر من كان بها من الموحدين الى الجبل المذكور واعتصموا به وبايعوا اسحق أخا المرتضى

(*) ذكر في الذخيرة السنية أن السلطان يعقوب كتب بهذا الفتح لبلاد العدو وقرئ كتابه علي المنابر وكذلك كتب الفقيه أبو القاسم العزفي رسالة إلى فقهاء المغرب وصلحائه بشرح هذه الغزاة فانظرها هناك صفحة ١٧٥ طبع الجزائر .

وأملوا منه رجوع الكرة وادالة الدولة واستمر الحال على ذلك الى هذه السنة
فنهض عامل مراكش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد بن علي بن محلي
أحد حؤله ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم افتحمة عنوة وافتض عذرتة
وفك ختامه وتقبض على خليفة الموحدين اسحق وابن عمه السيد أبي سعيد بن
أبي الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبا الى مصارعهم باب الشريعة من
مراكش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم الكاتب
اتقبائل وأولاده

وعانت عساكر بني مرين في جبل تينملل واكسحوا أمواله ونشوا قبور
خلفاء بني عبد المومن واستخرجوا أشلاؤهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد
المومن وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو علي بن
أحمد الملياني ، كان أبو علي هذا ثار على الحفصيين بمدينة مليانة فجهزوا اليه
عساكرهم وأجهضوه عنها ففر الى السلطان يعقوب فقبله وآواه وأقطعه بلد
أغمت اكراما له ، فحضر هذه الواقعة في جملة العسكر وارتكب هذا الفعل
الشنيع ورأى أنه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعبث
بأشلائهم وقد انكر الناس عامة والسلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم
يرضوها ومع ذلك فقد تجاوزله السلطان يعقوب عنها تائيسا لغربته ورعيالجواره
ولما توفي السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف سعى اليه في الملياني هذا
فكبى على ما تذكره ان شاء الله

ولما وصل السلطان يعقوب من غزوته الى فاس انتقض عليه طلحة بن محلي
أحد أخواله وتمنع بجبل آصروا من بلاد فازاز فسار اليه السلطان يعقوب
وحاصره به فأتاب الى الطاعة ونزل على الامان(*) وذلك في منتصف رمضان سنة
أربع وسبعين وستمائة وفي ثاني يوم من شوال من هذه السنة ثارت العامة
باليهود بفاس بسبب حدث أحدثوه فقتلوا منهم أربعة عشر يهوديا ولولا أن
السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت اياها .

* وطلب من السلطان أن يبيع له التوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج وأسعفه
ووصله بمال جليل وخيل عتاق وما يحتاج إليه . الذخيرة السنوية صفحة ١٨٦ طبع الجزائر

بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد



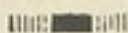
لما فتح جبل تينملل ومحيت منه بقية آل عبد المومن وتمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب واستفحل أمره وكثرت غاشيته رأى أن يحتط بلدا ينسب اليه ويتميز بسكانه وينزل فيه بحاشيته وأولياؤه الحاملين لسرير ملكه، فأمر ببناء المدينة البيضاء ملاصقة لمدينة فاس على ضفة واديتها المخترق لها من جهة أعلاه وشرع في تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمائة ، وركب السلطان بنفسه فوقف عليها حتى خطت مساحتها وأستت جدرانها وجمع الايدي عليها وحشر الصناع والعملة لبنائها وأحضر لها أهل النجامة والمعدلين لحركات الكواكب فأختاروا لها من الطوالع ما يرضون أثره ويحمدون سيره وأستت فيه وكان في أولئك المعدلين امامان شهيران أبو الحسن بن القطان * وأبو عبد الله ابن الحباك المقدمان في الصناعة فكمثل تشييد هذه المدينة على ما رسم رحمه الله وكما رضى ، ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين المذكورة ، واختط الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه الى القصور ، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الايام

قال ابن أبي زرع : ومن سعادة طالعها أنه لايموت فيها خليفة ولم يخرج منها لواء قط الا كان منصورا ولا جيش الا كان ظافرا
ثم أمر رحمه الله ببناء قسبة مكناسة فشرع في بنائها وبناء جامعها في السنة المذكورة ثم استوزر صنيعته أبا سالم فتح الله السدراتي وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم

ثم كافأ يغمراسن بن زيان على هديته التي كان بعث بها اليه قبل اجازته الى الاندلس فبعث اليه فسطاطا رائقا كان صنع له بمراكش وثلاثين من ابقال الفارحة ذكرانا وانانا وغير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب
وفي سنة خمس وسبعين وستمائة أهدي اليه الامير محمد بن عبد القوي

(*) في الذخيرة السنوية بدل ابن القطان أبو الريم سليمان الفياش صفحة ١٨٧ طبع الجزائر

التوجيني صاحب جبل واتشريس أربعة من الجياد اتقاه من خيل المغرب
كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفي نفسه أثناء هذا كله من أمر
الجهاد شغل شاغل يتخطى اليه سائر أعماله حسبما نذكره ان شاء الله



الجواز الثاني للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما قفل السلطان يعقوب من غزوته الأولى واستنزل الخوارج ونقف
الثغور وهادى الملوك واحتط المدينة البيضاء لنزوله كما ذكرنا ، خرج فاتح
سنة خمس وسبعين وستمائة الى جهة مراکش لسد ثغورها وتنقيف أطرافها
وتوغل في أرض السوس وبعث وزيره فتح الله السدراتي في العساكر
فجاس خلالها ثم انكفا راجعا وهناك خاطب السلطان يعقوب رحمه الله قبائل
المغرب كافة بالنفير الى الجهاد فتأفلوا عليه فلم يزل يحرضهم وهم يسوفون
الى أن دخلت سنة ست وسبعين بعدها ، ولما رأى تأفل الناس عليه نهض الى
رباط الفتح وتلوم به أياما في انتظار الغزاة فأبطأوا عليه فخفف في خاصته
وتقدم في حاشيته حتى انتهى الى قصر المجاز ، وقد تلاحق به الناس من كل
جهة لما رأوا من عزمه وتصميمه فأجاز بهم البحر واحتل بطريف آخر
محرم من السنة المذكورة ، ثم ارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم الى رندة ،
فوفاه بها الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن اشقيلولة
صاحب مالقة وأخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبي الحسن برسم الجهاد معه
ثم ارتحل السلطان من رندة فاتح ربيع الاول من السنة المذكورة حتى
اتهى الى اشيلية فمرس عليها يوم المولد النبوي وكان بها يومئذ ملك
انجلاقة ابن اذفونش فلم يجد بدا من الخروج اليه بعد أن خام عن اللقاء
أولا فبرز في جموعه وصفها على ضفة الوادي الكبير من ناحية السلطان
وأظهر من أهبة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها في الذروع السوابغ
والبيض اللوامع والسيوف البواتر وغير ذلك من آلات الحرب التي يكاد

شعاعها يدهش البصر وزحف اليه السلطان يعقوب رحمه الله بعد أن صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم فرتب مصافه وجعل ولده الامير يوسف في المقدمة وزحف على التعيبة فأقتلوا مليا ، ثم انهزمت الفرنج فساقط بعضهم في الوادي وانحدر آخرون مع صفته وتساعد آخرون كذلك واقتحم المسلمون عليهم وسط الماء وقتلوهم في لجة حتى صار الماء أحمر وطفقت جيفهم من الغد عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر ، وبات السلطان والمسلمون تلك الليلة على سهوات خيولهم يقتلون ويأسرون وأضرمو النيران بساحة اشيلية حتى صار الليل نهارا وباتت الفرنج على الاسوار ينفخون في القرون ويحترسون طول ليلتهم

ثم ارتحل السلطان من الغدالي جبل الشرف وبث السرايا في نواحيه فلم يزل يتقربى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها ودخل حصن قطنيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأتخن في القتل والسبي ثم ارتحل بالغنائم والانتقال الى الجزيرة الخضراء فدخلها في الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فأراح بها وقسم الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شريش منتصف ربيع الاخر فنازلها وأذاقها نكال الحرب ووبال الحصار وقطع الزياتين والاعناب وسائر الاشجار وأباد خضراءها وحرق ديارها وأتخن فيها بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب يباشر قطع الشجر والتمر بيده وسرح ولده الامير يوسف من معسكره في سرية للغارة على اشيلية وحصون النوادي الكبير فبالغ في النكاية واكسح حصن روطة وشلوقة وغليانة والقناطر ثم صبح اشيلية فاكسحها وانكفأ راجعا بالمغانم والسبي الى السلطان يعقوب فسر بمقدمه وقلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراح السلطان بها أياما وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم جمع أشياخ القبائل وندبهم الى غزو قرطبة وقال : « يامعشر المجاهدين ان اشيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها كبير نفع ولا نكاية وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الفرنج ومنها معاشهم وما دتهم فان غزوتموها واستأصلتم خضراءها مثل ما فعلتم باشيلية وشريش كان ذلك سبب ضعف النصرانية

بهذا القطر ، فأجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق فيهم الاموال والخلع
 وخاطب ابن الاحمر يستنفره للجهاد معه وقال : « ان خروجك معي الى قرطبة
 يكون لك مهابة في قلوب الفرنج ما عشت سوى ما تستوجه من الله تعالى
 من الثواب في ذلك »

ونهض السلطان الى قرطبة فاتح جمادى الاولى من سنة ست وسبعين
 المذكورة فوافاه ابن الاحمر بناحية شدونة فاكرم موصله وشكر خوفه الى
 الجهاد وباداره اليه ونازلوا حصن بنى بشير فدخلوه عنوة وقتلت المقاتلة
 وسييت النساء ونقلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له اثر ثم بسث
 السلطان رحمه الله سرايا والغارات في البسائط. فاكسحها وامتلات الايدي
 وأثرى العسكر وفاض عليهم من الغنم والبقر والمعز والخيل والبغال والحمير
 والقمح والشعير والزيت والعلل ما لا يوصف ثم ساروا يتقرون المناسزل
 وال عمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وخفقت ألوية
 السلطان في نواحيها وزعقت طبوله في فضائها وتقدم في أبطاله وحماته حتى
 وقف على بابها ثم دار بأسوارها ينظر كيف الحيلة في قتالها ووقف ابن
 الاحمر بعساكر الاندلس أمام محاة المسلمين يحرسونها خوفا من كرة العدو
 وخس الفرنج وراء الاسوار وانبت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحي
 قرطبة وقراها ، ففسفوا آثارها وخرّبوا عمرانها وترددوا على جهاتها
 ودخلوا حصن الزهراء بالسيف وأقام السلطان على
 قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونه كذلك
 ثم قدم بعنا الى مدينة جيان فقاسمها حظها من الخسف والدمار ، وخام
 الطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلاده فجنح الى السلم وخطبه
 من السلطان يعقوب ورغب فيه اليه وبعث الأقسمة والرهبان للوساطة في ذلك
 فرفعهم السلطان يعقوب الى ابن الاحمر وجعل الامر في ذلك
 اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وقال لوفد الفرنج : « انما أنا ضيف والضيف
 لا يصلح على رب المنزل » فساروا الى ابن الاحمر وقالوا له : « ان السلطان يعقوب
 قد رد الامر اليك ونحن قد جئناك لتعقد معك صلحا مؤبدا لا يعقبه غدر ولا

حرب ، وأقسموا له بصلبانهم ان لم يرضه الفئس ليخلصه لانه لم ينصر الصليب
ولا حمى الحوزة فأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين
والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ انسد
الطويلة فانهقد السلم فى اآخر شهر رمضان من السنة المذكورة وقفل السلطان
يعقوب من غزاته هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر
وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وساقها الى غرناطة وقال له
السلطان يعقوب: «يكون حظ بنى مرين من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما
فعل يوسف ابن تاشفين رحمه الله مع أهل الاندلس يوم الزلاقة»

ولما قفل السلطان يعقوب من هذه الغزوة اعتل الرئيس أبو محمد بن
اشقيلولة ثم هلك غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد بالسلطان
يعقوب آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الغزو
كما ذكرناه فنزل له عن مالقة ودعاه الى حوزها منه وقال له : « ان لم تحزها
أعطيتها للفرننج ولا يملكها ابن الاحمر» فحازها السلطان يعقوب منه وعقد
عليها لابنه أبى زيان منديل بن يعقوب فسار اليها وتملكها ، وعز ذلك على
ابن الاحمر غاية لانه لما بلغه وفاة أبى محمد بن اشقيلولة سما أمه اليها وأن ابن
أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعة له لاينى به بدلا فأخطأ
ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ، ولما قضى السلطان يعقوب
بالجزيرة الخضراء صومه ونسكه خرج الى مالقة فدخلها سادس شوال من
السنة وبرز اليه أهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا
بمقدم السلطان واغتباطا بدخولهم فى دعوته وانخراطهم فى سلك رعيته ،
وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع
دولتهم ، وأنزل معه المسالح وترك عنده زيان بن أبى عياد بن عبد الحق فى
طائفة لظفره من أبطال بنى مرين ، واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل
الى الجزيرة الخضراء ، ثم أجاز منها الى المغرب فاتح سنة سبع وسبعين
وستمائة وقد اهتزت الدنيا لمقدمه وامتلأت القلوب سرورا بما هياه الله من
نصر المسلمين بالاندلس وعلو راية الاسلام على كل راية وعظمت بذلك كله
موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله

حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك



قد تقدم لنا أن بنو اشقيلولة كانوا أصحابا لابن الاحمر وأنهم لما قدموا
عنى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء فى جوازه الاول صدرت من ابن
اشقيلولة كلمات أحفظت ابن الاحمر وغاظته فذهب لاجلها مغاضبا وانحرف
عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه الغزو ولا عرج على الجهاد ، ولما نصر
الله السلطان يعقوب على عدوه وقتل العليج وبعث برأسه الى ابن الاحمر
طيه وبعثه الى قومه انحرافا عن السلطان وموالاته للعدو ، ولما جاز السلطان
يعقوب الجواز الثانى انقبض عنه ابن الاحمر ولم يلقيه حتى خاطبه السلطان
واستنفره الى الجهاد فلحقه بشدونة كما مر ، ولما صنع الله للسلطان ما صنع
من الظهور والعز الذى لا كفاء له واستولى على مالقة من يد ابن اشقيلولة
ارتاب ابن الاحمر بمكانه وظن به الظنون وتخوف منه ما كان من يوسف بن
تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف ففص بمكانه وأظلم الجو
بينهما ودارت بينهما مخاطبات شعرية على السنة الكتاب فى معنى العتاب ولم
تزل القوارص بين السلطانين تجرى وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف
ابن الاحمر على ملكه يشتد ويزيد وأوامر الاخوة الاسلامية تتلاشى وتبيد الى أن
استحكمت البغضاء وضاق بينهما رحب الفضاء ففزع ابن الاحمر الى مداخلة
الطاغية فى شأنه واتصال يده بيده وجبله بجبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه
من ولايته ليدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال
سلطانه فاغتتم الطاغية هذه الفرصة ونكت عهد السلطان يعقوب ونقض السلم
وأعلن بالحرب وأغزا أساطيله الجزيرة الخضراء حيث كانت مسالح السلطان
يعقوب وجنوده وأرست بالزقاق حيث فراض المنجاز وانقطعت عساكر
السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين اغاثة اياهم واتصلت يد ابن
الاحمر بيد الطاغية واتفقا على منع السلطان يعقوب من عبور البحر وداخل

ابن الاحمر عمر ابن يحيى بن محلى صاحب مالقة فى النزول له عنها بموض
فعمل واستولى ابن الاحمر عليها ثم راسل هو والطاغية يغمراسن بن زيان
من وراء البحر وراسلهم هو فى مشاقفة السلطان وافساد نفوره وانزال
العوائق المانعة له من حركته والاخذ بأذياله عن النهوض الى الغزو وأسنوا
فيما بينهما الهدايا والتحف وجنب يغمراسن الى ابن الاحمر ثلاثين من عتاق
الخيال مع ثياب من عمل الصوف ، وبعث اليه ابن الاحمر مكافأة على ذلك
عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال ورده وأصفت آراؤهم جميعا على السلطان
يعقوب ورأوا أن قد أبلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه اليهم .

واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو بمراكش كان خرج اليها
مرجعه من الغزو فى المحرم سنة سبع وسبعين
وستمائة لما كان من عيث عرب جشم تامسنا وافسادهم السابلية ، فنقف
أطرافها وحسم مادة فسادها ، ثم اتصل به خبر ابن محلى ونزوله عن مالقة
لابن الاحمر ومنازلة الطاغية باساطيله للجزيرة الخضراء وتضييقه على
المسلمين بها ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مراكش ثالث شوال من
السنة يريد طنجة فوصل الى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه بها
الامطار والسيول وعاقته عن النهوض ، وبينما هو فى ذلك ورد عليه الخبر
أيضا بنزول الطاغية على الجزيرة الخضراء برا واحاطة عسكره بها بعد أن
كانت أساطيله منازل لها فى البحر منذ ستة أشهر أو سبعة وانه مشرف على
التهامها وبعثوا اليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل .

ثم اتصل به الخبر ثالثا بخروج مسعود بن كانون السفينانى ببلاد نفيس من أرض
المصامدة خامس ذى القعدة من السنة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه
وغيرهم ، فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدر ما
يصنع ، الا أنه رأى أن يقدم أمر ابن كانون والعرب فكر راجعا اليه وقدم
بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم العلوى وجاء
هو على ساقتهما ، وفر مسعود بن كانون وجموعه أمام السلطان فاتتهب
معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحارث من سفيان ، ولحق مسعود بجبل

سكسيوة فاعتصم به وشايح عبد الواحد السكسيوى القائم به على خلافه ،
ونازله السلطان يعقوب بمساركه أياما وسرح ابنه الامير أبا زيان منديل الى
بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه فى
آخر يوم من السنة المذكورة .

واتصل بالسلطان ما تضاغف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة
القتال واعواز الآفوات ، وانهم ختنوا الاصغر من أولادهم خشية عليهم من
معة الكفر فاهمه ذلك .

وكان أقسم أن لا يرتحل عن ابن كانون حتى ينزل على حكمه
أو يهلك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص
أهل الجزيرة فعقد لولى عهده ابنه الامير يوسف ، وكان
بمراكش على الغزو اليها وكان أهل الجزيرة كما قلنا قد أحاط بهم العدو
برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعميت عليهم الانباء الا ما يأتيهم به الحمام
من جبل طارق ، وفنى أكرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الاسوار
وشدة الحصار حتى أشرف بقيتهم على الهلاك وأيسوا من الحياة ، فحينئذ
جمعوا صبيانهم وختنهم كما مر وبينما هم على ذلك قدم الامير يوسف
بجيوشه الى طنجة وكان قدومه فى اوائل صفر من سنة ثمان وسبعين
وستمائة

وكان السلطان يعقوب لما بعث ابنه الامير يوسف الى طنجة قد كتب الى
الثغور باعداد الاساطيل وعمارتها وتوجيهها اليه وقسم الاعطاءات وحض
الناس على النهوض فتوفرت هم المسلمين على الجهاد وأجابوا من كل
ناحية ، وأبلى الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبته لما بلغه الخطاب من
السلطان فى شأن الاساطيل البلاء الحسن ، وقام فيه المقام المحمود ، فهيا خمسة
وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم الى الشيخ فركبوا
البحر أجمعون ولم يبق بسبته الا النساء والشيوخ والصبيان ، ورأى ابن
الاحمر ما نزل بأهل الجزيرة واشراف الطاغية على أخذها فندم على ممالاته
اياه وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالقة فكانت اثني عشر اسطولا

فبعثها مددا للمسلمين ، وقدم من بادس وسلا وآنفي خمسة عشر أسطولا
 فنهض في الوقت اثنان وسبعون أسطولا واجتمعت كلها بمرفا ستة وقد
 أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زى وأكمل استعداد ثم تقدمت الى طنجة
 ليراها الامير يوسف فشاهدها وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة من أبطال
 نى مرين رغبوا في الجهاد .

ثم أقفلت الاساطيل عن طنجة ثامن ربيع الاول سنة ثمان وسبعين
 وستمائة وانتشرت قلوبهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم
 بمرفا جبل الفتح وصبحوا العدو وأساطيله يومئذ تناهز أربعمائة فظاهروا
 المسلمون في دروعهم وأسبغوا من شكهم وأخلصوا لله
 عزائمهم وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطبائهم وذكر صلحاؤهم ، والتحم
 القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل ففسدت
 أفروطنهم واحتل مصافهم وانكسفوا وتساقطوا في عباب البحر ، فاستلحمهم
 السيف وغشيهم اليم واستولى المسلمون على أساطيلهم فملكوها وأسروا
 قائدها المند في جماعة من حاشيته ، واستمر مثقفا بفاس حتى فر بعد ذلك
 وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد أفروطة العدو وهلاكها .

ولما رأى عسكر الطاغية الذي في البر ما أصاب أهل البحر منهم من القتل والاسر
 داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الامير يوسف عليهم اذ كان مقيما بساحل
 طنجة مستعدا للعبور فقوضوا أبنيتهم وأفرجوا عن البلد لحينهم وانتشر
 المسلمون والنساء والصبيان بساحة البلد كأنما نشروا من قبر وغلبت مقاتلتهم
 كثيرا من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الحنطة والادام والفواكه ما ملأ
 أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحي

وأجاز الامير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل الجزيرة وأرهب
 العدو في كل ناحية لكنه صده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى
 أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل يده بيده لمنازلة غرناطة دار ابن الاحمر
 فاجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بنه وموجدة على ابن الاحمر في مدد أهل

الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك واحكامه فأجازهم الامير يوسف الى أبيه وهو بناحية مراکش فغضب لها وأنكر عنى ابنه وزوى عنه وجهه رضاه ، وأقسم أن لا يرى أسقفا منهم الا ان يراه بارضه ورجعهم الى طاغيتهم مخفي السعى كاسفى البال

ووصلت فى هذه السنة هدية السلطان أبى زكرياء يحيى الواثق الحفصى مع أبى العباس الغمارى حسبما مرت الاشارة اليه قبل هذا

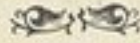
ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله رجع الى فاس وبعث خطابه الى الافاق مستفرا للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وسنمائه حتى انتهى الى طنجة وعابن ما اختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وماجرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثه نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ، ومن فيها وكان قد أمر أمره فى هذه المدة وظاهره أعداء ابن الاحمر من بنى اشقيلولة وغيرهم عليه حتى حاصروا غرناطة ومرج أمر الاندلس ونغلت أطرافها وأشفق السلطان يعقوب رحمه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الاحمر مما ناله من خسف الطاغية فراسله فى المواعدة واتفق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة التى خادع عنها ابن محلى كما تقدم ، فامتنع ابن الاحمر وأساء الرد فى ذلك فرجع السلطان يعقوب الى ازالة العوائق عن شأنه فى الجهاد وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية ابن اذفونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن الغزو فبعث الى يغمراسن يسأله عن الذى بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة ، فلج فى الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدو الاندلسية مسلمهم وكافرهم من الوصلة وأنه معزم على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة أشهر من حلوله بطنجة فدخلها آخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحججة عليه وقال له فيما خاطبه به : «الى متى يا يغمراسن هذا النفور والتمادى فى الغرور؟ أما آن أن تشرح الصدور وتنقضى هذه الشرور؟» فى

كلام غير هذا فصم يغمراسن عن ذلك كله ولم يرفع به رأسا ، ولما أيسر السلطان يعقوب من أفلاعه ورجوعه نهض اليه من فاس آخر سنة تسع وسبعين وستمائة وقدم ابنه الامير يوسف في العساكر وتبعه فأدركه بتازا ، ولما انتهى الى ملوية تلوم أياما في انتظار العساكر ثم ارتحل حتى نزل وادي تافنا وصمد اليه يغمراسن بجموع زناتة والعرب بحللمهم ونجمهم وشانهم ونعمهم والتقت طوالع القوم أولا فكانت بينهما حرب ثم ركب على آثارهما العسكران والتحم القتال سائر النهار ، وكان الزحف بالموضع المعروف بالملعب من أحواز تلمسان ثم انكشف بنو عبد الواد عند ما أراح القوم واتهب معسكرهم بما فيه من الكراع والسلاح والفساطيط والمتاع وبات عسكر السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جيادهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم ، واكسخت أموال العرب الناجمة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلاأت أيدي بني مرين من شانهم ونعمهم وتوغلوا في أرض يغمراسن ، ووافاه هناك محمد بن عبد القوى أمير بني توجين لقيه بناحية القصبات وعانوا جميعا في بلاده تخريبا ونهبا ثم أذن السلطان يعقوت لبني توجين في اللحاق ببلادهم وأخذ هو بمخنق تلمسان محاصرا لها حتى يصل محمد بن عبد القوي الى مأمنه من جبل وانشريس خوفا عليه من غائلة يغمراسن واتباعه اياه ، ثم أفرج عنها وقل الى المغرب فدخل حضرة فاس في رمضان سنة ثمانين وستمائة ، ثم نهض الى مراكش فدخلها فاتح سنة احدى وثمانين بعدها فبنى بها بامرأة مسعود بن كانون السفيناني لانه كان قد هلك قبل هذه السنة وسرح ابنه الامير يوسف الى السوس لتدوين أقطاره ثم وافاه وهو بمراكش صريخ الطاغية على ما نذكره الان



الجواز الثالث للسلطان يعقوب إلى الأندلس مغيثا للطاغية

ومفتنما فرصة الجهاد



لما كان السلطان يعقوب رحمه الله بمراكش سنة احدى وثمانين وستمائة قدم عليه كتاب طاغية الاصبنيول واسمه هراندة مع وفد من بطارفته وزعماء دولته مستصرخا له على ابنه سانجة الخارج عليه في طائفة من النصارى وأنهم غلبوه على أمره زاعمين بأنه شاخ وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستنصره عليهم ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من يدهم فأغتم السلطان يعقوب هذه الفرصة في الحال وجعل جوابه نفس النهوض والارتحال فسار معهم لم يعرج على شيء حتى أتى قصر المجاز وهو قصر مصمودة فعبّر منه واحتل لوقه بالجزيرة الخضراء في ربيع الثاني من سنة احدى وثمانين المذكورة وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد واجتمعت عليه مسالحة الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عباد وهناك قدم عليه الطاغية هراندة ذليلا لعزة الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكرم موصله وأكرم وفادته .

وذكر ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الأئبات :
 « ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان رحمه الله بماء ففسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرننج ثم التمس الطاغية من السلطان أن يمدّه بشيء من المال ليستعين به على حربته ونفقاته ، فأسلفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه ، قال ابن خلدون : «وبقى هذا التاج بدار بنى يعقوب بن عبد الحق فخرا للاعقاب لهذا العهد» قلت : «وما أبعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطارد بن حاجب التميمي الذي لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين الهمم العربية والعجمية من البون وحال الفريقين في الابتذال والصون»

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها يومئذ سانجة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفته فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتقل في جهاتها وبعث سراياه الى جيان فأفسدوا زروعها ثم ارتحل الى طليطلة فعات في جهاتها وخرّب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى اثنى فامتلات أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها فقتل السلطان من أجل ذلك الى الجزيرة فاحتل بها في سبعين وأقام بها الى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسمح الدهر بمثلها وفي هذه السنة توفي يغمراسن بن زيان على ما في القرطاس . وذكر ابن خلدون : أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له : « يا بني ان بنى مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لاطاقة لنا بلقائهم فإياك أن تحاربهم فان مددهم موفور ومددك محصور ولا يفرنك اني كنت أحاربهم ولا أنكص عن لقائهم لانى كنت أخشى معرفة الجبن عنهم بعد التمرس بهم والاجترأ عليهم وأنت لا يضرك ذلك لانك لم تحاربهم ولم تمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بها ملكك وتكافىء حشد العدو بحشدك » قال : « فعمل ابنه عثمان على وصيته وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس فسي جوازه الرابع فعقد معه السلم على ما أحب وانكفا راجعا الى أخيه فطابت نفسه وتفرغ لافتتاح البلاد الشرقية



انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب في ذلك



لما اتصلت يد السلطان يعقوب رحمه الله بيد الطاغية وقام معه في ارتجاع ملكه خشي ابن الاحمر عاديته فجنح الى موالة ابنه سانجة البخارج عليه ووصل يده بيده وأكد له العقد واضطرت الاندلس نارا وفتنة بسبب هذا الخلاف ، ولما قفل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه

أجمع على منازلة مالقة التي استحوذ عليها ابن الأحمر وخذع عنها ابن محلي
فنهض السلطان إليها من الجزيرة الخضراء فاتح سنة اثنتين وثمانين وستمائة
فقلب أولا على الحصون الغربية كلها ثم أسف إلى مالقة فأناخ عليها بمساكره
وضاق على ابن الأحمر النطاق ولم تغن عنه موالاة سانجة شيئا وبدا له سوء
المغبة في شأن مالقة وندم على تناولها فاعمل نظره في الخلاص من ورطتها
ولم ير لها إلا الأمير يوسف ابن السلطان يعقوب فخاطبه بمكانه من المغرب
مستصرخا له لرفع هذا الخرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين على
عدوهم فأجابته واغتمم التوبة في مسعاء وعبر البحر إلى الأندلس في صفر
سنة اثنتين وثمانين المذكورة فوافى أباه بمعسكره على مالقة ورغب منه
السلم لابن الأحمر في شأنها والتجأ في له عنها فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في
ذلك من رضى الله عز وجل في جهاد عدوه وإعلاء كلمته ، وانعقد السلم
وانبسط أمل ابن الأحمر وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان
يعقوب إلى الجزيرة الخضراء فبث سرايا في دار الحرب فأوغلوا وأنخروا ثم
استأنف الغزو بنفسه إلى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني
من سنة اثنتين وثمانين المذكورة حتى انتهى إلى قرطبة فأنخن وغنم وخرب
العمران وافتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وترك محلته على بياسة
بالمغانم والانتقال وترك معها خمسة آلاف فارس يحمونها من كرة العدو ثم
أغذ السير في أرض قفرة ليلتين حتى انتهى إلى البرت من نواحي طليطلة
فسرح الخيل في البسائط وجالت في أكنافها ولم تنته إلى طليطلة لتناقل الناس
بكرة الغنائم وأنخن في القتل وقفل على غير طريقه فأنخن وخرب
وانتهى إلى أبدة فوقف بساحتها وقتلها ساعة من نهار فرماه عالج من خلف السور
بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها إلى معسكره ببياسة فأراح بها ثلاثا ينسف
آثارها ويقتلع أشجارها وقفل إلى الجزيرة وبين يديه من السبي والغنائم ما
يعجز عنه الوصف فدخلها في شهر رجب من السنة المذكورة فقسم الغنائم
ونقل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن
يعقوب فهلك شهيدا على شريش بسهم مسموم لشهرين من ولايته

ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ومعه ابنه أبو زيان منديل فأراح
 بطنجة ثلاثا ثم نهض الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك
 عيده ارتحل الى مراکش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي
 سلا حنظا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العز
 بنت محمد بن حازم العلوي وهي أم الامير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح
 فدفنت بشالة . ثم نهض السلطان يعقوب الى مراکش فدخلها فاتح ثلاث
 وثمانين وستمائة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن اذفونش واجتماع
 النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فتحررت همتة الى الجهاد ثم سرح
 ابنه الامير يوسف ولي عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب الذين
 بها وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزعين على الدولة فأجفلوا أمامه
 واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر
 العرب في تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا لما بلغه من اعتلال والده
 انسلطان يعقوب فوصل الى مراکش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد
 شكرا لله تعالى على نعمة العافية ، وفي هذه السنة وصل ماء عين غبولة الى
 قصبة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبي
 الحسن على بن الحاج والله تعالى أعلم



الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور الى الأندلس عرض جنوده وحاشيته
 وأزاح عنهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراکش في جمادى
 الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى
 به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر المجاز وشرع في اجازة العساكر
 والحشود من المرتزقة والمنطوعة خاتم سنته ، ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر
 من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ، ثم سار الى الجزيرة

الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادى لك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف . فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها فى العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث سرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور فتوافت لديه ولحقه حافده عمر ابن عبد الواحد بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافته حصة العزفى صاحب سبته غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولى عهده الامير يوسف باستنفاذ من بقى من أهل العدو .

وكان السلطان رحمه الله لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن عمران عيوننا فوافوا حصن القناطر وروطة واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ، ثم عقد السلطان لحافده منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بنى مرين والغز وعرب العاصم والخلط والاتبج وأعطاه الراية وبعثه لغزو اشبيلية وذلك فى يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة فغنموا ومروا بقرمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأنخنوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان فى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادى لك فرجعوا من الغنائم بما ملا العساكر بعد أن أنخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها .

ثم سرح ثامن ربيع المذكور عسكرا من خمسمائة فارس للاغارة على حصن ركش فوافوه على غرة فاكتسحوا اموالهم وسبوا ، ثم عقد تاسع ربيع ايضا لابنه ابنى معرف على الف من الفرسان وسرحه لغزو اشبيلية فساروا حتى هجموا عليها يوم المولد الكريم وتحصنت منه حاميتها بالاسوار فخرّب عمرانها وقطع أشجارها وامتلات ايدي عسكره سبيا واموالا ورجع الى محلة السلطان وهى نازلة على شريش كما قدمنا مملو الحقايب .

ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع المذكور لغزو حصن كان بالقرب من

معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو في قلة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بآلات من المساحي والفؤس ، وأمدته بالرجل من المصامدة وغزاة سبته فأفتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية والصقوا خده بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ، ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن مرتفوط قريبا من معسكره فخر به وحره بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى الاهل ، ولعشرين من شهره المذكور وصل ولي عهده الامير يوسف من العدو المغربية بنفير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان للقائهم وبرور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد فعقد السلطان لولى العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الاول المذكور وسرحه لغزو اشيلية والاثخان في نواحيها فعبأ كتابه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأتحنوا وسبوا وقتلوا وأفتحموا الحصون واكسحوا الاموال وعاج ولي العهد على الشرف والغابة من بسيط اشيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل الى معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش . وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني قدم أبو زيان منديل ابن السلطان يعقوب من المغرب في جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بنى جابر أهل تادلا مع كبيرهم يوسف ابن قيطون وفيهم من المتطوعة والناشبة عدد كثير فعقد له السلطان غداة وصوله وأمدته بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أدخلوهم البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار وأفتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشيلية فأغار واقتحم برجا كان هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلات أيدي عساكره وقفل الى معسكر السلطان على شريش ، ولثلاث عشرة ليلة

من ربيع الثاني عقد السلطان لولى العهد الامير يوسف لمنازلة جزيرة كبتور
فصمد اليها وقاتلها واقتحمها عنوة ، وفى ثاني جمادى الاولى عقد السلطان
للحاج أبى الزبير طلحة بن يحيى بن محلى وكان بعد مداخلته أخاه عمر
فى شان مائة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج ففضى فرضه ورجع ومسر
فى طريقه بتونس فاتهمه الدعى ابن أبى عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة
اثنين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع
السلطان يعقوب فعقد له فى هذا اليوم على مائتين من الفرسان وسرحه الى
اشيلية ليكون ربيثة للمعسكر وبعث معه لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين
من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية سانجة ، والسلطان يعقوب رحمه الله
أثناء هذا كله يفادى شريش ويراوحها بالقتل والتخريب ونسف الآثار
وبت السرايا كل يوم وليلة فى بلاد العدو فلا يخلو يوم من تجهيز عسكر أو اغزاء
جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران فى جميع بلاد
النصرانية وخرب بسائط اشيلية وليلة وقرمونة واستجة وجمال الشرف
وجميع بسائط الفرثيرة

وأبلى فى هذه الغزوات عياد بن أبى عياد العاصمى من شيوخ جشم
والخضر الغزى من أمراء الاكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وصيت
وكذلك غزاة سبته وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم مثل مهلهل
ابن يحيى الخلطى صهر السلطان ويوسف بن قيطون الجابرى وغير هؤلاء
ممن يطول ذكرهم

فلما دمرها تدميرا وأوسعها تخريبا ونسفها نسفا واكسحها غارة ونهبها
وهجم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر اعترم السلطان على القفول
وأفرج عن شريش لآخر جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد أن حاصرها
نحو من ثلاثة أشهر وعشرة أيام واتصل به أن العدو أوعز الى أساطيله
باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فأوعز السلطان الى جميع سواحلها
من سبته وطنجة وبلاد الريف ورباط الفتح والمنكب والجزيرة وطريف
بتوجيه أساطيلهم فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا متكاملة فى عدتها

فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء وهي المسماة اليوم بخوزيرت غرة رمضان من سنة أربع وثمانين وستمائة ونزل بقصره من المدينة الجديدة التي بناها بازائها فبرزت أساطيل المسلمين أمامه بالمرسى وهو جالس بمشور قصره فلعبوا بمرأى منه في البحر وتجاولوا وتناطحوا وتطاردوا كفعالهم ساعة الحرب فسر بذلك وأحسن اليهم وصرّفهم الى حال سيّلتهم



وفادة الطاغية على السلطان يعقوب بأحوال الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما والسبب في ذلك



قال ابن خلدون رحمه الله : لما نزل ببلاد النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدمير قراهم واكساح أموالهم وسبى نسائهم وابتادة مقاتلتهم وتخريب معاقلمهم وانتساف عمرانهم زاعت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم لهم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم سانحة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين في السلم وايفاد الملا من كبار النصرانية عليه في ذلك والا فلا تزال تصيبهم منه قارعة أو تحل قريبا من دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهزيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وهو بالجزيرة الخضراء وفدا من بطارتهم وشمامستهم يخطبون السلم ويضرعون في المهادنة والابقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم ، ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن من صاغتتهم اليه وذلكم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين

بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنه ، واستدعى السلطان الشيخ أبا محمد عبد الحق الترجمان وبعثه لاشتراط ذلك واحكام عقده فسار عبد الحق الى الطاغية سانجة وهوباشيلية فعقد معه الصلح واستبلغ وأكد في الوفاء بهذه الشروط ، ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير المسلمين وان يكون معه يدا واحدة عليه فأحضرهم الطاغية بمشهد عبد الحق وأسمعهم ما عقد مع أمير المسلمين على قومه وأهل ملته كافة ، وقال لهم : « انما أنتم عبيد آباءى فليست معى فى مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين على الحقيقة ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عن نفسى فكيف عنكم ، فانصرفوا ولما رأى عبد الحق ميله الى رضا السلطان وسوس اليه بالوفادة عليه لتمكين الالفه وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك فى سل السخيمة وتسكين الحفيظة فمال الى موافقته وسأله لقي الامير يوسف ولى عهد السلطان أولا ليطمئن قلبه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء السلطان يعقوب وكان قد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعائر الاسلام وأبهته وأن لا يلبسوا الا اليباض ، فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية

وقدم الطاغية فى جماعته سود اللباس خاضعين ذليلين فاجتمعوا بالامير بحصن الصخرات على مقربة من وادى لك وذلك يوم الاحد العشرين من شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة وتقدم الطاغية فلقية أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقي بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من طرف بلاده أتحف بها السلطان وولى عهده كان فيها زوج من الخيول الوحشى المسمى بالقليل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الطرف فقبلها السلطان وابنه وأضعفوا له المكافاة وكمل عقد السلم وقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام عليه وانقلب الى قومه بملء صدره من الرضى والمسرة وسأل منه السلطان أن يعث اليه بكتب العلم التى بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا

فيها جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية وأتعلبي ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهديب والاستذكار ومن كتب الاصول والفروع واللغة والعربية والادب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها الى فاس وتحسيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم وقفل السلطان فاحتل بقصره من الجزيرة لليتين بقيتا من شعبان ففضى صومه ونسك عيده وجعل من قيام ليله جزءاً لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم عيد الفطر بمشهد الملا في مجلس السلطان ، وكان من أسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة أبو فارس عبد العزيز المزوزي الاصل المكناسي الدار ويعرف بعزوز أتى بقصيدة طويلة من بحر الوافر على روى الباء المفتوحة المردوفة بالالف ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته وغزوات بنيه وحفدته وامتدح قبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على اختلافها وانشدت بمحضر السلطان والحاشية فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة ولئنشدها بمائتي دينار ، ثم أعمل السلطان نظره في الثغور فرتب بها المسالح وبعث ولده الامير أبا زيان منديلا ليقف على الحد بين أرضه وأرض ابن الاحمر وعقد له على تلك الناحية وأنزله بحصن ذكوان قرب مالمقة وأوصاه أن لا يحدث في بلاد ابن الاحمر حدثاً وعقد لعباد بن أبي عباد العاصمي على مسلحة أخرى وأنزله بأسطبونة وأجاز ابنه الامير يوسف الى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره ان يبنى على قبر والده ابي الملوك عبد الحق بتافرطاست زاوية فاخطت هنالك رباطا حفيلا وبنى على قبر الامير عبد الحق ادريس أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وأرضا تسع حرث أربعين زوجا رحم الله الجميع

بمنه



وفاته السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

وفى آخر ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وستمائة مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذي توفى منه فلم يزل ألمه يشتد وحاله يضعف الى ان توفى بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس فى ضحى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وستمائة وحمل الى رباط الفتح من بلاد العدو فدفن بمسجد شالة وقبره اليوم طامس الاعلام رحمه الله

بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته

كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القد معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكين كامل اللحية معتدلها أشيب نقى البياض حلما متواضعا جوادا مظفرا منصور الراية ميمون النقية لم يقصد جيشا الا هزمه ولا عدوا الا قهره ولا بلدا الا فتحه صواما قواما دائم الذكر كبير البر لا تزال سبخته فى يده مقربا للعلماء مكرما للصلحاء صادرا فى أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الامر بنى المرستانات للمرضى والمجانين ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على الكل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمى والعمى والفقراء رتب لهم مالا معلوما يقبضونه فى كل شهر من جزية اليهود وبنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده

الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى



لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه نساؤه وطيرن بالخبر الى ولي عهده الامير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاتصل به الخبر وهو بأحواز فاس فأسرع السير الى طنجة وقد مات أبوه قبل وصوله فأخذ البيعة له الوزراء والاشياخ ولما عبر اليهم البحر واحتل بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها له على الكافة فاستتب ملكه واستقام أمره ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرح السجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلمهم فيها الى أماتهم وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الانزال عن دور الرعية وصرف اعتناهم الى اصلاح السابلة فأزال أكر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب الا ما كان منها في الاقطار الخالية والمغازات المخوفة فخضعت مريـن تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه ، وكان أول شيء أحدث من أمره أن بعث الى ابن الاحمر وضرب له موعدا للاجتماع به فبادر اليه ولقيه بظاهر مربة في العشر الاول من ربيع الاول من السنة المذكورة فلقيه السلطان مربة وتكرما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملكة أبيه ونزل له عنها ما عدى الجزيرة ورندة وطريف وتفرقا من مكانهما عنى أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فقدم عليه بها وقد الطاغية سانحة مجددين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله

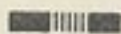
ولما تمهد للسلطان يوسف امر الاندلس عقد لآخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعقد للشيخ المجاهد أبي الحسن على بن يوسف بن يزكاتن على مسلحتها وجعل اليه أمر الحرب وأغنة الخيل وأمدته بثلاثة آلاف من بنى مريـن والعرب ثم عبر البحر الى المغرب

يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فنزل بقصر المجاز ثم سار الى حضرة فاس فدخلها ثاني عشر جمادى الاولى منها ولحين استقراره بها خرج عليه محمد بن ادريس بن عبد الحق في بنيه واخوته ومن انضم اليه ولحق بجبال ورغة ودعا لنفسه فسرح اليه السلطان يوسف أخاه أبا معروف محمد بن يعقوب فبدا له في النزوع اليهم فلحق بهم وشايهم على رأيهم من الخلاف فانزاهم السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعوث والكتائب ثم تطف في استئزال أخيه حتى نزل على الامان وفر بنو ادريس الى تلمسان فقبض عليهم أثناء طريقهم وجرى بهم في الحديد الى تازا فبعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان فقتلهم خارج باب الشريعة منها في رجب من السنة ورهب الاعياص من بني عبد الحق يومئذ وخافوا بادرة السلطان يوسف فلحقوا بقرنطة ملتفين على بني ادريس منهم ثم ارتحل السلطان في رمضان من السنة المذكورة الى مراکش لتمهيد نواحيها وتقيف أطرافها فدخلها في شوال وأقام بها الى رمضان القابل من سنة ست وثمانين وستمائة فنهض من مراکش لغزو عرب معقل بصحراء درعة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فسار اليهم في اثني عشر ألفا من الخيل ومر على بلاد هسكورة مقترضا جبل درن وأدركهم نواجع بالقفر فأتخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراکش وسجلماسة وفاس وقفل من غزوه آخر شوال من السنة المذكورة الى مراکش فنكب محمد بن علي بن محلي عاملها القديم الولاية بها من لدن انقراض الدولة الموحدية لما وقع من الارتباب بأولاد محلي بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبته غرة محرم سنة سبع وثمانين وستمائة وهلك في السجن في صفر الموالي له ، وعقد السلطان يوسف على مراکش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالى دولتهم ولاء حلف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل السلطان يوسف الى فاس فدخلها منتصف ربيع من السنة المذكورة

قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم فصركتامة والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ان بنى اشقيلولة كانوا من وجوه الاندلس وأهل الرياسة بها حتى صاهرهم ابن الاحمر بابته وأخته وقاموا معه فى اثبات قواعد ملكه ثم انحرفوا عنه الى موالاة بنى مرين ونزل محمد بن عبد الله بن أبى الحسن منهم الى السلطان يعقوب عن مالقة وكان عمه أبو اسحق بن أبى الحسن صاحب وادى آش وأعمالها واتصل ذلك فى بنيه الى أن بويع السلطان يوسف فقاموا بدعوته فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت المودة بين السلطان يوسف وابن الاحمر على ما أسلفناه آنفا فطلب ابن الاحمر من السلطان يوسف أن ينزل له عن واد آش التى هى لبنى اشقيلولة المتسكين بدعوته كما نزل له عن غيرها من الثغور فأجابه السلطان الى ذلك وكتب الى أبى الحسن بن اسحق بن اشقيلولة يأمره بالتخلى له عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته البحر الى السلطان يوسف سنة سبع وثمانين المذكورة فلقية بمدينة سلا فأعطاه السلطان يوسف القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها فلم تنزل ولايته متوارثة فى بنيه حتى انقرضوا آخر دولة بنى مرين واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم



حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان

صاحب تلمسان



قد تقدم لنا أن يغمراسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان أن لا يحدث مع بنى مرين حربا ولا يوافقهم فى زحف. ما استطاع لاستغلاظ أمرهم عليه بملكهم المغرب الأقصى وأعماله وأن عثمان قد عمل على ذلك فأوفد أخاه

محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السلم ورجع الى أخيه كما تقدم ولما ولي السلطان يوسف وقفل من مراکش الى فاس في هذه المرة بعد أن ترك ابنه أبا عامر عبد الله مع محمد بن عطوا عامل مراکش نار أبو عامر المذكور بها وخلع طاعة أبيه ودعا الى نفسه وشايه ابن عطوا عنى ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فأسرع السير الى مراکش وبرز اليه ابنه أبو عامر فأقتلوا ثم انهزم أبو عامر فعاد الى مراکش واكتسح بيت المال بها وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور فقدها سنة ثمان وثمانين وستمائة فأواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان فلبثوا عنده مليا

ثم عطف السلطان على ابنه الرحم فرضى عنه وأعادته الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطوا الناجم في النفاق مع ابنه قابسى من اضاعة جواره واخفاره ذمته وأغلظ له الرسول في القول فسطا به عثمان واعتقله فثارت من السلطان يوسف الحفائظ الكامنة وتحركت منه الاحسن القديمة والنزغات المتوارثة فاعتزم على غزو تلمسان ونهض اليها من مراکش في صفر من سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أن عقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ثم نهض من فاس اليها آخر ربيع الاخر من سنته في عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه ونصب عليه المجانيق وكان حصاره اياها في رمضان من السنة المذكورة ثم سار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بذراع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه الى تامت وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بنى يزناسن ونسك الاضحى وقربانه بتازا وتلبث بها أياما ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد على ما نذكره

انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه

لما رجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وافاه الخبر وهو بتأذا أن الطاغية سانجة قد انتقض ونبد العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور ، فأوعز السلطان الى قائد المسالحي بالاندلس على بن يوسف بن يزكاتن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية ، فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وستمائة وجاس خلالها وتوغل في أقطارها وأبلغ في النكاية .

ثم فصل السلطان يوسف من تازا غازيا أثره في جمادى الاولى من السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستفر أهل المغرب وبائله فنفروا وشرع في اجازتهم البحر ، فبعث الطاغية أساطيله الى الزقاق حجزا لهم دون الاجازة فأوعز السلطان يوسف الى قواد أساطيله بالسواحل بعمارته لمقابلة أساطيل العدو ففعلوا ، وقدمت فالتقت مع أساطيل العدو ببحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله وقتل قواد الاساطيل ، فأمر السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم أغزاهم ثانية فخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فملكته أساطيل السلطان ، فأجاز أخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا في أرض العدو ، وردد الغارات على شريش واشيلية ونواحيها الى أن بلغ في النكاية والاثخان غرضه وقضى من الجهاد وطره ، وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فأفرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة احدى وتسعين وستمائة ، فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه من الجواز مرة أخرى كما نذكره الآن .

حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر
واستيلاء الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها



لما قفل السلطان يوسف من الاندلس وقد أبلغ في نكاية العدو كما قلنا عظم على الطاغية أمره وثقلت عليه ووطأته فشرع في أعمال الحيلة قسى الافساد بينه وبين ابن الاحمر ، وكان ابن الاحمر يتخوف من السلطان يوسف أن يغلبه على بلاده فخلص مع الطاغية نجيا وتفاوضا في أمر السلطان يوسف وان تمكنه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين خفايه وتصرف شوانيهم وسفنهم فيه متى أرادوا فضلا عن الاساطيل الجهادية وان أم تلك الثغور هي طريف وانهم اذا استمكنوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عينا لهم على الزقاق وكان أسطولهم بمرفئها رسدا لاساطيل صاحب المغرب الخائضة لجة ذلك البحر ، فاعتزم الطاغية عني منازلة طريف وبها يومئذ مسلحة بنى مرين وتكفل له ابن الاحمر بمظاهرته على ذلك والتزم له بالمدد والميرة للعسكر أيام منازلتها على أن تكون له ان خلصت للطاغية ، وتعاهدوا عا ذلك واناخ الطاغية بمساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الالات من المجانيق والعرادات واحاط بها برا وبحرا ، وانقطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريخ السلطان واضطرب ابن الاحمر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب اليه المدد من الرجال والسلاح والميرة واصناف الاقوات ، وبعث عسكرا منازلة حصن اسطوبونة فتغلب عليه بعد مدة من الحصار ، واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية في الصلح والتزول عن البلد ، فصالحهم واستزلهم وتملكها آخر يوم من شوال سنة احدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بما عاهدهم عليه واستشرف ابن الاحمر الى تجافى الطاغية له عنها حسبما تعاهدا

عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بها المثل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا

اعلم أن بني وطاس فخذ من بني مرين لكنهم ليسوا من بني عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبني الوزير منهم ، وبنو الوزير يزعمون أن نسبهم دخيل في مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتوني لحقوا بالبادية ونزلوا على بني وطاس فالتحموا بهم ولبسوا جلدتهم وحازوا رياستهم ، ونما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قدمنا بقيت بلاد الريف خالصة لبني وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب ، ولما غلب الأمير ابوبكر بن عبد الحق على مكناسة وأقام فيها دعوة الحفصيين ونهض السعيد بن المأمون الموحدى من مراکش لغزوه فرأى أمامه إلى حصن تازوطا هذا ونزل به على بني الوزير هؤلاء لاجئا اليهم ومستجيرا بهم فأرادوا الفتك به غير أنه وحسدا له فشر بهم وتحول عنهم إلى عين الصفا من بلاد بني يزناسن حسبما تقدم ذلك كله

ولما انقرض أمر بني عبد المومن واستقام ملك المغرب لبني مرين صرفوا عنايتهم إلى هذا الحصن فكانوا ينزلون به من الحامية من يتقون بفنايته واضطلاعه ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط من بني وطاس لما يعلمون من سموهم إلى الرياسة وتطلعهم إليها ، وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ، وكان عمر وعامر ابنا يحيى بن الوزير رئيسين على بني وطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحدثوا أنفسهم بالثورة في ذلك الحصن والاستبداد بتك الناحية ، فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد

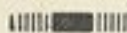
في شعبان من سنة احدى وتسعين وستمائة وفتك بحاشيته ورجاله وأزعجه عن الحصن وغلبه على ما كان بقصره من مال وسلاح ومتاع واعشار للروم كانت مخترنة هنالك وضبط الحصن وشحنه برجاله ووجوه قومه ولحق منصور بن عبد الواحد بعمره السلطان يوسف فهلك ليلال أسفا على ما أصابه .

وسرح السلطان يوسف وزيره الناصح أبا علي عمر بن السعود بن خرباش الحنمى بالحاء المهمله في العساكر لمنازلة حصن تازوطا فأناخ عليه بكلكله ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفي صحبته عامر بن يحيى بن الوزير أخو عمر النائر ، فانه كان قد نزع اليه فأحاط السلطان بالحصن وضيق عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويش من الخلاص وظن انه قد أحيط به فدس الى أخيه عامر في كشف ما نزل به ، فضمن عامر للسلطان يوسف نزول أخيه ان هو تركه يصعد اليه حتى يجتمع به فأذن له السلطان يوسف في ذلك فصعد اليه وتفاوضا في أمرهما وآخر الامر أن عمر احتمل الذخيرة وفر ليلا الى تلمسان وبدا لعامر في النزول عند ما صار في الحصن فامتنع به قيل لانه بلغه أن السلطان يوسف عزم على قتله أخذا بئار ابن أخيه منصور ولافلاته أخاه من يده

واستمر على ذلك الى أن قدم على السلطان يوسف وفد الاندلس وفيهم الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة راغبا في الصلح مع ابن عمه ومعتذرا عنه فارسي أساطيله بمرسى غساسة ونزل الى السلطان وقدم بين يده هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسى وهو في الحصن فبعث اليهم يسألهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجهتهم لديه فشفع له الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط أن ينتقل بحاشيته الى الاندلس وكره عامر ذلك فأظهر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته الى المرسى وركب أكثرهم الاسطول وتأخر عامر الى جوف الليل فنزل من الحصن وخاض الفلاة الى تلمسان فبعث الخيل أثره ففاتهم وأدركوا ولده أبا الخيل فجيء به الى السلطان يوسف فبعث به الى فاس فضربت عنقه وصلب هنالك ، وأنزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الاسطول فأمر بهم

فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقراباتهم وذرياتهم ، وتلمك
السلطان يوسف حصن تازوفا وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرته
بفاس آخر جمادى الاولى من سنة اثنين وتسعين وستمائة

ولما كان السلطان تازلا على تازوفا قدم عليه رجل من فرنج جنوة بهدية
جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل
ما صنع للمتوكل العباسي ، وفي هذه المدة سعى عند السلطان يوسف بأولاد
الامير أبي بكر بن عبد الحق وأنهم أرادوا الخروج عليه فحقد عليهم لذلك
وأحسوا بالشر ففروا الى تلمسان وأقاموا هناك الى أن بعث السلطان يوسف
إيهم بالامان فأقبلوا حتى اذا كانوا بصبرة من ناحية ملوية اعترضهم الامير
أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلحمهم اجمعين وهو يرى انه قد
ارضى اياه بذلك الفعل ، واتصل الخبر بالسلطان يوسف
فسخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريدا ببلاد الريف وجبال
غمارة الى أن هلك بنى سعيد منهم آخر سنة ثمان
وتسعين وستمائة وحمل الى فاس فدفن بالزاوية التي داخل باب الفتوح
وخلف ثلاثة أولاد عامر وسليمان وداود فكفلهم جدهم السلطان يوسف الى
أن هلك فولى الامر بعده حافده عامر وبعد عامر سليمان وسياتي ذكرهما ان
شاء الله



انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه بطنجة



لما استولى الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها وتقضى
الطاغية عهد ابن الاحمر في النزول له عنها سقط في يد ابن الاحمر وندم
على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف ، فوافده عليه ابن عمه الرئيس
أبا سعيد فرج بن اسماعيل ووزيره أبا سلطان عزيز انداني في وفد من أهل

حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف ، فوافوه
بمكانه من حصار تازوطا كما قدما فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا
الى ابن الاحمر سنة اثنتين وتسعين وستمائة باسعاف غرضه من المؤاخاة
واتصال اليد ، فوقع ذلك منه أجمل موقع وطار سرورا من أعواده ، وأجمع
الرحلة الى السلطان لاحكام العقد والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريف
والرغبة اليه في نصرة بلاد الاندلس واغاثة المسلمين الذين بها ، فتهيا لذلك
وعبر البحر في ذى القعدة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بجبل
بيونس من ناحية سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة فلقبه بها الاميران أبو عامر عبد
الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لا زال
يومئذ من أبيه بعين الرضا

ولما علم السلطان يوسف بقدمه خرج من فاس للقائه وبرور مقدمه
فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يدي نجواه هدية اتحف بها السلطان
يوسف كان من أحسنها موقعا لديه المصحف الكبير الذي يقال انه مصحف
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة
ثم خلص الى ابن الاحمر فاتحف به السلطان يوسف في هذه المرة ، فقبل
السلطان ذلك وكافاه بأضافه وبالغ في تكريمه واسعفه بجميع مطالبه واراد
ابن الاحمر أن يسقط العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن
سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفحا وبر وأحفى ووصل وأجزل ، ونزل *
لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس
كانت قبل في ملكه وملكة أبيه ، وعاد ابن الاحمر الى أندلسه آخر سنة
اثنتين وتسعين وستمائة مجبوا مجبورا وعبرت معه عساكر السلطان يوسف
لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربيها لوزيره الشهير الذكر عمر بن
السعود بن خرباش الحشمي فنازلها مدة فامتعت عليه وافرغ عنها
وفي سنة ثلاث وتسعين بعدها فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا

* في النسخة الصحيحة من ابن خلدون طبع الجزائر ان النازل من هذا الثغور هو ابن
الاحمر للسلطان يوسف وهو ما يقتضيه الحال

وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون فطارا
وعدد كؤسها خمسمائة كأس واربعة عشر كاسا ، وأنفق السلطان في بناء
الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهبا

وفي سنة أربع وتسعين بعدها خرج السلطان يوسف لغزو تلمسان فوصل
الى تاوريرت وكانت تخما لعمل بنى مرين وبنى عبد الواد ، فنصفها للسلطان
يوسف ونصفها لعثمان بن يغمراسن ولكل واحد منهما بها عامل من ناحيته
فطرد السلطان يوسف عامل ابن يغمراسن وشرع في بناء الحصن الذي هنالك
فأدار سوراه وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بنائه
بنفسه من صلاة الغداة الى المساء لا يغيب عن العملة الا في أوقات الضرورة ،
وفرغ من بنائه وتحصينه في رمضان من السنة المذكورة ولما تم شحنه
بالسك والصلاح وعقد عليه لآخيه أبى بكر بن يعقوب ويكنى أبا يحيى وانكفا
راجعا الى الحضرة ، ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعدها بقصد
تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها وشد في قتالها ورمها
بالمجنيق اربعين يوما فامتعت عليه فأفرج عنها ثانی عيد الفطر من السنة
المذكورة ، ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فسار الى تلمسان وبرز
عثمان بن يغمراسن لمدافته فانهزم وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف
حتى نزل على تلمسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقلع عنها ورجع الى المغرب
فقضى نسك الاضحى من السنة المذكورة برباط تازا وأمر ببناء القصر بها ،
وسار الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكناسة
فقضى بها بعض الوطر ثم عاد الى فاس ، ثم خرج منها في جمادى الاولى من
السنة المذكورة غازيا تلمسان ومر في طريقه بمدينة وجدة فأمر ببنائها وكان
أبوه السلطان يعقوب قد هدمها كما مر فبناها السلطان يوسف في هذه المرة
وحصن اسوارها وبنى بها قسبة ودارا لسكناه وحماما ومسجدا ثم سار الى
تلمسان فنزل بساحتها وأحاطت عساكره بها احاطة الهالة بالقمر ونصب
عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار اخترعها
المهندسون والصناع وتقربوا الى السلطان بعملها فأعجبه وكانت تحمل على

أحد عشر بقلا ولما امتنت تلمسان عليه أفرج عنها فاتح سنة ثمان وتسعين
وستمائة ومر في عوده الى المغرب بوجوده فأنزل بها الحامية من بنى عسكر
ابن محمد لنظر أخيه الامير أبى بكر بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأمرهم
بشن الغارات على أعمال تلمسان مع الساعات والاحيان ففعلوا واستولى الامير
أبو بكر بذلك على أكثر تلك الجهات والله تعالى أعلم

■

فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب في ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على فتح جبل تينملل أن أبا علي الملياني كان قد
سمى في نبش قبور بنى عبد المومن والبعث باشلائهم وأن الناس قد عاضهم
ذلك لاسيما المصامدة منهم ، ولما هلك السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف
استعمل ابا علي الملياني على جباية المصامدة فباشرها مدة ثم سعى به شيوخ
المصامدة عند السلطان بأنه احتجن المال لنفسه ، فأمر السلطان بمحاسبته
فحوسب وظهرت مخايل صدقهم عليه فنكبه السلطان يوسف أولا ثم قتله
ثانيا ، واصطنع ابن أخيه أبا العباس(*) أحمد بن علي الملياني واستعمله في
كتابه وأقامه بيابه في جملة كتابه ، وكان السلطان يوسف قد سخط على بعض
شيوخ المصامدة منهم علي بن محمد كبير هتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير
قدميوه وأوعز الى ابنه الامير علي بن يوسف بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما
فيمن لهما من الولد والحاشية ، وأحسن بذلك أحمد بن الملياني فاستعجل
النار الذي كان يعتده عليهم في عمه أبى علي

وكانت العلامة السلطانية يومئذ موكولة الى كتاب الدولة لم تختص
بواحد منهم لما كانوا كلهم ثقات أمناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط
فكتب احمد بن الملياني الى الامير ابى علي كتابا على لسان والده يأمره فيه
أمرا جزما بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليه العلامة

* انظر ترجمته في الاحاطة ج - ١ - ص ١٤٩

التي تنفذ بها الاوامر السلطانية وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، قال ابن الخطيب : « ولما أكد على حامله في العجل وضايقه في تقدير الاجل تأني حتى اذا علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهي بحال حصارها فاتصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب الناس من فراره وسوء اغتراره ورجمت الظنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شنعاء على الايام وعارا في الاقاليم على حملة الأقاليم ، اه ولما وصل الكتاب الى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين الى مصارعهم وحكم السيف في رقاب جميعهم فقتل على بن محمد الهنتاني وولده وعبد الكريم بن عيسى القديمي وبنوه الثلاثة عيسى وعلي ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد ، وطير الامير على بالاعلام التي والده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتثل الامر واستوجب الشكر فلما وصل الرسول بالخبر الى السلطان يوسف بطش به فقتله غيظا عليه وأنفذ البريد في الحال باعتقال ولده وقام وقعد لذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على من يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم ، وجعلها يومئذ للفقير الكاتب أبي محمد عبد الله بن أبي مدين وكان من الكفاة المضطلمين بأمور الدولة المتحملين للكثير من أعبائها ، وأما ابن الملياني فانه فر الى تلمسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الافراج عنها بعد حين انتقل الى الاندلس فبقى هنالك الى أن توفي بفرنطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يفخر بهذه الفعلة وغيرها قوله :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| العز ما ضربت عليه قبابي | والفضل ما اشتملت عليه ثيابي |
| والزهر ما أهداه غصن يراعتي | والمسك ما أبداه نفس كتابي |
| فالمجد يمنع أن يزاحم موردي | والعزم يأبى أن يضام جنابي |
| فاذا بلوت صنيعة جازيتها | بجميل شكرى او جزيل ثوابي |
| واذا عقدت مسودة اجريتها | مجري طعامي من دمي وشرابي |
| واذا طلبت من الفراقد والسهي | نارا فأوشك أن أنال طلابي |

الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الاحداث على تلمسان



تقدم لنا أن السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلمسان فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة مر في طريقه بوجدة فأنزل بها الحامية من بنى عسكر الى نظر أخيه الامير أبى بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بنى زيان فامتثل الامير أبو بكر أمره والى على النواحي بالغارات وافساد السابلة ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا وأوفدوا وفدا منهم على الامير أبى بكر يسألونه الامان لهم ولبن وراهم من قومهم عنى أن يمكنهم من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان يوسف فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ، ونهض الى البلد فدخله بعسكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الامير أبو بكر جماعة من أهل البادين على أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصف رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأدوا طاعتهم قبلها ، ورجعوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم عثمان بن يغمراسن ووصفوا له من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما أكد عزمه على النهوض ، فنهض لجنه من فاس فى رجب المذكور بعد أن استكمل حشده ونادى فى قومه وعرض عسكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عليلهم ، وسار فى التبية حتى نزل بساحة تلمسان ثمانى شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة فأناخ عليها بكللكه وربض قبالتها على ترائبه وأنزل محلته بفنائها وأحاط بجميع جهاتها ، وتحصن يغمراسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار .

ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران وصيرها فى وسطه ، ثم أرفد ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالح تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يختلف الى تلمسان برفق أو يتسلل اليها بقوت وأخذ بمخنتها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لا بل الطيف ، واستمر مقيما عليها كذلك مائة شهر ، ولما دخلت

سنة اثنتين وسبعمائة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبائه قسرا لسكناء واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليهما سورا يحرزهما ، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحية والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجروا المياه ، وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان ، وابتنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رفيعا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب صير عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة ، فكانت من أعظم أمصار المغرب وأحفلها الى أن خربها آل يفراسن عند مهلك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها ، ولما تمكن السلطان يوسف من حصار تلمسان سرح كتائبه وسراياه في أعمالها وحصونها فاستولى في مدة قريبة على ندرومة وهنين ووهران وتلموت وتامزردكت ومستغانم وتيس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة ووانشريس ومليانة والقصبات ولمدية وتافرغيت ، وجميع بلاد بني عبد الواد وبلاد بني توجين وبلاد مغراوة ويايمه ابن علان صاحب الجزائر وأخذ رعبه بملوك النواحي ، وكانت دولة بني أبي حفص يومئذ قد انقسمت بقسمين فصار كرسى منها بتونس وآخر ببجاية فتنافس صاحب تونس وصاحب بجاية في مصانعة السلطان يوسف والتقرب اليه بالهدايا والتحف وصار السلطان يوسف في ذلك الوقت ملك المغرب على الحقيقة والاطلاق والله غالب على أمره

نكبة بني وقاصة من يهود فاس

كان بنو وقاصة هؤلاء من يهود ملاح فاس وكانوا مداخلين للسلطان يوسف من صغره الى كبره ، وكانوا يتولون قهزمة داره ويقضون أمورهم الخاصة به ويخلصون الى الكثير من باطن أمره ، قد التحموا به التحاما

وامتزجوا به امتزاجا يجالسونه في خلواته وينادمونه في أنسه ، فغظم
 جاههم عند الحاشية لأقبال السلطان عليهم واستتبعوا الوزراء فمن دونهم من
 رجال الدولة ، وتعددت فيهم الرؤساء والقهارمة فكان منهم خليفة بن وقاص
 وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتي وابن عمه خليفة الاصغر وغيرهم
 واستمروا على ذلك برهة من الدهر ، ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقا
 والتفت اليهم التفاتة وراجع بصيرته في شأنهم فأهمه أمرهم وشعر كاتبه بذلك
 القائم بأمور دولته أبو محمد عبد الله بن أبي مدين ، فسعى عنده فيهم
 وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة منكرا واعتقلوا في شعبان من سنة
 احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه
 ابراهيم وموسى بن السبتي واخوته بعد أن امتحنوا ومثل بهم وأتت النكبة
 على حاشيتهم وأقاربهم فلم تبقى منهم باقية ، الا أن السلطان استبقى منهم
 خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما تذكره ، وعبث بسائرهم
 وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرفة رياستهم والامور بيد الله
 سبحانه

ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعمائة توفي عثمان بن يغمراسن في الحصار
 عقب شربة لبن يقال أنه جمل فيها سما وشربه فعل ذلك بنفسه تقاديا من معرفة
 غلبة عدوه عليه ، فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وبايعوا ابنه محمد بن عثمان
 واجتمعوا عليه ثم برزوا الى قتال عدوهم على العادة حتى كان عثمان لم يمت
 وبلغ الخبر الى السلطان يوسف فتفجع على عثمان وعجب من صرامة قومه من
 بعده

﴿ الاستقصا ناك 6 ﴾



انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة

كان محمد بن الاحمر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبعمائة ، وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ، وكان من أول ما فعله محمد المخلوع بعد استقلاله بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف فأوفد عليه وزير أبيه أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم ، فوصلا الى السلطان يوسف بمعسكره من حصار تلمسان فلقاهما بالقبول والمبرة وجددت لهما أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهما خير منقلب وطلب السلطان منهما أن يمدوه بالرجل من عسكر الاندلس وناشبتهم المعودين منازل الحصون والمناغرة بالرباط فأسغفوه ، ثم فسد ما بينهما لمنافسات جرت الى ذلك فانتقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الطاغية وممالاته على المسلمين أهل المغرب وأحكم العهد مع هراندة بن سانجة من بني اذفونش ملوك قشتالة خذلهم الله

ثم أوغر ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة في اعمال الحيلة في الغدر بأهل سبتة ففعل ، وداخل في ذلك بعض عمال بني العزفي بها فأمكنه من البلد فاقتمها بأساطيله وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بني العزفي وعلى حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فلقاهم ابن الاحمر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقروا بالاندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف اطرافها وسد ثغورها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف فحمى أنفه وعظم عليه الامر فبعث ولده الامير أبا سالم ابراهيم في جيش كثيف الى حصارها وحشد اليها قبائل الريف وقبائل تازا فلم يفت شيئا ورجع مهزوما فسخطه السلطان لذلك وأهمله وبقي على ذلك الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتقاض ابن الاحمر سنة ثلاث وسبعمائة

ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة

كان عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الحق من أعياص الملك المريني وكان قد قدم من الاندلس في صحبة الرئيس أبي سعيد عند استيلائه على سبتة ثم تار بعد ذلك ببلاد غمارة ودعا لنفسه وبقي متنقلا هنالك مدة ، فتغلب على تكساس وآصيلا والعرايش واتفى الى قصر كامة وخب فى الفتنة ووضع الى أن الحق بالاندلس لاول دولة السلطان أبى الربيع فولى بها مشيخة النزاة وكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء كما سياتى ان شاء الله .

وفى سنة ثلاث وسبعمائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان ركب الحاج المغربى الى الحرمين الشريفين ، واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة فارس من الابطال ، وخطب صاحب الديار المصرية لمهده وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من ممالك بنى أيوب المعروفين بالبحرية ، واستوصاه بحاج أهل المغرب وأتحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة يقال كان عدد الخيل والمطايا أربعمائة الى غير ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مصحفا ضخما اعتنى به واستكبه وجعل له غشاء مكللا بنفيس الدر وشريف الياقوت ورفيع الاحجار ، ونهج السلطان يوسف رحمه الله بهذا الركب والهدية السبيل لحاج المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها فاجتمع منهم عدد وافر وركب ضخم فمقد السلطان يوسف على دلائهم لابی زيد الففارى وفصلوا من تلمسان فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وفى شهر ربيع الاخر بعده قدم حاج الركب الاول الذين حملوا المصحف والهدية ووفد معهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد لبيدة بن أبى نمى نازعا عن سلطان الترك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه حميضة ورميثة بعد مهلك أبيهم أبى نمى صاحب مكة ، فاستبلغ السلطان يوسف فى اكرامه والتنويه بقدره وسرحه الى المغرب ليجول فى أقطاره

ويطوف على معالم الملك وقصوره ، وأوغز الى الغمال بالبرور به واتحافه على ما يناسب قدره ، ورجع هذا الشريف الى حضرة السلطان من تلمسان سنة خمس وسبعمائة ثم فصل منها الى مشرقه ، وفي شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الثاني ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد آسفهم بالتقبض على اخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظهم السلطان وأهدوا الى السلطان يوسف نوبا من كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه نوبا للبوسه في الجمع والاعياد كان يستبطنه بين ثيابه تبركا به

وأما الملك الناصر صاحب مصر فانه كافأ السلطان يوسف على هديته بأن جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما وأوفد به مع عظماء دولته وفصلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبعمائة فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بالمنصورة في جمادى الآخرة سنة ست بعدها واهتز لقدمهم وأركب الناس لقيهم وأكرم وفادتهم وبعثهم الى المغرب للتطوف به على العادة في مبرة أمثالهم ، وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الامر الى حافده أبي ثابت فاحسن منقلبهم وملا حقائقهم وفصلوا من المغرب الى بلادهم في ذي الحجة من سنة سبع وسبعمائة ، ولما انتهوا الى بلاد بنى حسن في ربيع من سنة ثمان بعدها اعترضتهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم وخلصوا الى مصر بجريمة الذقن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يوبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئا



وفاة السلطان يوسف رحمه الله

كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ فى جملة حاشيته ومماليكه خصيا اسمه سعادة وكان هذا الخصى قد تصير اليه من جهة أبى على المليانى أيام كان عاملا له على مراکش وكان السلطان يوسف فى ابتداء أمره يخلط الخصيان بأهله ولا يحجبهم عن حرمه وعياله ثم حدثت للسلطان ريبة فى بعض الخصيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم عنبر الكبير عرفهم ، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسولت لهذا الخصى الخيىث نفسه الشيطانية افتك بالسلطان فعمد اليه وهو فى بعض حجر قصره فاستاذن عليه فأذن له فالقاه مستلقيا على فراشه مختضا بخساء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء فى أثره فأدركه من العشى بناحية تاسلة قبض عليه وجيء به الى القصر فقتله العبيد والحاشية وصابر السلطان يوسف منيته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذى القعدة من سنة ست وسبعمائة (*) وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة الى الان

وبموت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يعمراسن وقومهم من بنى عبد الواد وسائر أهل تلمسان وكانت المدة فى ذلك مائة شهر كما قلنا نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران ، حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقوف للوقود وغلت أسعار الأقوات والجبوب وسائر المرافق بما

* وزعم التونسي ان رجلا ممن يشار لهم بالصلاح من اهل أغمات جاء الى السلطان يوسف وهو تحت اسوار تلمسان ورضب منه ان يرفع الحصار عن بنى زيان فرفض السلطان طلبه فتأثر الرجل من ذلك وانصرف وهو يقول : « سيحدث بعد حادث يكون فيه ما طلبت » ثم ساق ذكر فتك الخصى بعد بالسلطان يوسف رحمه الله

تجاوز حد العادة وعجز وجدهم عنها فكان ثمن مكيال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمان الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمان المثقال ومن الخيل بعشر المثقال والرطل من الجلد البقرى مئة أو مذكى بثلاثين درهما والهرا الداجي بمئتين ونصف والكلب بمئته والفأر بعشرة دراهم والحية بمئتين كذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والاقوية من الزيت باثني عشر درهما ومن السمن بمئتها ومن الشحم بعشرين درهما ومن الملح بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن الفت بخمسة عشر درهما والواحدة من القناء والفقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين ، واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاعت أحوالهم وهلكت حاميتهم فاعتزموا على الالتقاء باليد والخروج للاستماتة فهيا لله لهم الصنع الغريب ونفس عن مخفقهم بمهلك السلطان يوسف على يد الخصي المريب وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأنما نشروا من القبور وكتبوا بعد هذه الحادثة في سكتهم : « ما أقرب فرج الله » استغرابا لها (*)

قال ابن خلدون : حدثني شيخنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي قال: جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يفراسن صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء سابع ذى القعدة في زاوية من زوايا قصره يفكر واستدعى ابن جحاف خازن الزرع فسأله كم بقي من الاهراء والمطامير المحتومة فقال له : انما بقي عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمان ذلك وبينما هم يتذاكرون في ذلك دخل عليهم أخوه أبو حموا فأخبروه بذلك فوجم وجلسوا سكوتا لا ينطقون واذا بدعد قهرمانه القصر وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبي

* ذكر صاحب بغية الرواة انه بلغ في هذا الحصار عدد موتى اهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مائة الف وعشرين الف ص ١٢٥ طبع الجزائر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣

اسحق حظية أبيهم قد خرجت من القصر اليهم وحيثهم وقالت لهم : « تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم : » ما لنا والبقاء وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الافواق ناقة لمصارعكم فأريحونا من معرة السبى وقربونا الى مصارعنا وأريحوا أنفسكم فينا فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم» فالتفت أبو حموا الى أخيه أبي زيان وكان من الشفقة بمكان فقال : « قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن» فقال : « ياموسى أرجئنى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورنى بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित ويقضى الله ما شاء » فغضب أبو حموا وانكر عليه التأخير فى ذلك وقال : « انما نحن والله تتربص المعرة بهن وبأنفسنا » وقام عنه مفضبا وجهش السلطان ابو زيان بالبكاء قال ابن جحاف : « وأنا بمكانى بين يديه لأملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راغنى الا حرسى بالباب يشير الى أن أعلم السلطان بمكان رسول جاء من محلة بنى مرين وها هو بسدة القصر » قال ابن جحاف : « فلم أطق رد جوابه الا بالاشارة » واتبه السلطان من همسا فزعا فأعلمته فاستدعاه للحين فلما وقف بين يديه قال : « ان السلطان يوسف بن يعقوب هلك الساعة وأنا رسول حافده أبى ثابت اليكم » فاستبشر السلطان أبو زيان واستدعى أخاه وقومه حتى بلغ الرسول المذكور رسالته بمسمع منهم فكانت احدى المغربات فى الايام وكان من خبر هذه الرسالة أن السلطان يوسف لما هلك تطاول للامر بعده القرابة من اخوته وولده وحفدته وتحيز حافده أبو ثابت الى بنى ورتاجن لخوالة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوبوا عليه وبعث الى بنى زيان أن يعطوه آلة الحرب ويكونوا مفزعا له ان أخفق مسعاه على أنه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مرين وافرغ عنهم ، فعاقبوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التى كان السلطان يوسف غلب عليها من بلادهم ورحلوا الى مغربهم والله غالب على أمره



بقية اخبار السلطان يوسف وسيرته



كان السلطان يوسف رحمه الله أبيض حسن القد مليح الوجه أفنى
الانف مهيا لا يكاد أحد يبدأ بالكلام جوادا مشفقا على الرعية متفقدا لحوالها
شجاعا شهما ذا عزيمة .

إذا هم ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
وهو أول من هذب ملك بنى مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك
وكان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل اليه إلا بعد الجهد ، ومن أعيان كتابه
الكتاب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني ، ومن أعيان شعرائه أبو
الحكم مالك بن المرحل السبتي وأبو فارس عبد العزيز الملزوزي المكناسي
وغيرهما والله تعالى أعلم

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث (ففي سنة ست وخمسين
وستمائة) وهي السنة التي بوجع فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كان
الرخاء المفرط بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيرها ربع منه بدرهم
والقمح ستة دراهم للصحفة والشعير ثلاثة دراهم للصحفة ، وأما القطنى
فلم يكن لها ثمن والعسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم
والزبيب درهم ونصف للربع والتمر ثمانية أرطال بدرهم واللوز صاع بدرهم
والشابل الطرى فردة بقيراط والملح حمل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية
بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وهكذا
وفى سنة احدى وستين وستمائة ظهر النجم أبو الذوائب وكان ابتداء
ظهوره ليلة الثلاثاء الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقي يطلع كل ليلة
وقت السحر نحو من عشرين يوما

وفى سنة أربع وستين وستمائة كان دخول الشريف المولى حسن بن
قاسم الحسنى من أرض ينبع الحجاز الى سجلماسة وهذا الشريف هو جسد
الاشراف العلويين السجلماسيين ملوك المغرب الاقصى فى عصرنا هذا أعلى

الله تعالى قدرهم وخلص مجدهم وفخرهم ، وعند الكلام على دولتهم السعيدة
نذكر كيفية دخول هذا الشريف الى المغرب والسبب فيه ان شاء الله
وفي سنة ست وستين وستمائة سرق من بيت المال بقصبة فاس اثنا عشر
ألف دينار وثلاث قلائد يساوين أكثر من ذلك

وفي حدود السبعين وستمائة كان ظهور البارود على ما مر من أن
السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماسة في هذه المدة والله تعالى
أعلم

وفي سنة سبع وسبعين وستمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد ،
وفي سنة تسع وسبعين وستمائة علقته به ثرياه وذلك يوم السبت السابع
والعشرين من ربيع الاول منها ووزن هذه الثريا سبعة قناطير وخمسة عشر
رطلا وعدد كؤوسها مائتا كأس بالثنية وسبع وثمانون كأسا وفيها كان الجراد
العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الارض وبلغ
القمح عشرة دراهم للصاع

وفي سنة ثمانين وستمائة بنيت قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريـج
وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس
قنطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذي
توفيت فيه الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوية من بني علي بن عسكر
وهي أم السلطان يوسف ففات الله العباد وأحیی برحمته البلاد

وفي سنة خمس وثمانين وستمائة بنيت قصبة تطاوين وفيها ركبت
الناعورة الكبرى على وادي فاس شرع في عملها في رجب من السنة
المذكورة ودارت في صفر من السنة بعدها

وفي سنة ست وثمانين وستمائة بنى سور قصر المجاز وركبت أبوابه
وفيها غرس بستان المصارة بفاس الجديد وبنيت الدار البيضاء بها أيضا
وفي سنة تسع وثمانين وستمائة كانت الرياح الشرقية المتوالية الهبوب
ونشأ عنها القحط الشديد واستمر ذلك الى آخر سنة تسعين بعدها فرحم الله
بلادها وعباده وفيها توفي الشيخ الصالح أبو يعقوب الأشقر بالكندرتين من

بلاد بني بهلول من أحواز فاس ولعل أبا يعقوب هذا هو الذي تنسب إليه
الحمة التي قدمنا الكلام عليها في أخبار المنصور الموحدى والله أعلم وفيها
بني المسجد الجامع بمدينة تازا وبنيت قبة مكناسة الزيتون ورباعها

وفي سنة احدى وتسعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال له (*) وصيره عيداً من الاعياد
في جميع بلاده وذلك في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وكان الامر
به قد صدر عنه وهو بصيرة من بلاد الريف في آخر صفر من السنة فوصل
برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبي الصبر واعلم أنه قد
كان سبق السلطان يوسف الى هذه المنقبة المولدية بنو العزفي أصحاب سبنة
فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم

وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة كان كسوف الشمس وذلك قـرب
زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة كسف منها
نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من فاس الخطيب
أبو عبد الله بن أبي الصبر حتى انجلت فخرج من المحراب ووقف بازائه
فوعظ الناس وذكرهم وفي هذه السنة رفعت أيدي الموثقين من الشهادة بفاس*
ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلاً من أهل العدالة والمعرفة وكانوا
قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادي عشر من شوال من
السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد
المغرب وافريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاثة وأربعة على المغتسل
وبلغ القمح عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواق بدرهم وأمر السلطان
يوسف بتبديل الصيعان وجعلها على مد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك

(*) يعنى بالمغرب واما بالمشرق فاول من احداثه الملك المظفر صاحب اربيل في
اواخر المائة السادسة انظر ترجمته في حرف الكاف من وفيات الاعيان .
* وذكر في الفائق ان السلطان ابا عنان المريني الاتي امر بالاقصاار على عشرة
من اليهود بمدينة مكناسة انظر تمام كلامه

بالحضرة على يد الفقيه أبي فارس عبد العزيز الملزوزي الشاعر المشهور .
 ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة فيها صلح أمر الناس وانجبرت
 أحوالهم ورخصت الاسعار في جميع الامصار فبيع القمح بعشرين درهما
 للصحفة وفي هذه السنة كسفت الشمس أيضا الكسوف الكلي بحيث غاب
 قرص الشمس كله وصار النهار ليلا كالحالة التي تكون ما بين العشاءين
 وظهرت النجوم وماج الناس وضافت نفوسهم ولولا أن الله سبحانه تداركهم
 بسرعة انجلائها لهلكوا جزعا وكان ذلك بعد صلاة ظهر الثلاثاء الثامن
 والعشرين من ذى الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة
 وفي سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة
 بازاء تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبا مر الخبر علي ذلك
 مستوفى وبالله تعالى التوفيق



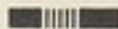
الخبر عن دولة السلطان أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



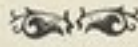
قد تقدم لنا أن أبا عامر عبد الله ابن السلطان يوسف كان قد اتبذ عن
 أبيه وبقي منتقلا في جهات الريف وبلاد غمارة الى أن هلك في بلاد بنى
 سعيد منهم ، وانه خلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا
 الذى ولى الامر بعد جده ، وذلك أنه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله
 بالمنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا فى جملة وكان له فى بنى
 ورتاجن من أهل تلك البلاد خولة فلحق بهم ودعا لنفسه فبايعوه وقاموا معه
 فى أمره ، وبايعه معهم أشياخ بنى مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس
 ثانى يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شايهم بداخل
 المنصورة الى بيعة الامير أبي سالم بن السلطان يوسف وكاد أمر بنى مرين
 يفسد وكلمتهم تفرق فبعث السلطان أبو ثابت لحيته وكان شهما مقداما الى

صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابي عثمان بن يغمراسن فقد لهما عهدا على أن يرحل عنهم بجموعه وأن يمدوه بالآلة ويرفعوا له كسر بيتهم ويضموه اليهم ان خاب أملهم ولم يتم له أمر فأجابوه الى ذلك ، وحضر العقد أبو حمو فأحكمه وشرط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرضوا لمدينة جده المنصورة بسوء وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح وان من أراد الإقامة بها من أهلها فما لاحد عليه من سبيل لان الناس كانوا قد استوطنوها وألفوها وطاب مقامهم بها وتائلوا بها الاثاث والمتاع والخرنبي وسائر الماعون مما يشبط المرتحل ويتقل جناح الناهض فقبل أبو حمو ذلك كله

وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلمة قومه واختل أمر أبي سالم فلم يتم وكب السلطان أبو ثابت الى حامية بنى مرين وحصصها التي كانت متفرقة فى الثغور الشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته فأقبلوا اليه ينسلون من كل حدب وأسلموا البلاد الى أهلها من بنى عبد الواد وقتل السلطان أبو ثابت عمه أبا سالم بن يوسف ثم اتبعه بعم أبيه أبي بكر بن يعقوب فى آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ، وفر بقيّة القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبي ثابت فلحقوا بعثمان بن أبي العلاء النائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فشابعوه على أمره ، تقوى بهم على ما تذكره ثم ارتحل السلطان أبو ثابت قاصدا حضرة فاس فى جموع لاتحصى وأمم لاتستقصى فعيد عيد الاضحى من سنة ست وسبعمائة فى طريقه بين تلمسان ووجدة ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبعمائة ثم نهض بعد ذلك الى مراکش على ما تذكره ، ولما علم بنو يغمراسن أن أبا ثابت قد أبعدهم وأنه توغل فى البلاد المراكشية واشتغل بحروب النافرين بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحووا آثارها فأصبحت كأن لم تغن بالامس



ثورة يوسف بن محمد بن أبي عبيد بن عبد الحق وما كان من أمره



كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن ابن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر في أحوال فاس والمغرب ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامه ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عبيد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها وعهد اليه بالنظر في أحوالها وضبطها فصمد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثه نفسه بالانتزاع فاستلحق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على الوالى بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط في جمادى الاخرة سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان أبي ثابت وهو بفاس فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمى بالحاه المهملة ويعقوب بن آصناك في خمسة آلاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن أبي عبيد الى حربهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش ، واتبعه الوزير ودخل ابن أبي عبيد مراكش فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذرارهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقر بها ، ثم فر الى جبال هسكورة فنزل على كبيرها مخلوف بن هنو الهسكورى ولحق به موسى بن سعيد الصيحي من اغمات تدلى من سورها فلحق به

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمائة وأمر بقتل أوربة المداخلين لابن أبي عبيد فى انتزائه فاستلحموا جميعا ، ولما لحق ابن أبي عبيد بمخلوف بن هنو الهسكورى واستجار به لم يجره على السلطان أبي ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبشتم فى الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا فى مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن أبي عبيد الى فاس فطيف به ونصب على سورها ثم أثنى أبو ثابت

في كل من كان على رأى ابن أبي عياد وخاض معه في الفتنة فاستلحم منهم
 بمراكش ما ينيف على الستمائة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب
 مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل في اغمات منهم مثل ذلك وخرج
 منتصف شعبان الى منازل السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فنزل بتامزوارت
 وتلقاه السكسيوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ،
 ثم بعث قائده يعقوب بن آصناك فى جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد جاحة
 برسهم غزو قبائل زكنة ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة وانقطع أثرهم
 ورجع الى معسكر السلطان بتامزوارت وأخبره بسكون البلاد وأمنها ، فانكفا
 السلطان أبو ثابت راجعا الى مراكش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع
 وسبعمائة . ثم خرج منها فى منتصفه قاصدا رباط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة
 وعبر وادى أم الربيع من مشرع كرامة فى القوارب لزيادة الماء يومئذ ، ثم
 ارتحل فاجتاز بلاد تامسنا فتلقيه بها عرب جيش من قبائل الخلط وسفيان وبنى
 جابر والعاصم فاستصحبهم معه الى مدينة آنفى بعد أن استأذنوه فى الرجوع
 فلم يأذن لهم ، ولما احتل بآنفى دعا بأشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين
 منهم أودعهم سجن آنفى وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبل
 وصلبهم على سور آنفى ، ثم نهض الى رباط الفتح فدخله فى السابع والعشرين
 من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين من فتاك العرب المتهمين
 بالحرابة وقطع الطريق وصلبهم على أسوار العدوتين ، ثم ارتحل منتصف
 شوال لغزو عرب رياح المواطنين بأبى طويل وفحص أزغار وبلاد الهبط ،
 فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسبى ذراريهم واتهب أموالهم
 ونهض الى فاس فاحتل بها منتصف ذى القعدة وعيد بها عيد الاضحى ثم نهض
 الى سبتة على ما نذكره



غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارة وسبته ومحاصرته لعثمان بن أبي العلاء

قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس أبي سعيد بن الاحمر المتغلب على سبته أيام السلطان يوسف وانه ثار بجبال غمارة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف يلقه خبره وأهمه شأنه الا أنه كان يرجو أن يفتح تلمسان عن قريب ثم ينهض اليه فعاجله الحمام دون ذلك ولما أفضى الامر الى السلطان أبي ثابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بمراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فزحف اليه ونهض عثمان بن أبي العلاء لقاؤه منتصف ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه عثمان بن أبي العلاء واستلحم من كان معه من جند الفرنج وهلك في تلك الوقعة عبد الواحد الفودودي من رجالات الدولة المرشحين للوزارة ، وسار عثمان بن أبي العلاء الى قصر كامة فدخله واستولى على جهاته وكان بطلا من الابطال وعلى اثر ذلك كان رجوع السلطان أبي ثابت من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحي أثر النفاق فاعتزم على النهوض الى بلاد غمارة ليمحو منها أثر دعوة ابن أبي العلاء التي كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبته من يد ابن الاحمر المتغلب عليها لانها صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله

فنهض السلطان أبو ثابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى الى قصر كامة فتلوم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والرماة من سائر البلاد فعرض جيشه وارتحل قاصدا جبال غمارة ، وكان عثمان بن أبي العلاء قد فر أمامه الى ناحية سبته فسار السلطان أبو ثابت فسي اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ، ثم نازل بلد الدمنة على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبي النساء والذرية واتهب الاموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه الى القصر في وسط

بلادهم وبالغوا في تضييقه واكرامه ودخلوا معه القصر وآصيلا ونهبوا كثيرا من مال أهلها ، ثم ارتحل السلطان أبو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبعمائة وتحصن ابن أبي العلاء بسبته مع أوليائه من ابن الاحمر وسرح السلطان أبو ثابت عسكره ففرقت في نواحي سبته بالفارات واكساح الاموال

بناء مدينة تطاوين

ثم أمر السلطان باحتطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره وتلاخذ بمخترق سبته هكذا عند ابن أبي زرع وابن خلدون . واعلم أن تطاوين هذه هي تطاوين القديمة وقد تقدم لنا أن قصبتها بنيت في سنة خمس وثمانين وستمائة وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها في هذا التاريخ الذي هو فاتح سنة ثمان وسبعمائة وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فإن بناها كان محكما وثيقا ، واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبما يأتي الخبر عن ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى ، قالوا : ولفظ تطاوين مركب من كلمتين تيط ومعناها فى لسان البربر العين ووين وهى كناية عن المخاطب نحو يافلان وما أشبه ذلك ، قالوا : والسبب فى تسميتها بذلك أنهم فى وقت احتطاطهم لها كانوا يضمون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين تطاوين ، أى يافلان افتح عينك لان عادة الحارس أن يقول ذلك فصار هذا اللفظ علنا عليها ويظهر أن هذا من كلام العامة ولا أصل له ، وكذا قول بعضهم تيط معناها العين ووين معناها المقللة ومعنى مجموع الكلمتين مقللة العين والاضافة مقلوبة كما هى فى لسان بعض الامم العجمية فانه لامستد له والله تعالى أعلم ولما شرع السلطان أبو ثابت فى بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبى الصبر الى ابن الاحمر صاحب سبته فى شأن النزول

له عن البلد وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون ، وفي أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفى(*) يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فووري هناك رحمة الله عليه وعليهم



الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر

عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالأمر عمه علي بن يوسف المعروف بابن زريقاء وهي أمه ، وعلي هذا هو الذي قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن الملياني كما تقدم وخلص الملا من بني مرين أهل الحل والعقد الى أبي الربيع المذكور أخى أبي ثابت فبايعوه واستتب أمره فتقبض على عمه علي بن زريقاء وسجنه بطنجة فبقي مسجوناً بها الى أن هلك سنة عشر وسبعمائة وبث السلطان أبو الربيع العطاء في الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفا له الأمر ، ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه وأرضاهم بالمال كذلك ، ولما فصل من طنجة تبعه عثمان بن أبي العلاء من سبته في جيش كثيف ليضرب في محله ليلاً فنذر به عسكر السلطان أبي الربيع فأسهبوا ليلتهم وباتوا على سهوات خيولهم فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك فناجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان للسلطان أبي الربيع الظهور الذي لاكفاه له ووصل أبو يحيى بن أبي الصبر من الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الأحمر صاحب غرناطة

ولما رأى عثمان بن أبي العلاء ذلك سقط في يده وأيس من المغرب فصر

(*) ذكر في روضة التسريرين في دولتنا بني مرين لابن الأحمر أنه توفى مسموماً

البحر فيمن معه من القرابة الى الاندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له في
 جهاد العدو اليد البيضاء وعلا أمره بالاندلس وزاحم بنى الاحمر ملوكها في
 رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الامر من أيديهم وشرقوا بدائه
 ومارسهم ومارسوه مدة طويلة ، وعدلوا في أمره الى المصانعة والمجاملة في
 أخبار ليس جلبها من غرضنا الى أن توفي ، لكننا نذكر من ذلك أنموذجا يستدل
 به الواقف عليه على ما وراءه ، فنقول : « لما توفي عثمان بن أبي العلاء رحمه
 الله كتب على قبره ما صورته : « هذا قبر شيخ الحماة و صدر الابطال
 والكمأة ، واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار
 الاسلام ، صاحب الكنائب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة
 وامام الصفوف ، القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم
 الاعاد وأسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى
 البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل
 الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله
 ابن عبد الحق »

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفق ما بين راحة في سبيل الله وغدوة حتى
 استوفى في المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا
 مجتهدا في طاعة الرب محتسبا في ادارة الحرب ماضى العزائم في جهاد
 الكفار، مصاد ما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع
 الكبار ما سار ذكره في الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفي رحمه
 الله وغبار الجهاد طى أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على
 ما عاش عليه وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه واستأثر به سعيدا مرتضى
 وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد وتبيجة جهاد
 وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الراجعة فارتجت الاندلس بعده
 أتخفه الله برحمة من عنده توفي يوم الاحد الثاني لذي الحجة من سنة
 ثلاثين وسبعمائة رحمه الله .

وأما السلطان أبو الربيع فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادى

عشر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعمائة فأقام بها سنة المولد الكريم وفرق الاموال واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته مجتئيا ثمرة ملكه ، وكان فى أيامه غلاء الا أن الناس انفتحت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تغالوا فى أنمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين ، وتنافس الناس فى البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وأنواع النقوش ، وتناغوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلوى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى



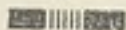
نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين

واستئصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك

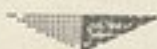


كان الفقيه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبى مدين شعيب بن مخلوف من بنى أبى عثمان احدى قبائل كرامة المجاورين للقصر الكبير ، وكان بيته بيت العلم والدين واتصلوا بخدمة بنى مرين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل وفوض اليه فى حساب الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاته والافضاء اليه بسره ، ولما هلك السلطان يوسف وولى بعده السلطان أبو ثابت ضاعف وتبته هذا الرجل وشفع لديه حظه ومنصبه ورفع على الاقدار قدره ، ثم ولى بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب سلفه واضطلع أبو محمد بن أبى مدين بأمور دولته ، وكان بنو وقاصة اليهود حين نكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبى محمد فيهم ، وكان خليفة الاصغر منهم قد أفلتت من تلك النكبة كما ذكرناه

فلما أفضى الامر الى السلطان أبي الربيع استعمل خليفة هذا بداره فسي بعض المهن فباشر الامور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعاية بأبي محمد بن أبي مدين ، وكان يؤثر عن السلطان أبي الربيع أنه يختلي مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدس الى السلطان « بأن ابن أبي مدين يعرض باتهامك في ابنته وأن صدره قد وغر لذلك وأنه مترصد بالدولة ومتربص بها الدوائر ، فتمكنت سعائته من السلطان وظن أنه صادق وكان يخشى غائلة ابن أبي مدين بما كان له من الوجاهة في الدولة ومداخلة القليل فاستعجل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودس الى قائد جند الفرنج بقتله ، فسار اليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي فرصده وأتاه من خلفه فطعنه طعنة كبته على ذقنه واحترز رأسه وألقاه بين يدي السلطان أبي الربيع ، ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفا ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودي وأطلعه على خبئه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبي مدين معه الى السلطان يتصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده ، فتنبه السلطان لمكر اليهودي وعلم أنه قد خدعه وندم حيث لم ينفعه الندم ، وقتك حينه بخليفة بن وقاصه وحاشيته من اليهود المتصددين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فاصبحوا مثلا للاخرين



انتفاض أهل سبته على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين



كان أهل سبته قد سُموا ملكة أهل الاندلس ونقلت عليهم ولايتهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبي العلاء وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبي الربيع فاتته الفرصة فيهم وعقد لثقتهم تاشفين بن يعقوب الوطاسي أخى وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بنى مرين وسائر طبقات الجند وبعثه الى سبته فأغذ السير اليها ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بنى مرين

وثاروا على من كان بسبته من حامية ابن الاحمر فاخرجوهم منها ، واقتحم
 تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمائه وتقبض على قائد
 القصة أبي زكرياء يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبي الحسن بن كماشة
 وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ،
 وطير تاشفين بالخبر الى السلطان أبي الربيع فعم السرور وعظم الفرح واتصل
 ذلك بابن الاحمر فضاقت ذرعه وخشى عادية بنى مرين وجيوش المغرب حين
 انتهوا الى الفرضة وملكوها ، فقلب رأيه ورأى أن يجتنب الى السلم مع السلطان
 أبي الربيع لشدة شوكة ولكب الطاغية عليه في أرضه لولا أن غزا بنى مرين
 يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الاحمر وهو أبو الجيوش نصر ابن محمد
 أخو المخلوع الذي كان قبله ، وأوفد رسله على السلطان أبي الربيع راغبين
 في السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورددة وحصونها ترغيبا
 للسلطان أبي الربيع في الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما أراد ،
 وخطب منه أخته فأنكحه ابن الاحمر اياها وبعث السلطان أبو الربيع اليه بالمدد
 للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع ثقتة عثمان بن عيسى اليريناني أخى وزيره
 ابراهيم بن عيسى واتصلت بينهما الولاية الى أن توفى السلطان أبو الربيع
 رحمه الله

انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان أبي الربيع
 ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك

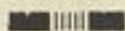
لما انعقد الصلح بين السلطان أبي الربيع وابن الاحمر وحصلت المصاهرة
 بينهما والمودة كانت رسل ابن الاحمر لاتزال تتردد الى حضرة السلطان بفاس
 فقدم منهم ذات يوم بعض المنهمكين في اللهو المدمنين للشرب والقصف ،
 فكشف صفحة وجهه في معاورة الخمر وتجاهر بذلك بين الناس ، وكان
 السلطان أبو الربيع قد عزل قاضي فاس أبا غالب المغيلي وولى القضاء مكانه

الشيخ الفقيه أبا الحسن الزرويلي المعروف بالصغير صاحب التقييد على المدونة
 وكان رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر ، فسيق إليه ذات يوم هذا
 الاندلسي وهو سكران فأمر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر
 وأدوا شهادتهم على ذلك ، فأمضى القاضي حكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم
 الاندلسي غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي ويقال له
 رحو باللسان الزناتي فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط وينعى عليه سوء
 هذا الفعل مع رسل الدول ، فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالانتم ولعله
 كان في قلبه شيء على القاضي فأمر وزعته باحضاره على أسوأ الحالات وعزم
 عنى البطش به فتبادروا إليه ، واعتصم القاضي بالمسجد الجامع ونادى فسى
 المسلمين فارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق ، واتصل
 الخبر بالسلطان فتلافى الأمر وأحضر أصحاب الوزير ف ضرب أعناقهم وشرذ
 بهم من خلفهم جزاء الله خيرا ، فأسرها الوزير في نفسه وداخل الحسن بن
 علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد وكان من شيوخ بني مرين وأهل
 الشورى فيهم ، وداخل قائد الفرنج غنصالو المنفرد برياسة العسكر وشوكة
 الجند وكان لهؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث آثروه على السلطان ،
 فدعاهم لخلق طاعة السلطان أبي الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد
 ابن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم ،
 ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمائة
 فر الوزير المذكور وقائده الفرنجي ومن شايهم علي رأيهم فخرجوا الى ظاهر
 البلد الجديدة وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد
 الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو ، ثم ساروا الى
 ناحية تازا ولما استقروا يرباطها أخذوا في جمع الجيوش ومكاتبه الخاصة من
 بنى مرين والعرب يدعونهم الى بيعة سلطانهم والمشايعة لهم علي رأيهم وأوفدوا
 علي أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يدعونه الى
 المظاهرة علي أمرهم واتصال اليد والمدد بالعسكر والمال ، فتوقف أبو حمو ولم
 يقدم ولم يحجم وبقي ينتظر عماذا ينجلي أمرهم ، واتصل خبر ذلك كله

بالسلطان أبي الربيع فنهض اليهم وقدم بين يديه يوسف بن عيسى البشمي وعمر بن موسى الفودودي في جيش كثيف من بني مريين ، وسار هو في ساقنهم واتصل خبر خروجه بعد الحق بن عثمان ووزيره فانكشفوا عن تازا ونحقوا بتلمسان ، وكانوا يظنون أن السلطان لا يخرج اليهم وحمد أبو حمزة عاقبة توقفه عن نصرهم ويشواهم من صريخه اياهم ، ولما ضاقت عليهم الارض بما رحبت أجاز عبد الحق بن عثمان ووزيره الى الاندلس ورجع الحسن بن علي ومن معه الى السلطان أبي الربيع بعد أن أخذ منه الامان وهلك رحو بن يعقوب بالاندلس لمدة قريبة ، ولما احتل السلطان أبو الربيع بتازا حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأتخذ في حاشية الخوارج وشيعتهم بالقتل والسبي ، ثم اعتل أياها أثناء ذلك فتوفي بتازا بين العشاءين ليلة الاربعاء منسلخ جمادى الاخيرة من سنة عشر وسبعمائة ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الاعظم من تازا رحمه الله



الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



كان هذا السلطان من أهل العلم والحلم والعفاف جوادا متواضعا متوقفا في سفك الدماء لقبه : السعيد بفضل الله وأمه حرة اسمها عائشة بنت الامير ابي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي ، ولما هلك السلطان أبو الربيع بتازا في التاريخ المتقدم تطاول للامر عمه أبو سعيد الاصغر وهو عثمان بن السلطان يوسف وخب في ذلك ووضع وأسدى وألحم فلم يحصل على شيء واجتمع الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدأة من الليل وتفاوضوا في أمرهم حتى وقع اختيارهم على أبي سعيد الاكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستدعوه فحضر. فبايعوه ليلتئذ ، وتم أمره وأنفذ كبه الى النواحي والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن علي بن عثمان الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعمائة وملك قصر الخلافة بالحضرة

واحتوى على أمواله وذخيرته ، وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان أبى سعيد بظاهر تازا على بنى مرين وسائر زناته والعرب والعسكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ، فقام بالأمر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع القلانات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس ما كان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة فصلح حال الناس فى أيامه ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها وقدم عليه وفود التهئة من جميع بلاد المغرب ، ثم خرج فى ذى القعدة الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أمور الرعية وانشاء الاساطيل الجهادية فعيد هنالك عيد الاضحى وبأمر الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار الصناعة من سلا يرسم جهاد الفرنج ، ثم رجع الى فاس فمقد سنة احدى عشرة وسبعمائة لآخيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليهما من الحصون ، ثم نهض سنة ثلاث عشرة وسبعمائة الى ناحية مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعثه موثقا فى الحديد الى فاس فأودعه المطبق وقفل راجعا الى حضرته فاحتل بها مؤيدا منصورا والله تعالى أعلم

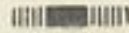


غزو السلطان أبى سعيد ناحية تلمسان



كان بنو مرين قد حقدوا على أبى حمو صاحب تلمسان من أجل توقفه فى أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسى وتسهيله الطريق لهم الى الاندلس ومداهنته فى ذلك ، وكان مقتضى الصلح المنعقد بينه وبين السلطان أبى الربيع أن يقبض عليهم ويبعث بهم اليه حالا فحقد بنو مرين على أبى حمو ووجدوا فى أنفسهم عليه ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد

واستوسق ملكه ودوخ الجهات المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعترزم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة أربع عشرة ، ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنه الاميرين أبا الحسين وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعيية فاكسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فامتعت عليه ، ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن أبو حموا بالاسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بنى يزناسن وأثخن فيهم ، وانتهى في قفوله الى وجدة ففر أخوه أبو البقاء يعيش وكان في معسكره من أجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على أبي حمو ورجع السلطان أبو سعيد على التعيية فاتته الى تازا فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره



خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك



كان للسلطان أبي سعيد ولدان أحدهما وهو الأكبر من أمته الحبشية وهو أبو الحسن علي بن عثمان ، وثانيهما وهو الأصغر من علجة من سبي الفرنج وهو أبو علي عمر بن عثمان وكان هذا الأصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه ، ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كنبه ولم يدخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليريناني من كبار الدولة ووجوهها ، وكان أخوه الأكبر أبو الحسن شديد البرور بأبيه فلما رأى أقبال أبيه على أخيه علي انحاش هو أيضا اليه وصار في جملة وخلق نفسه بحاشيته طاعة لابيه ومبارعة في هواه واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخاطبه ملوك النواحي وخاطبهم وهادوه وهاداهم وعقد الرايات وأثبت في الديوان ومحا وزاد في العطاء ونقص

وكاد يستبد بالامر كله

ولما قفل السلطان أبو سعيد من تلمسان أواخر سنة أربع عشرة وسبعمائة أقام بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير أبو علي بها حدثته نفسه بالقيام على أبيه وخلع طاعته ، فراوده المداخلون له على التريص حتى يمكر بأبيه ويقبض عليه باليد فأبى واستعجل الامر وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ، ودعا لنفسه فاطاعه الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم ، وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو أبيه ، فبرز السلطان أبو سعيد من تازا في عسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم بدا للامير أبي علي في وزيره ابراهيم بن عيسى وعزم على القبض عليه لانه بلغه أنه يكتب أباه فبعث للقبض عليه عمر بن يخلف الفودودي ، وتفطن الوزير لما أراده من المكر به فقبض هو على الفودودي ونزع الى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضى عنه ، وكان الامير أبو الحسن قد لحق بأبيه قبل ذلك نازعا عن جملة أخيه فقوى جناح السلطان بهما وارتحل الى لقاء ابنه أبي علي ، ولما تراء الجمعان بالمقرمدة ما بين فاس وتازا اختل مضاف السلطان وانهزم جريحا الى تازا فتبعه ابنه أبو علي وحاصره بها ، ويقال أن أبا الحسن انما لحق بأبيه بعد المحنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبي علي بالصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتها فقط ، فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناته وأهل الامصار واستحكم العقد بينهما وانكفا الامير أبو علي راجعا الى حضرة فاس مملكا على المغرب وتوافقت اليه بيعات الامصار ووفودهم واستوسق أمره

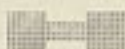
ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد بلطفه ورد عليه حقه من حيث لا يحتسب وذلك أن الامير أبا علي اعتل عقب وصوله الى فاس واشتد وجعه حتى أشرف على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بموته فتسايلوا الى والده السلطان أبي سعيد بتازا ولحق به سائر خواص الدولة وحملوه على تلافى الامر وانتهاز الفرصة ، فهض من تازا وأجتمع اليه كافة بنى مرين والجنود وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا له وابنتى دارا لسكناه وجعل لابنه الامير أبي الحسن ما كان لآخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير

أبى على اختلال أمره بعث الى أبيه فى الصلح على أن يعوض سبعمائة وما
والاها فأجيب الى ذلك ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سبعمائة سنة
خمس عشرة وسبعمائة فأقام بها دولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة ودون
الدواوين واستلحق واستركب واستخدم ظواغن العرب من بنى معقل وافتح
معاقل الصحراء وقصور توات وتكرارين وتامنطيت وغير ذلك .

وأما السلطان أبو سعيد فإنه دخل الى فاس الجديد ونزل بقصره وأصلح
شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره وفوض اليه
فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة
على كنبه وسائر ما كان لآخيه ووفدت عليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا الى
طاعته ، وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد ببناء الباب أمام
القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة وفيها
سار الى مراكش فأقام بها أياما حتى أصلح شؤونها وعاد الى الحضرة .

وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة نكب السلطان أبو سعيد كاتبه منديل بن
محمد الكنانى وكان السبب فى ذلك أنه لما ثار الامير أبو على على أبيه وخلعه
انحاش اليه منديل هذا ثم لما اختل أمر أبى على عاد منديل الى السلطان أبى سعيد
وترتب فى منزلته التى كان عليها قبل وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه لاجل
انحيائه الى أخيه لما كان بينهما من المناسفة وكان هو كثيرا ما يوعز صدر أبى
الحسن بإيجاب حق أخيه عليه وامتهانه فى خدمته ، فطوى له أبو الحسن على
البث حتى اذا فصل أبو على الى سبعمائة وانفرد أبو الحسن بمجلس أبيه
وخلاله وجهه أحكم السعاية فى منديل عند أبيه وكان منديل كثيرا ما يفضب
السلطان فى المحاوره والخطاب دالة عليه وكبرا ، فاعتد السلطان عليه بشيء من
ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يفرّيه به فسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ،
وأذن لابنه أبى الحسن فى نكبه فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه
أياما ثم قتله بمحبسه خنقا وقيل جوعا وذهب فى الذاهبين ، وأبوه أبو عبد الله
محمد الكنانى هو الذى بعثه السلطان يعقوب بن عبد الحق الى المستنصر الحفصى
عند فتح مراكش وعاد اليه منه بالهدية صحبة وفد أهل تونس وتلطف أبو عبد

الله الكنانى حتى ذكر المستنصر فى الخطبة على منبر مراکش وفرح الوفد
بذلك حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى ، ونشأ ابنه منديل هذا فى ظل الدولة
المرينية فكان من أمره ما قصناه عليك



وفادة أهل الاندلس على السلطان أبى سعيد واستصراخهم إيلاً على الطاغية وما نشأ عن ذلك



كان الملوك من بنى مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر
منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله فى آخر أمره بحصار تلمسان
واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم فتناول العدو وراء البحر
على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على ثغورها مع أن القرابة من بنى
مرين كانوا شجبي فى صدره وقذى فى عينيه فى تلك البلاد حسبما أئنا إليه غير
مرة ، ولما أفضى الأمر الى السلطان أبى سعيد اشتغل فى صدر دولته بأمر ابنه
أبى على وخروجه عليه ، فاهتبل الطاغية الغرة فى الاندلس وزحف فى جموعه الى
غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وكان من خبر هذه الواقعة أن الطاغية بطرة
ابن سانجة ويقال دون بطرة وقد نبهنا على لفظة دون فيما سبق ذهب الى طليطلة
ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه
استئصال ما بقى من المسلمين بأرض الاندلس وأكد عزمه وتأهب لذلك غاية
الاهبة ، فوصلت أثقاله ومجانيقه وآلات الحصار والاقوات فى المراكب وتقدم
فى جموعه حتى نزل بأحواز غرناطة وكان رديفه فى ذلك الجند علجاً آخر يقال له
جوان وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الاطراف قيل سبعة وقيل أكثر
وامتلات الارض بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس ، وكان
جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفاً من الفرسان وعلى نحو مائة
ألف من الرجال المقاتلة

ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان أبى سعيد فقدم عليه وفدهم بحضرته من فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحاتها الشيخ أبو عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي والشيخ أبو اسحق بن أبى العاص وغيرهم فاعتذر اليهم السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبى العلاء من دولتهم ومحلته من دار ملكهم ، وكان عثمان بن أبى العلاء يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمائة حسبما مر فشرط عليهم السلطان أبو سعيد أن يمكنوه منه ليتأتى له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش ، وقال ادفعوه الينا برمته حتى يتم أمر الجهاد ثم نرده عليكم حياة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم ، فاستصعب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبى العلاء وادلاله بآسه وبأس عشيرته فأخفق سعيهم ورجعوا منكسرين ، وأطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا في التهامها

ثم ان الله تعالى نفس عن مخفهم ودافع بقدرته عنهم وهياً لعثمان بن أبى العلاء في الفرنج واقعة كانت من أغرب الوقائع ، وذلك أنه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جمادى الاولى من سنة تسع عشرة وسبعمائة عمده عثمان بن أبى العلاء الى جماعة جنده واختار من أنجاد بنى مرين منهم نحو المائتين وقيل أكثر وتقدم بهم نحو جيش الفرنج فظن النصارى أنهم انما خرجوا لامر غير القتال من مفاوضة أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية وردفه جوان صمموا نحوهما حتى خالطوهما في مراكزهما فصرعوهما فسى جملة من الحاشية وانهزم ذلك الجمع من حينه وولوا الادبار واعترضهم من ورائهم مسارب الماء للشرب على نهر شنيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكسحت أموالهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعمون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعمون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بمض الفرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل

الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك ، قلت : « هذا خطأ في الرأي وضعف في السياسة » قالوا : وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفا ، ويقال : « انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق » ، واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك السبعة جميعهم ، وقيل خمسة وعشرون واستمر البيع في الاسرى والسبي والدواب ستة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ، ومن العجب أنه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا وقيل عشرة أنفس وسلخ الطاغية بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنين وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم والله تعالى أعلم

انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن ذلك

لما كانت سنة عشرين وسبعمائة انتقض الامير أبو علي صاحب سجلماسة والصحراء على أبيه السلطان أبي سعيد وتغلب على درعة وسما الى طلب مراكش فعقد السلطان أبو سعيد على حربه لآخيه الامير أبي الحسن وأغزاه اياه ، ثم نهض على أثره فاحتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها الكندوز ابن عثمان من صنائع دولتهم وقفل الى الحضرة ، ثم لما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة نهض الامير أبو علي في جموعه من سجلماسة وأغد السير الى مراكش فافتحمها بمساكره قبل أن يجتمع لكندوز أمره وتقبض عليه وضرب عنقه ورفع على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها

وبلغ الخبر الى السلطان أبي سعيد فخرج من حضرته في عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده وجاء هو على ساقته وساروا على هذه التعية ، ولما انتهوا الى وادى ملوية اتصل بهم الخبر أن أبا علي يريد أن يبيتهم فأسهروا ليلتهم وباتوا على ظهور خيلهم وبعد مضي جزء من الليل طرقتهم أبو علي في جموعه فكانت الدبرة

عليه وقل عسكره وارتحلوا من الغد في أثره وكان قد سلك جبل درن فافترقت جنوده في أوعاره ولحقهم من المشاق ما يفوت الوصف حتى ترجل الامير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان أبو سعيد نواحي مراکش وعقد عليها لموسى بن علي الهنتاتي فعظم غناؤه في ذلك واضطلعه وامتدت أيام ولايته ، وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو علي بالخضوع ورغب اليه في الصفح والرضا والعود الى السلم فأجابته السلطان الى ذلك لما كان قد شفقه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو علي بمكانه من مملكة القبلة الى أن هلك السلطان أبو سعيد وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله



بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله



قد تقدم لنا أن السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها مما سبق التنبيه عليه، ووقف عليها كتب العلم التي بعث بها اليه الطاغية سانحة عند عقد الصلح معه ووقف عليها غير ذلك ، واقضى أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية ، فأمسكوا بسبب ذلك من رفق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه جزاهم الله عن نيتهم الصالحة خيرا .

ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديد فبنيت أتقن بناء وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر ، وحس عليها الرباع والضباع ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده وفي سنة احدى وعشرين بعدها بنى ولي عهده الامير أبو الحسن المدرسة

التي بغربى جامع الاندلس من حضرة فاس فجاءت على أكمل الهيآت وأعجبها
 وبني حولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك
 كله من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جليلة
 تزيد على مائة ألف دينار ، وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وحبس عليها رباعا
 كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الانفاق والكسوة نفعه الله
 بقصده

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو
 سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة اليوم
 بمدرسة العطارين ، فبنيت على يد الشيخ أبى محمد عبد الله بن قاسم المزوار
 وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه فى جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست
 وشرع فى بنائها بمحضره ، فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث
 لم يكن ملك قبله مثلها ، وأجرى بها ماء معيناً من بعض العيون هنالك وشحنها
 بالطلبة ورتب فيها اماما ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ورتب فيها الفقهاء لتدريس
 العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية ، واشترى عدة أملاك
 ووقفها عليها احتساباً بالله تعالى ، وسياتى التبييه على ما بناه ابنه أبو الحسن من
 ذلك أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرهما ان شاء الله ، وبالجملة ، فقد كان
 لبنى مرين جنوح الى الخير ومحبة فى العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى
 الآن فى مدارسهم العلمية وغيرها ، وفى مثل ذلك يحسن أن ينشد :

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البيان
 ان البناء اذا تعاليم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن



أخبار بني العزفي أصحاب سبته

قد تقدم لنا أن الرئيس أبا سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبته وقبض على رؤسائها من بني العزفي ، وغر بهم الى غرناطة سنة خمس وسبعمائة فاستقروا هنالك في ايالة السلطان ابن الاحمر المعروف بالمخلوع مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المريني على سبته ونفى بني الاحمر عنها استأذنه بنو العزفي في الرجوع الى المغرب والقدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس وكان أبو زكرياء يحيى وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي من سرواتهم وأهل المروءة والدين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلم بمسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من اتحاله، وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بني أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن الصغير وكان أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب يلزمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده ، فلما أفضى الامر الى السلطان أبي سعيد رعى لبني العزفي تلك الوسيلة فأنتم عليهم وعقد لابي زكرياء منهم على سبته ورددهم الى موطن سلفهم ومقر رياستهم فقدموها سنة عشر وسبعمائة ، وأقاموا فيها دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته

ولما فوض السلطان أبو سعيد الى ابنه أبي علي الامر وجعل له الايرام والنقض عقد أبو علي على سبته لابي زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي وعزل أبا زكرياء يحيى بن أبي طالب منها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا في جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس أثناء تلك المدة * ثم كان من خروج الامير أبي علي على أبيه وانتفاضه عليه ما قدمناه فلحق أبو زكرياء بن أبي طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبي سعيد نازعين اليه ومفارقين لابنه النائر عليه واستمروا في جملة الى أن مرض الامير أبو علي

* في شعبان عام ثلاثة عشر وسبعمائة كما في الجنوة

وزحف أبوه اليه وحاصره بفاس حسبما مر ، فحينئذ عقد السلطان أبو سعيد
لابي زكرياء على سبته ثانيا وبعث اليها ليقم دعوته في تلك الجهات وترك ابنه
محمد بن أبي زكرياء تحت يده رهنا على الطاعة فاستقل أبو زكرياء بامارتها
وأقام دعوة السلطان أبي سعيد بها واتصل ذلك منه نحو سنتين ، ثم هلك عمه أبو
حاتم بسبته سنة ست عشرة وسبعمائة واتقض أبو زكرياء بن أبي طالب على
السلطان أبي سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد واقامة الشورى بالبلد
واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان الذي كان خرج على السلطان أبي
الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسي فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق
به كلمة بني مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتخف عليه وطأتهم

واتصل ذلك كله بالسلطان أبي سعيد فقام وقعد وجهد الى سبته العساكر من
بني مرين وعقد على حربها للوزير ابراهيم بن عيسى اليريناسي فزحف اليها
وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكرياء بحبس ابنه عنه ومفارقتة له وانه اذا رجع اليه
ابنه بذل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد
ليسلمه الى أبيه بعد أن يقتضى منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبي
زكرياء بان ابنه قد قدم وانه كائن بفسطاط الوزير بساحل البحر بحيث تنأى
الفرصة في أخذه فبعث أبو زكرياء الى عبد الحق بن عثمان قائد الحرب وأعلمه
بمكان ابنه فواطأه عبد الحق على انتزاعه منهم ، ثم هجم ليلا في جماعة من
حاشيته على فسطاط الوزير فاحتمل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر
الوزير بالهجمة فركبوا وتبعوا الاثر فلم يقفوا على خبر وتفقد الوزير الولد الذي
كان عنده فلم يجده واتهم الجيش الوزير بانه مالا شيعه أبيه على أخذه والا فلا
يقدم أحد هذا الاقدام بدون مداخلة من بعض الجيش فتقبضوا على الوزير
وحملوه الى السلطان ابلاء في الطاعة وابلاغاً في العذر فشكر لهم ذلك واطلق
الوزير لعلمه ببراءته ونصحته



ثم رغب أبو زكرياء بعدها في رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو سعيد رحمه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبي زكرياء فبان له صدقه وعقد له على سبته واشترط هو على نفسه حمل الجباية الى السلطان واسناء الهدية في كل سنة واستمر الحال على ذلك الى أن هلك أبو زكرياء سنة عشرين وسبعمائة وقام بالامر بعده ابنه محمد بن أبي زكرياء الى نظر ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم ، وكان قائد الاساطيل بسبته ولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحي الى الاندلس وتغلب محمد بن علي هذا بسبته واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب الامر على بنى العزفي بها

فاتتهز السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض اليها فنهض سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ونزل عليها فبادر أهل سبته بايتاء طاعتهم وعجز محمد ابن أبي زكرياء عن المناهضة وظنها محمد بن علي من نفسه فعرض للامر في أوغاد من لفيها اجتمعوا اليه فدافعهم الملا من أهل سبته عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفي الى السلطان أبي سعيد فانقادوا اليه واحتل السلطان بقصبة سبته وثقف جهاتها ، ورم مثلها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالته وخواص مجلسه في أعمالها ، فعقد لحاجه عامر بن فتح الله السدراتي على حاميته وعقد لابي القاسم بن أبي مدين العثماني على جبايتها والنظر في مبانيها واخراج الاموال للنفقات فيها ، وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبته فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفا راجعا الى حضرته ، وقد ذكر ابن الخطيب في كتاب الاكليل محمد بن أبي زكرياء هذا فقال فيه ما صورته : « فرع تأود من الرياسة في دوحة وتردد بين غدوة في المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله والدهر يسر أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده واتيته اليه رياسة سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعد ما شطت ثم كلج له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعزعا نسيمة الذي كان تبسم وعاق هلاله عن تمة ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم

الافدار وان كان نيه المكانة والمقدار وجرت عليه جناية واسعة ورعاية متتابعة .
الى آخر كلامه ويعنى بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم



المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن

وبين أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي والسبب في ذلك



كان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان قد ضايق بنى أبي حفص أصحاب تونس وافريقية فسى بلادهم واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعوث والسرايا الى أطراف ممالكهم وفي سنة تسع وعشرين وسبعمائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه ليحيى بن موسى من صنائع دولته ، ونصب مع ذلك لملك تونس وافريقية بعض أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبي عمران كان لجأ اليه في بعض الفتن التي كانت له مع بنى عمه ، وتقدم هذا الجيش الى أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي فهزموه واقتحموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا لملكها والولاية عليها محمد بن أبي عمران المذكور ، ليس له من الملك الا الاسم والامر كله بيد يحيى ابن موسى قائد الجيش ، وخلص السلطان أبو بكر بن أبي زكرياء الحفصي الى بونة جريحا مطرودا عن كرسي مملكه ودار عزه فعزم حينئذ على الوفاة على السلطان أبي سعيد المريني ليأخذ له حقه من آل يغمراسن المتغلبين عليه وأراد مع ذلك تجديد الوصلة التي كانت لسلفه مع بنى مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبي زكرياء صاحب الثغر استكافا له عن مثلها فقبل اشارته وأركب ابنه المذكور البحر وبعث معه وزيره أبا محمد عبد الله بن تافراجين نافضا أمامه طرق المقاصد والمحاورات ونزلوا بمرسى غساسة من ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته فأبلغوه رسالة أبي بكر الحفصي فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لوفد الحفصيين :

« والله لا بدلن في مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولا سيرن بعساكرى الى

تلمسان فأنزلها ، وكان فيما شرط عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبي بكر الحفصي بمساكره الى منزلة تلمسان معه فقبلوا وانصرفوا الى منازلهم مسرورين

ونهب السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمائة ولما انتهى الى رادى ملوية وعسكر بصبرة جاءه الخبر اليقين بعود أبي بكر الحفصي الى تونس وجلوسه على كرسيه بها فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبا زكرياء ووزيره أبا محمد بن تافراجين وأعلمهما الخبر وأسنى جوائزهم وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم فركبوا أساطيلهم من غساسة

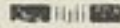
وبعث معهم ابراهيم بن أبي حاتم العزفي والقاضي بحضرة أبا عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون بنت السلطان أبي بكر الحفصي لابنه الامير أبي الحسن فوصلوا الى الحفصي وأدوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم في ابنته فاطمة شقيقة الامير أبي زكرياء وزفها اليهم في أساطيله مع مشيخة الموحدين وكبيرهم أبي القاسم بن عتو ، فوصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فقام بنو مرين لها على أقدام البر والكرامة وبعثوا بالظفر الى غساسة لركوبها وحمل أنقالها ، وصيغت حكمت الذهب والفضة وبمدت ولايا الحرير المفضاة بالذهب واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يسمع بمثله في دولتهم وتحدث الناس به دهرا وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها كما نذكر



وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما بلغه الخبر بوصول العروس فاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ارتحل بنفسه الى تازا ليشارف أحوالها كرامة لها ولايتها وسرور ابرع ابنه فاعتل هناك وازداد مرضه حتى اذا أشفا على الهلكة ارتحل به ولي العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة ، وحمله في فراشه على اكاد الحاشية والجند حتى نزل بوادي

سبوا ، ثم أدخله كذلك ليلا الى قصره فأدركته المنية في طريقه فتوفي ليلة الجمعة
الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ، وكان مرضه
بعلة النقرس فوضعوه بمكانه من بيته واستدعى ابنه أبو الحسين الصالحين
لمواراته فدفن(*) ببعض قبابه رحمه الله وكانت أيامه أعيادا ومواسم ، ومن
أكابر كتابه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي



الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله ابي الحسن علي ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان هو أفخم ملوك بني مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبعدهم صيتا
وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والاندلس ، ويعرف عند العامة بالسلطان
الاكحل لان أمه كانت حبشية* فكان أسمر اللون والعامة تسمى الاسمر والاسود
أكحل وانما الاكحل في لسان العرب أكحل العينين فقط ، وكان أخوه أبو علي
لمملوكة من سبي النصارى فكان أبيض وانضاف لذلك أن كان أبو الحسن ملكا
عنى الحضرة وأبو علي ملكا على بلاد القبلة فكانا أخوين ملكين في عصر واحد
أحدهما أسمر والآخر أبيض فعرف هذا بالاكحل والآخر بالابيض للمقابلة
ولما هلك السلطان أبو سعيد رحمه الله اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات
الدولة على ولى عهده أبي الحسن المذكور وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم
فأمر للحين بنقل معسكره من ناحية سبو الى الزيتون من ناحية فاس ، ولما فرغ
من دفن أبيه خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم
لاداء البيعة بفسطاطه ، وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس الشيخ أبو محمد
عبد الله بن فاسم المزوار والمزوار في لسان زناته معناه الرئيس وكان هذا الرجل
رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب السلطاني قديم الولاية فى ذلك منذ

(*) الذى فى كتاب روضة النسرین فى دولة بنى مرین أنه دفن بشالطة

عهد السلطان يوسف بن يعقوب ، ثم زفت على السلطان أبي الحسن زوجته
الحفصية فبنى بها بمكانه من المعسكر المذكور وأجمع رأيه على الانتقام لابيها من
عدوه أبي تاشفين الزياني على ما نذكره

حدوث الفتنة بين الاخوين ابي الحسن و ابي علي ثم مقتل ابي علي والسبب في ذلك

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما عهد بالامر لابنه أبي الحسن وتحقق
مصيره اليه كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبي علي لكلفه به وشفقته عليه فلما خلص
الامر الى أبي الحسن وكان موثرا رضا أبيه جهده اعترم على الحركة التي
سجلماسة لمشاركة أحوال أخيه واختبار أمره وما هو عليه من سلم أو حرب
ليعمل على مقتضى ذلك ، فارتحل من معسكره بانزيتون قاصدا سجلماسة
فناقته وفود أخيه أبي علي أثناء الطريق مؤديا حقه وموجبا مبرته ومهنتا له بما أتاه
الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متجاف عن المنازعة له قانع من تراث أبيه بما
في يده طالب منه أن يعقد له بذلك ، فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل
وعقد له على سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيه وأشهد على
ذلك الملا من بني مرين وسائر زناتة والعرب ، وانكفا السلطان أبو الحسن
راجعا الى تلمسان عازما على الانتقام من أبي تاشفين الزياني فسار حتى انتهى
الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظرا لقدم صهره
السلطان أبي بكر الحفصي عليه وفاء بالعهد الذي كان انعقد له مع
السلطان أبي سعيد أيام وفادة ابنه ابي زكرياء عليه من انهما يكونان يدا واحدة
على حصار تلمسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبها فعسكر أبو الحسن
بتاسالت ثم بعث بحصنة من جنده في البحر الى صهره الحفصي مددا له وهو
يومئذ بجاية يقاتل جيش بني زيان عليها .

ولما اتصل الخبر بأبي تاشفين صاحب تلمسان فكر في أمر أبي الحسن وأعمل الحيلة بأن دس الى أخيه الامير أبي علي صاحب سجلماسة في اتصال اليد به والاتفاق معه على أخيه أبي الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه ويشغله عنه حتى يتمكن منه ووعد أبو تاشفين ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملا من قبله ، ثم سرح العساكر الى جهة مراکش وأجلب عليها بخيله ورجله

واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن وهو بمعسكره من تاسالت ينتظر قدوم الحفصي عليه فانكفا راجعا الى الحضرة مجعما الانتقام من أخيه ، ولما انتهى في طريقه الى حصن تاويرت شحنه بالمسكر وعقد عليه لابنه تاشفين بن أبي الحسن ووقف أمره على نظر منديل بن حمامة شيخ بني تيربعين ثم أغد السير الى سجلماسة فنزل عليها وأخذ بمخنقتها وحشر الفعلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها وأقام عليها يغاديا بالقتال ويراوحها حولا كاملا ونهض أبو تاشفين في عساكره من تلمسان يريد الغارة على أطراف المغرب كي يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فأنتهى الى تاويرت فبرز اليه تاشفين بن أبي الحسن في عساكر مرين فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان ، ثم بعث بحصنة من جنده مددا للامير أبي علي ففسر بوا الى سجلماسة جماعات وأفذاذا حتى تكاملوا لديه فلم يفتنوا شيئا وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأنزل بهم أنواع النكال حتى افتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وتقبض على الامير أبي علي عند باب قصره ووجيء به الى أخيه أبي الحسن وقد خامره الجزع فلما مثل بين يديه تضرع اليه وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بتقيفه وحمله على بقل الى فاس وانكفا هو راجعا الى الحضرة فلما دخلها اعتقل أخاه ببعض حجر القصر أشهراً ثم قتله فصدأ وخنقا وكانت سن أبي علي يومئذ سبعا وثلاثين سنة وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة وأشهرها وكان رقيق الحاشية ينتمى الى الادب وهو الذي استقدم أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي من سبتة واستكبه أيام أبيه ومن شعر الامير أبي علي يخاطب أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره

فلا يفرنك الدهر الخؤون فكم أباد من كان قبلي يا أبا الحسن
 الدهر مذ كان لا يبقى على صفة لا بد من فرح فيه ومن حزن
 أين الملوك التي كانت تهابهم أسد العرين ثووا في اللحد والكفن
 بعد الاسرة والتيجان قد محيت رسومها وعفت عن كل ذي حسن
 فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا واستغن بالله في سر وفي علن
 واختر لنفسك أمرا أنت أمره كأنني لم أكن يوما ولم تكن

وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان ابي الحسن بحضرة فاس

وفتح جبل طارق



لما هلك السلطان أبو الوليد اسماعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن الاحمر
 المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش ، قام بالامر بعده ابنه
 محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد ما شب وعقل
 وكان الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبعمائة
 وزاحم الفرنج به ثغور المسلمين وصار شجى ففى صدر الدولتين المرينية
 والاحمرية واستمر الحال على ذلك الى أن بويع الامير السلطان أبو الحسن
 وكان له رغبة فى الجهاد اقتداء بمذهب جده يعقوب بن عبد الحق فبادر السلطان
 محمد بن اسماعيل بن الاحمر الى الوفاة عليه لاحكام عقد المودة معه وللمفاوضة
 فى أمر الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح لدولته فقدم عليه بدارملكه بفاس سنة
 اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأكبر السلطان أبو الحسن موصله وأركب
 الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ فى اكرامه ، وفأوضه
 ابن الاحمر فى شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكى اليه حال
 الجبل واعتراضه شجى فى صدور الثغور وقيل وشكى اليه أمر بنى عثمان بن أبي
 العلاء لانهم كانوا قد استطالوا عليه فى أرضه فأشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى

فى أسباب الجهاد ، وكان يومئذ مشغولا بفتنة أخيه أبى على ومع ذلك فقد أمده
 بالجند وعقد لابنه أبى مالك على خمسة آلاف من انجاد بنى مرين وأنفذهم مع
 ابن الاحمر لمنازلة جبل الفتح فاحتل ابو مالك بالجزيرة الخضراء وتابعت اليه
 الاساطيل بالمدد ، وأرسل ابن الاحمر فى الاندلس حاشرين فتسائل الناس اليه
 من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبلوا فى منازلته البلاء
 الحسن الى أن فتحوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وافتحمه المسلمون عنوة
 ونقلهم الله من كان به من النصارى بما معهم ، وشرع المسلمون فى شحنة
 بالاقوات ينقلونها من الجزيرة الخضراء على خيولهم خوفا من كرة العدو وباشر
 نقلها الاميران أبو مالك وابن الاحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتحيز الامير
 أبو مالك الى الجزيرة الخضراء وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من
 وزراء أبيه ، ووصل الطاغية بعد ثلاث من فتحه فأناخ عليه وحاصره وبرز أبو
 مالك بعساكره من الجزيرة فنزل بازائه وزحف ابن الاحمر فنزل بازائه أيضا
 ثم خاف ابن الاحمر عادية العدو لقرب العهد بارتجاع الجبل وخفة من به من
 الحامية والسلاح ، فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلا باثما
 نفسه من الله فى رضا المسلمين وسد خلتهم فتلقيه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما
 له وأجابه الى ما سأل من الأفراج عن هذا المقل وأتحفه بذخائر مما لديه
 وارتحل من فوره وشرع الامير أبو مالك فى تحصين ذلك الثغر وسد فروجه
 وقال أبو العباس المقرئ فى النسخ : ارتجع السلطان أبو الحسن جبل طارف
 بعد أن أنفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده
 وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين ، واهتم ببنائه وتحصينه
 وأنفق عليه أحمال المال فى بنائه وحصنه وسوره وبنى أبراجه وجامعه ودوره
 ومحاربه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصر المسلمون وخبث الله سعى
 الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع
 جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عليه بمحاصرته ،
 ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه
 احاطة الهائلة بالهلال ، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره

السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو عنان رحمهما
الله تعالى

وأما ابن الأحمر فان أولاد عثمان بن أبي العلاء شيوخ الغزو بالاندلس لما
رأوا ما حصل بينه وبين السلطان أبي الحسن من الوفاق واتصال
اليد خافوا أن تعود موافقتهم بالضرر عليهم اذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة
المغرب فبخروجهم عليهم ومناذتهم اياهم غير مرة ، وأما دولة الاندلس
فباستحواذهم على أهلها ومزاحمتهم اياهم في رياستها فشاوروا فيما بينهم
وفتكوا بابن الأحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا
أخاه أبا الحجاج يوسف بن اسماعيل مكانه فقام بالأمر بعده وشمر للاخذ بثأر
أخيه فاحتال على بنى أبي العلاء حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غربهم انى
تونس الى أن كان من أمرهم ما نذكره



فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابي تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبني زيان بمهلكه



لما استقام ملك المغرب للسلطان أبي الحسن بمقتل أخيه أبي علي صاحب
سجلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس تفرغ لشأن تلمسان والانتقام
من صاحبها أبي تاشفين الذي ضايق أصهاره من بنى أبي حفص فى أرضهم
ونازعهم فى ملكهم ، وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لاول بيعته شفعا الى أبي
تاشفين فى أن يتخلى عن عمل الموحدين ويرجع الى تخوم أعماله التى ورثها عن
سلفه وقال له فى جملة ذلك : « كف غنهم ولو سنة واحدة لسمع الناس انى
نافحت عن صهرى ويقدروا قدرى » فاستكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ
للرسل فى القول وأفحش بعض السفهاء من عبيده فى الرد عليهم بمجلسه ونالوا

من السلطان أبي الحسن بمحضره فعادت الرسل اليه وأعلموه بالقضية على وجهها فحمى لذلك وغضب وتأكد عزمه على النهوض الى تلمسان فكان من نهوضه أولا وانتفاض أخيه عليه وعوده اليه من تاسالت ما قصصناه قبل مستوفى ثم عاود السلطان النهوض الى تلمسان في هذه المرة فمسكر بظاهر فاس الجديد وبعث وزراءه ووجوه دولته الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجموع ثم تعجل وعرض جنوده وأزاح عنهم وعبى مواكبه وفصل في التعية من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة فسار يجر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة فجمر عليها الكتاب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم اقتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها، ثم سار على التعية حتى أناخ على تلمسان ثم بلغه الخبر بتغلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز اليهم بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت لديه امداد النواحي وحشودها، ووفدت عليه قبائل مغراوة وبنى توجين فأتوه طاعتهم وسرح كتابه الى القاصية فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتسس والجزائر وغيرها واستولى على الضواحي ونزع اليه يحيى بن موسى كبير قواد أبي تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلقاء مبرة وكرامة ورفع بساطه ونظمه في طبقات ووزرائه وجلسائه، وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكري شيخ بنى عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فسار في الالوية والجنود فطوع ضاحية الشرق وافتح أمصاره حتى انتهى الى لمدية ونظم البلاد في طاعة السلطان أبي الحسن واحتشد جموعها فلحقوا بمعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات

واختط بغربي تلمسان البلد الجديد لسكناه ونزول عساكره، وأحيا معالم المنصورة التي كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان من بعده فأدار عليها سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق وآلات من وراء خندقه وجعلت رماته تنضح رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر يقرب منهم وترتفع شرفاته فوق خندقهم وتماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليه ورتب المجانيق لرجمها وأحكم عملها لدكها فنالت من ذلك فوق الغاية،

وعظم أثرها في القصور العظيمة والقباب الرفيعة التي تأنق أبو تاشفين في
تشييدها ، وكان السلطان أبو الحسن يصبح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد
من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر في مراكزهم وربما انفرد في طوافه فطاف
في بعض الايام متبذاً عن الحاشية ، فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما
بين الجبل والبلد فتحوا ابوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبونها فرصة
كالتى كانت ليغمراسن بن زيان في السعيد الموحدى ، واضطروه الى سفح الجبل
حتى لحق بأوغاره وكاد ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير عرب
سويد ، وأحسن أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحداناً وركب ابنه
الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جناحاً عسكريه وعقاباً جحافله وتهاوت
اليهم صقور بنى مرين من كل جو فانكشفت عساكر بنى عبد الواد وولوا الادبار
منهزمين لايلوى أحد منهم على أحد ، واعترضهم مهوى الخندق فطارحوا فيه
وتهافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ فيه أكثر من الهالك بالسلاح ، وهلك من
بنى توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد
ابن سلامة بن على كبير بنى يدلتن وصاحب قلعة تاوغزوت وهما ما هما في
زنانة الى أشباه لهما استلحموا في هذه الوقعة فحصد هذا اليوم من جناح دولة
بنى زيان وحطم منها ، واتصل الحصار مدة من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع
والعشرون من رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة اقتحم السلطان أبو الحسن
مدينة تلمسان عنوة ، ووقف أبو تاشفين رحمه الله عند باب قصره في جماعة
من أصحابه منهم ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على ووليه عبد الحق
ابن عثمان وهو الذي كان خرج على السلطان أبي الربيع وبايعه عبد الرحمن
ابن يعقوب الوطاسى حسباً مر ، فانه لحق به بعد تلك الوقعة بتلمسان ثم منها
الى الاندلس ثم حضر انتفاض العزفي بسببة سنة ست عشر كما مر ثم لحق بأبي
بكر الحفصى ثم نزع عنه الى أبي تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشده في
جماعة من بنيه وبنى أخيه وكانوا احلاس حرب وفتيان كريهة فمانعوا دون
القصر واستماتوا عليه الى أن استلحموا ورفع رؤوسهم على عصا الرماح فطيف
بها وغصت سكك البلد من داخلها وخارجها بالعساكر وكفت ابوابها بالزحام حتى

لقد كب الناس على أذقانهم وتواقموا على مساربهم ، فوطئوا بالحوافر وتراكت
أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المسلك ما بين السقف ورجبة الباب وانطلقت
الأيدي على المنازل نهبا واكساحا

وأما أبو تاشفين فإنه قاتل حتى قتل ابنه عثمان ومسعود أمامه وخلصت إليه
جراحات فأنختته وتقبض عليه بعض الفرسان فسأقه إلى السلطان فلقبه ابنه الأمير
أبو عبد الرحمن فأمر به فقتل في الحين واحتز رأسه وسخط السلطان ذلك من
فعله لانه كان حريصا على توبيخه وتقريره ، وقال ابن الخطيب : وقف أبو
تاشفين وبنوه بازاء القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع
وصدقوا عن أنفسهم الدفاع إلى أن كوتروا وأعجلتهم ميتة العز عن شد الوناق
وامكان السمات فكان في شأنهم عبرة رحمهم الله

وخلص السلطان أبو الحسن إلى المسجد الجامع بحاشيته واستدعى شيوخ
الفتيا بلمسان وهما الامامان الشهران أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى
ابنا الامام فخلصوا إليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب
والعيث فركب لذلك بنفسه وسكن الناس وقبض أيدي الجند عن الفساد وعاد
إلى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر واستولى السلطان أبو
الحسن على تلك الامارة المؤنلة بما اشتملت عليه من نفيس الحلى وثمان الذخيرة
وفاخر المتاع وخطير العدة وبديع الآلة وصامت المال وضروب الرقيق وصنوف
الاناث والماعون ، ورفع القتل عن بني عبد الواد أعدائه وشفا نفسه بقتل سلطانهم
رعفا عنهم وأثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء واستبعمهم على راياتهم
مراكرهم وجمع كلمة بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين
وسائر زناتة وصاروا عصبا تحت لوائه وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله ،
فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم إلى ثغور عمله بالاندلس
حامية ومرابطين واندرجوا في جملة واتسع نطاق مملكته ، وأصبح أبو الحسن
ملك زناتة بعد أن كان ملك بني مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان
المغرب فقط وانما الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

مراسلة السلطان ابي الحسن لسلطان مصر
وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله

كان للسلطان ابي الحسن مذهب وراى فى ولاية ملوك المشرق والمكلف بالمعاهد الشريفة اقتداء فى ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لديه متين دياته ورفيع همته ، ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى واستولى على المغربين خاطب لحيته صاحب مصر والشام والحجاز الملك الناصر محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن ركب الحاج فى سابلتهم ، وكان سفيره فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين الخلف كما كانت بين السلف ، فأجمع السلطان أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة قرابة الى الله تعالى وابتغاء للمشوبة فانتسخها بيده وجمع الوراقين لتتميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها ، وصنع لها وعاء مؤلفا من الآبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجواهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير بنى زغبة من عرب بنى هلال ومثل السابق المقدم فى بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير أخواله من عرب الخلط وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وعريف الوزعة باباه الشيخ أبا محمد عبد الله بن قاسم المزوار

واحتفل فى الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا قال ابن خلدون . « وقفت على برنامج الهدية بخط أبى الفضل بن أبى مدين الرسول المذكور ووعيته ثم أنسيته وذكر لى بعض قهارمة الدار أنه كان فيها

خمسائة من عناق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصاومغشى ومموها وخمسائة حمل من متاع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة الدبغ المنسوبة الى اللمط ومن خرثى المغرب وما عونه ما تستطرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجواهر والياقوت واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ذلك الركب فاذن لها واستبلغ في تكرمتها واستوصى بها وفده وسلطان مصر في كتابه ، وفصلوا من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ووصلوا الى مصر في الثاني والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وقدموا هديتهم اليه فقبلها وحسن موقعها لديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث الناس به دهرا ولقاهم سلطان مصر في طريقهم أنواع البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبه ، وأسنى الملك الناصر هدية السلطان من الفساطيط المشرقية الغربية الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ، ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكرمتهم وصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد ، اه كلام ابن خلدون ببعض ايضاح

وقد ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه «المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن» هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والتمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجواهر النفيس الملوكي ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حلالا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الانان عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الاكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن

المشققات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالي المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحلل ثمانمائة ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلات بالذهب المنظم بالجواهر عشرة والسروج عشرة يركب الذهب كذلك ومهاميز الذهب وثلاثة ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضتان من ذهب مما يليق بالملوك وشائبة حديد بذهب مكلل بالجواهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر برافع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهي من حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزات الاحرار المتتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العرب ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أم برس الحجاج مع الربعة المكرمة يعنى ربعة المصحف الكريم ، وأعطى السلطان الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضي الركب ثلاثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ، ولشيخ الركب أحمد ابن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء الرباع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا اه ، وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسين أهدي هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية فى مرات ، ومنها للملك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلاطين السودان كصاحب مالى ، ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان اه ، وقال العلامة المقرئ مؤرخ مصر فى «كتاب السلوك» ما نصه: «وفى ثان وعشرين من رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان (الاستغا . ناك . 9)

ابن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جلييلة الى الغاية نزل
لحملها من الاسطول السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان
من جملتها اربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها
بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها ذهب وكذلك
لجملتها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها
اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياسة ذهب مرصع وفيها
مائة كساء وغير ذلك من القماش العالي ، وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم
وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع
الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر
مراتبهم حتى نفذت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فإنه اختص به ، فقدرت قيمة
هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها
ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلواء والفاكهة في كل يوم بكرة وعشيرة
ما عمهم وفضل عنهم ، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف
أردب أرزا وقنطار حب رمان وربيع قنطار سكرا وثمان فانوسيات شمعا وتوابل
الطعام ، وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل
أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة
الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين
قادوا الخيول ، وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجلب قدره وقيل لها أن تملي ما
تحتاج اليه ولا يعوزها شيء وانما تريد عناية السلطان اكرامها واکرام من معها
حيث كانوا ، فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أن يغا بتجهيزها اللائق
بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوءية وهيا كل ما تحتاج اليه في
سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والبجماط وطلبا الجمالة لحمل
جهازها وأزودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره
أن يرحل بها في مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمثل كلما تأمر به وكسب
لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة اه وفيه بعض مخالفة لما وصفه ابن
مرزوق في الهدية والخطب سهل

ثم انتسخ السلطان أبو الحسن رحمه الله نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس ، قال العلامة أبو العباس المقرئ في نفع الطيب « كان السلطان أبو الحسن المريني قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، ووقف عليها أوقافا جليلة كتب سلطان مصر والشام بوقيعه بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله :

« وهو الذي مد يمينه بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فأيد الله حزيه بما سطره من أحزابها ، واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لأملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لا يبد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الاعداء بالهندي ، ورتب عليها أوقافا تجرى أقلام الحساب في اطلاقها وطلقها وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها ، والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف ، اه ، قال المقرئ : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي بييت المقدس وربعته في غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم

واتصلت الولاية بين السلطان أبي الحسن وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا على ما نذكره بعد ان شاء الله



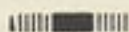
نكبة الامير أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي الحسن
وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان أولا وثانيا
ينتظر قدوم صهره السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي عليه لما كان انعقد
بينه وبين أبيه أبي سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على
حصارها ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان في التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين
الشيخ أبو محمد بن تافراجين شاهدا لذلك الفتح قدم رسولا من عند مخدومه
السلطان أبي بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبي الحسن بأن مخدومه قادم
عليه للقائه وتهنته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب
الفخر ويعنى به ، وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعسكر
بمسيجة منتظرا لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصي عن القدوم بسبب تسيط
محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك وقال له : « ان لقاء سلطانين لا
يتفق الا في يوم على أحدهما ، فكره الحفصي ذلك وتقاعد عنه وطال مقام
السلطان أبي الحسن في انتظاره ثم طرقة بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى
تحدث أهل العسكر بمهلكه

وكان ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغين في ولاية عهده
منذ أيام جدهما أبي سعيد وكان أبوهما قد جعل لهما لاول دولته ألقاب الامارة
وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات
العطاء واستلحاق الفرسان ، وانفراد كل بعكسره على حدة وجعل لهما مع ذلك
الجلوس بمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له في
سلطانه ، ولما اشتد وجع السلطان في هذه المرة تمشت سمسرة الفتن بينهما
وتحزب أهل العسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما
المال وحمل على المقربات وصار الجيش شيئا ، وهم الامير أبو عبد الرحمن

بالتوب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطاته بذلك .
وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى
الناس قبل أن يتفاهم الامر ويتسع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه
وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبل يده ، وتقبض على أهل
الظنة من الجيش فأودعهم السجن وسخط على الاميرين وأمر برحيل من كان
معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنة
وسكن سعى المفسدين وانتبذ الناس عن الاميرين المذكورين فبقيا أوحش من
وتد بقاع ، فاشتد جزع الامير أبي عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض
الليل فأصبح بحلة أولاد على أمراء بني زغبة من هلال المواطنين بأرض حمزة
تقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل ورده الى أبيه فأعتقله بوجدة ورتب
العيون لحراسته ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسي بالموحدين أصحاب
تونس فأجاروه ، ورضى السلطان صبيحة فرار أبي عبد الرحمن عن أخيه أبي
مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ راجعا الى تلمسان
والله أعلم



ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من امره



لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبي عبد الرحمن وأودعه السجن
تفرق خدمه وحشمه في الجهات ، وكان منهم رجل جزار مرتب في مطبخه ،
يعرف بابن هيدور وكان له شبه في الصورة بأبي عبد الرحمن فلحق ببني عامر
ابن زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن طاعة السلطان أبي الحسن لاختصاصه
عريف بن يحيى أمير بني سويد أعدائهم ، فلما لحق بهم ابن هيدور هذا اتسب
لهم الى السلطان أبي الحسن وأنه ابنه أبو عبد الرحمن فشبهم وباعوه وأجلبوا
به على نواحي لمدية فبرز اليهم قائدها فهزموه ، ثم جمع لهم ونزمر بن
عريف بن يحيى فهزمهم وافترق جمعهم ونبذوا للجزار عهده ، فلحق ببني

يزناتن من زواوة فنزل على شيختهم شمسي من بني عبد الصمد منهم ، وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وغلبت عليهم بقومها ورجالها وكان لها بنون عشرة فاستفحل أمرها بهم ولما نزل عليها الجزار المذكور وانتسب لها الى السلطان أبي الحسن قامت بأمره وشمرت عزائمها لاجارته وحملت قومها على طاعته وشاع في الناس خبره فممن مصدق ومن مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الاموال فسي قومها وبنيها على اسلامه اليه فأبت ثم نسي اليها الخبر بكذبه وتمويهه فبنت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب فلحق بالدواودة أمراء رياح من بني هلال ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب له في مثل ذلك فأجاروه ان صدق نسبه وأوعز السلطان أبو الحسن الى صهره أبي بكر الحفصي في شأن الجزار فبعث الحفصي الى يعقوب بن علي في ذلك ، فأشخصه الى السلطان أبي الحسن مع بعض حاشيته ، فلحق به بمكانه بسبته يريد الجهاد فامتحنه وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقي المغرب تحت جراية من الدولة الى أن هلك في بعض السنين ، وأما الامير أبو عبد الرحمن فإنه لما سجن بوجدة بقي هناك الى سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فأنفذ حاجبه علان بن محمد فقتل عليه رحم الله الجميع

اخبار السلطان ابي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف

التي محص الله فيها المسلمين وغير ذلك



لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الايدي يده وانفسح نطاق ملكه دعت همته الى الجهاد وكان كلفا به فأوعز الى ابنه الامير أبي مالك أمير الثغور الاندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول الى دار الحرب وجهاز اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء ، فشخص أبو مالك غازيا وتوغل في بلاد النصرانية واكسحها وخرج بالسبي والقنائم الى أدنى صدر من أرضهم ،

وأناخ بها فاتصل به الخبر ان النصارى قد جمعوا له وأنهم أغدوا السير في
اتباعه فأشار عليه المملأ بالخروج من أرضهم وعبور الوادى الذى كان تخما بين
أرض المسلمين ودار الحرب ويتحيز الى مدن المسلمين فيمتنع بها فليج فى ابايته
وصمم على التعريس وكان قرما نبأ الا أنه غير بصير بالحرب لصفر سنه ،
فصبحتهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم فى بياتهم
وأدركوا الامير أبا مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجذلوه* واستلحموا
الكثير من قومه واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم
ورجعوا على أعقابهم ، واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن ففجع لهلاك ابنه
واسترحم له واحتسب عند الله أجره ، ثم أنفذ وزراءه الى سواحل المغرب
لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجنود وأزاح عليلهم واستنفر أهل
المغرب كافة ، ثم ارتحل الى سبتة لياشر أحوال الجهاد وتسامعت به أمم النصرانية
فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطولها الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة
واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى المغرب ، وبعث الى أصحابه
الحفصيين بتجهيز أسطولهم اليه فعدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية
ووافى سبتة فى ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس
وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة
تأخر المائة ، وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفى الذى كان صاحب سبتة
يوم فتحها أيام السلطان أبى سعيد وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق
وقد تكامل عديدهم وعدتهم ، فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى
أسطول النصارى وتوافقوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها من بعض وقرنوها
للمصاف ، فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين
بعدهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هيرا بالسيوف وطعنا بالرماح
وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم المند ، واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى

* وحملت جثته الى شالة وأقبر بها وقد وقف القنصل الفرنساوى شينيبى Chénier

على رخامة ضريحه انظر تاليفه المسمى أبحاث فى تاريخ المغاربة ج ٣ ص ٢٨٧ فقد

استقصى ذلك واستدل عليه بالاثر الذى عثر عليه بنفسه

مرسى سبته فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم في جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء ، وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أعز أيام الاسلام ، ثم شرع السلطان أبو الحسن في اجازة العساكر من المتطوعة والمرتزة ، وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدو الى العدو ، ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو سبعين ألفا أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع في منازلتها ، ووفاه سلطان الاندلس أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن الاحمر في عسكر الاندلس من غزاة بنى مرين وحامية الثغور ورجالة البدو ، فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات ، وجهاز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر ، وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففنيت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم ، ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس وزحفوا الى المسلمين لسته أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب الى طريف جيشا من النصارى أكنه بها الى وقت الحاجة اليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرصدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فتلوا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد قتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ، ثم زحف الطاغية من الغد في جموعه الى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفها وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذي دخل ليلا وخالفوا المسلمين الى معسكرهم وعمدوا الى فسطاط السلطان فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلحموم لقتلهم ، ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن كذلك وخلصوا الى حظايا السلطان منهن عائشة بنت عمه أبي بكر بن يعقوب بن عبد الحق وفاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي وغيرهما من حظاياهن فقتلوهن واستلبوهن ومثلوا

بهن واتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا ثم أحس المسلمون بماوراءهم
 فى معسكرهم فاحتل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين بن
 السلطان أبى الحسن صمم فى طائفة من قومه وحاشيته حتى خالطهم فى صفوفهم
 فأحاطوا به وتقبضوا عليه وعظم المصاب بأسره ، وكان الخطب على الاسلام قلما
 فجع بمثله وذلك ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة احدى
 وأربعين وسبعمائة وولى السلطان أبو الحسن متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد
 كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى الى فسطاط السلطان من المحلة فانكر
 قتل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ، ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن
 الاحمر بقرنطة وخلص السلطان أبو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى
 جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة فى ليلة غده ومحص الله المسلمين
 وأجزل نوابهم

استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء

لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى
 التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل أولا قلعة بنى سعيد ثغر قرنطة وعلى
 مرحلة منها ، وجمع الآلات والايدي على حصارها وأخذ بمخنتها فأصابهم
 الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، وأدال الله
 الطيب منها بالخيث وانصرف الطاغية الى بلاده ، وكان السلطان أبو الحسن لما
 أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعود الى الجهاد لرجع الكرة فأرسل فى المدائن
 حاشرين وأخرج قواده الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل فتكامل له منها عدد
 معتبر ، ثم ارتحل الى سبتة لمشاركة ثغور الاندلس وقدم عساكره اليها مع وزيره
 عسكر بن تاحضريت وعقد على الجزيرة الخضراء لمحمد بن العباس بن
 تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم

اليريناني من المرشحين للوزارة نيابة ، وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطولاً وأجراه إلى بحر الزقاق لمدافعتهم وتلاقت الأساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداداً وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق فملكه دون المسلمين ، وأقبل الطاغية من اثبيلية في عساكر النصرانية حتى أنار بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة المجاز ورجا أن ينظمها في مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع والآلات وجمع الأيدي عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاوله ، وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الأحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرب إلى أهل الجزيرة المدد من الفرسان والمال والقوت في أوقات الغفلة من أساطيل العدو وتحت جناح الليل وأصيب كثير من المسلمين في ذلك ، ولم يغب عن أهل الجزيرة ذلك المدد شيئاً واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد ، وأجاز السلطان أبو الحجاج إلى السلطان أبي الحسن يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية بعد أن أذن الطاغية له في الإجازة مكرهاً به وأصدر له بعض الأساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا إلى الساحل بعد غص الريق ، وضافت أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسألوا الطاغية الأمان على أن ينزلوا له عن البلد فبذله لهم وخرجوا فوفى لهم وأجازوا إلى المغرب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما عوضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم ووصلهم بما تحدث الناس به ، وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة له على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها ، وانكفاً السلطان أبو الحسن راجعاً إلى حضرته موقناً بظهور أمر الله وانجاز وعده والله متم نوره ولو كره الكافرون



بقية اخبار بنى ابي العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان يلي مشيخة الغزاة بالاندلس وانه استشهد سنة ثلاثين وسبعمائة * وقام بأمره ابنه أبو ثابت فاستحوذ بمصييته وقومه على بنى الاحمر ، فقتلوا محمد بن اسماعيل منهم مرجعه من فتح جبل الفتح ونصبوا للامر أخاه يوسف بن اسماعيل حسبما تقدم الالماع بذلك ، ثم ان السلطان أبا الحجاج هذا بقى بين جنيبه داء دخيل من بنى أبي العلاء الذين فتكوا بأخيه فلم يزل يسعى فى أمرهم حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ، ثم غربهم الى تونس فنزلوا على السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فكتب اليه باعتقالهم ففعل ، ثم بدا له فبعث اليه مع عريف الوزعة بابه ميمون بن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف الحفصى عن ذلك وأبى من اخفار ذمتهم ، فأشار عليه وزيره أبو محمد بن تافراجين ببعثهم اليه وانه لا يريد بهم الا الخير فبعثهم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم فقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فتلقاهم بالبر والكرامة اكراما لسفيهم وأنزلهم بمعسكره وحملهم على الخيول المسومة بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم فى أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملة ، ولما احتل بسبته لمشاركة أحوال الجزيرة الخضراء سعى عنده فيهم بان كثيرا من المفسدين يداخلونهم فى الخروج والتوئب على الامر فتقبض عليهم وأودعهم السجن بمكناسة الزيتون ، واستمروا هنالك الى أن قام أبو عنان فأطلقهم واستعان بهم على أمره حسبما تذكره ان شاء الله



مراسلة السلطان ابي الحسن لصاحب مصر

ابي الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن راسل الملك الناصر صاحب مصر وهاداه
بما عظم وقعه عند الخاصة والعامة ، واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى
أن هلك سنة احدى واربعين وسبعمائة وولى الامر من بعده ابنه أبو الفدا
اسماعيل ، فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا وأتحفه وعزاه عن أبيه وأوفدعليه
كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبي عبد الله ابن أبي مدين وفي
صحبه الحررة أخت السلطان أبي الحسن فقضى من وفادته ما حمل ، وأصعبه
السلطان أبو الحسن كتابا الى الملك الصالح أبي الفداء وكان وصوله الى مصر
منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

ونص الكتاب بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : «من
عند أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل
عليه المعتمد في جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين موثرالمرابطة
والمناغرة موازر حزب الاسلام حق الموازنة ناصر الاسلام مظاهر دين
الملك العلام ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين
حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين مههد البلاد مبدد شمل
الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال
أبى سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين حسنة الايام
حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع
علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء
دين الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده
ويسر في قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع في أفق العلا بدرا
تما وصدع بأنواع الفخار فجلى ظلما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية

فاعلى منها علما وأحیی رسما حائط الحرمین القائم بحفظ القبلتین باسط
 الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تأمينه بحياطة النفوس
 والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل
 الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم
 الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبی الوليد اسماعيل ابن
 محل أخينا الشهير علاؤه المستطير في الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال
 عين انسان المجدوانسان عين الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه في
 عقود أهل الملل والنحل حامی القبلتین بعدله وحسامه التامی فی حفظ
 الحرمین أجر اضطلاعہ بذلك وقيامه هازم أحزاب المعاندين وجيوشها هادم
 الكنائس والبيع فهي خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل
 الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد
 المرابط المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر
 زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبی المعالي محمد بن الملك الارضى الهمام
 الامضى والد السلاطين الاخبار عاقد لواء النصر في قهر الارمن والفرننج
 والتار محیی رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام في البلاد جمال الايام
 نمال الاعلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور
 المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين
 فلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التي أطلعها له السعد شمسا
 في سمائه وأحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح
 زهر الربى مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يضحبه رضوان يدوم ما دامت
 تقل الفلك حر كاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمه الله وبر كاته أما بعد حمد
 الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخادل من أسر
 النفاق في النجوى فاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 رسوله الذي محى بأنوار الهدى ظلم الشرك ونبه الذي محم به الانبياء وهو
 واسطة ذلك السلك ودعا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الافلاك
 وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هده

فسلك في قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب
أنجح السلك وصابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب
يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر
لمضائه في العدى أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك
الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا
مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب اللطاف ويكيف
مواهب تلهج الالسنه في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره
العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد
سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح
في مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكيننا وأفاد مقامكم
تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مينا فلا خفاء بما
كانت عقده أيدي التقوى ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين
والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الأبرار في علين أنسه من مؤاخاة
أحكمت منها العهود تالية الكتب والفتاحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتها
المحبة والنية الصالحة فانمقدت على التقوى والرضوان واعتضدت
بتعارف الارواح عند تنازع الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت
كلحمة النسب لحمه الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولاعجب قصر زمن
الوصلة أن يشكوه الخلان ورد وارد أورد رنق المشارب وحقق قول « ومن
يسأل الركبان عن كل غائب » أنبا باستارة الله تعالى بنفسه الزكية واكتان درته
السنية وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجليل ما وفر لفقده في
الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك
الاقطار واشفاقا من أن يتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض
الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والوصى الحميم ثم عميت
الاخبار وطويت طي السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن
استقر له ذلكم الملك حقا وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ
أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب

أوطانها ونحن أثناء ذلك الشأن نستخبر الورد من تلكم البلدان عما أجلى
 عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لاى وقعنا منها على الخير وجاءنا بوقاية
 حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله
 تعالى منكم بفتح الخير من أبوابه فأطفأ بكم نار الفتنة واخمدتها من أدواء
 النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وعبر طريقه لمن جاء
 قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعين
 أنار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا الموارث فأصدرنا لكم
 هذه المخاطبة المتفتنة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من الغزاة
 والهناء ثوبى الشعار والدثار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب
 لفقدانه وتحل عرى الاضطراب بموته ولات حين أوانه ولكن الصبر أجمل
 ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما افتناه ذودين متين ومثلكم من لا
 يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اضطباره ومن خلفتموه
 فما مات ذكره ومن قتم بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله
 العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيئا بما من الاجرا كسب
 وصار حميدا الى خير منقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب
 فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة
 ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية وفى ذات
 الله الايراد والاصدار وفى مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا
 دولة ألقى العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان
 عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود
 موثقة وموالاتة محققة وثناء كرائمه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم
 يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين
 وآوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم
 الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه فى ذلكم من الفعل
 الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من البر الذى
 لا يضيع حتى طبق فعله الاتفاق ذكرا وطوق أعناق الورد والقصاد برا وكان

من أجمل ما به تحفى وأتحف واعظم ما يعرفه الى الملك العلام فى ذلك تعرف
 اذنه للمتوجهين اذ ذلك فى شراء ربيع توقف على المصحفين ورسم المراسم
 المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت احوال القراء فيهما
 بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلهم من خراج ما وقفه عليهم بهذه البلاد على
 ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام فى تلك الاوقاف فوائدها
 به متوفرة متحصلة وقد أمرنا مؤدى هذا لكمالكم وموفده على جلالكم كاتبنا
 الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل
 الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبى عبد الله بن أبى
 مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر فى قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد احوال
 تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن
 يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم فى
 هذا الشأن جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى
 فى ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل
 وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل
 والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني فى اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على
 ما يتوخاه فى ذلك الشأن من طرق الصواب وتناؤنا عليكم التناء الذى يفوح
 زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالة
 تشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وتنبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب
 على ذلكم الجنب وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منالجهاد
 عزما مثل ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب
 وفرض عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب وان تقصد طوائفهم البلاد
 الاندلسية بايجافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحو كلمة الاسلام
 منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد
 وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا
 وقد أخذ أخذ المدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور
 وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحرين حيث المجاز

الى دفع العدا وتخلصوا عن الانبساط في البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء
 أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكننا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور
 نستعين بها في ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد
 وأصرخناهم بما أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة
 ترداد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال
 بما يجهز به حركه لداناة محلة حزب الضلال واجرينا له ولجيشه العطاء
 الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم من النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت
 أجفانا ترداد في مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن
 الآجل مشحونة بالعدد الوفيرة والابطال المشهورة والخييل المسومة
 والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهد مضي لما عند الله عز
 وجل وما زالت الاجفان ترداد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون
 قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم تقنع بهذا العمل في الامداد فبعثنا
 أحد أولادنا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر
 وارتجاجه والحاح العدو ولجاجة ما به الامثال تضرب وبمثلته يتحدث
 ويستغرب ولما خلص لتلك العدو بمن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد
 حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصايح العدو ويماسيه
 بحرب بها يمضى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت
 في الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة
 البيضاء في البعير الاورق الا أن المطاولة بحصارها في البحر مدة ثلاثة أعوام
 ونصف ومنازلتها في البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى
 فناء الاقوات في البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من
 الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكذب الينا سلطان الاندلس
 يرغب في الاذن له في عقد الصلح ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين
 من وجوه النجج فأذنا له فيه الاذن العام اذفى اصراخه واصراخ من بقطره
 من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصرى الى السلم فاستجابوا وقد
 كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج ممن

بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولا رزثوا مالا ولا عدة ولا لقوا في
 خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة ووصلوا إلينا
 فأجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالجاء فمن خيل تزيد على الالف
 عتاقها وخلع تربي على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى وانفقير
 ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداها
 وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين
 قضى بأخذ هذا الثغر ان قدر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر وهو المطل
 على هذه المدرة والفرصة منه ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار
 ويفرج بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب
 وكونهم سدوا مسلك العبور بما لجميعهم من الاجقان والمراكب لما بالينا بأصفاقهم
 ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا راد لما جرت به
 الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد العدد
 والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعناء السفر وترتبط
 الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ونكون على أهبة الجهاد وعلى
 مرقبة الفرصة عند تمكثها في الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة نيسر الركب
 الحجازي موجهها الى هناكم رواجه فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار السود
 الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم في
 ذات الله لا يخشنى جديده من البلاء وما لكم من غرض بهذه الانحاء موفى
 قصده على أكمل الاهواء موالى تسميمه على أجمل الآراء والبلاد باتحاد انود
 متحدة والقلوب والايدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة جعل الله
 ذلكم خالصا لرب العباد مدخورا ليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة يوم
 المعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب
 وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات
 المناكب والسلام الاتم يخضكم كثيرا أميرا ورحمة الله وبركاته وكتب في
 يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين
 وسبعمائة وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ

قال ابن خلدون : « قضى أبو الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين من وفادته ما حمل وكان شأنه عجبا في اظهار أبهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم رحمه الله ، وقال العلامة المقرئى : « وفي منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبعمائة قدم الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بانصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك ، ولعل هذا الكتاب آخر غير الذى سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم

ونسخة الجواب عن الكتاب الذى سردناه من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم : بعد البسمة فى قطع النصف بقلم الثلث : « عبد الله ووليه ، صورة العلامة ، ولده اسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار ، اسكندر الزمان مملك اصحاب المناير والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ، ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة انصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المناغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أمد الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائمه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء

اتخذ الفحات المسكية طلائمه ونبه بالتغريد في الروض سواجمه وجلى
 في كأسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه
 «أما بعد» حمد الله على نعم ادت لنا الامانة في عود سلطنة والدنا الموروثة
 وأجلستنا على سرير مملكة زرايبها بين النجوم مبثوثة ، واحسنت بنا الخلف
 عن سلف عهوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوتة ، وصلاته على سيدنا محمد
 عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أملة وسؤله
 صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالفجران ذبولها ما تراسل أصحاب
 وتواصل أحباب فيوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق
 على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ، ويصنع خد الورد بالخجل منوره
 ويحكى الرياض البانعة فالالقات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع
 على الآفاق حلل الايام والليالي فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب
 ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب
 فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألقاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبها الفاتح
 بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره
 المنتظمة بالفرسان المزدحمة يوم الكفاح وانتهينا الى ما أود عتموه من اللفظ
 المسجوع والمعنى الذي يطرب طائرته المسموع والبلاغة التي فضح التطبع بيانها
 المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده واحسن
 لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بانه في عدة الشهداء
 ما رام القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيد ايملك الارض ومات شهيدا
 يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق
 ويوقف عند نضارة حدائقه الاحداق وورثانمه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة
 تشبه في اللطف شمائلكم - واما الهناء بورانة ملكه والانخراط مع الملوك في
 سلكه فقد شكرنا لكم منحي هذه المنحة وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحة
 ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انفاس سرحة الروض شرحه
 وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذي لا يميد طوب رسوخه
 ولا يميل

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الكريمين الشريفين اللذين
وقفتموهما على الحرمين الشريفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى
الاسمى ابا المجد ابن كاتبكم ابي عبد الله بن ابي مدين اعزه الله لتفقد
احوالهما والنظر فى أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه فى حرز
السلامة واكرما نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان
اليهم شملهم وحضر المذكور بين ايدينا وقريناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وامرنا
فى أمر المصحفين الشريفين بما اشترتم ورسعنا لنوابنا فى توخى اوقافهما بما
ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على احسن عادة ألفها واثبت قاعدة عرفها
مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن ازالة رسمه أو اذالة حكمه
بدره ابدافى مطالع تمه وزهره دائما يرقص فى كفه لا يزداد الا تخليدا ولا
اطلاق ثبوته الاتقيدا ولا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكتنا وعادة
تصرفاتنا فى مسالكنا وله مزيد الرعاية وافادة الحماية ووفادة العناية. وأما ما وصفتموه
من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار حزنها وسهلها فانه سق
علينا سماعه الذى انكى اهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بانامل
الحفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر
ولكن الحرب سجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو امكنت
المساعدة اطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم اباطحهم بقسينا
المعوجة وسهامنا المقومة وكحلنا عين النجوم بمرآود الرماح وجعلنا ليل العجاج
ممزقا بروق الصفاح واتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضيق
الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك
الاسنة وفلقنا الصخرات بالصراخات واسلنا العبرات بالرعبات ولكن اين الغاية
من هذا المدى المتطاول واين الثريا من يد المتناول وما لنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى
نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا
- وأما - ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف الانلاف وام حرم فنائها الفناء
وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على
اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار لا يخلو صفوها من كدر القدر وطالما

أنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب في السحر ولكن في بقائكم ما يسلى
 عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر حين لان الدر يفدى
 بالذهب - وأما - ما رأيتوه من الصلح فرأى عقده مبارك وامر ما فيه فارطعزم
 وان كان فيتدارك والامر يجيء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها
 نصرها تارة ويغيب مع اليوم غدا وقد يرد الله الردا ويعيد الظفر بالعدا
 وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا
 لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى
 التدبير سرورى التميم لان النفوس تمل ونير المهاد فكيف ملازمة
 صهوات الجياد وتسام من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب
 وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى
 فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما
 شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى كدر ورد
 الصبر لما ورد فعادة اللطاف بكم معروفة وعزمتكم الى جهات الجهاد
 مصروفة وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن بطرق
 وجبل يعصم من سهم يمر من قسى الكفار ويمرق وأما ما منحتموه من الخيل
 العتاق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال
 التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم
 فى منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أنيتها وتحفكم
 تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأثار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج
 :كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا
 أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤوس الاعناء بهم ينضد جيها واذا كان
 أو ان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم
 بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجراته الشريفة
 حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل
 ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لامسافة لمسافر بين الشرق
 والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها

لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لآخذ النار حمايتكم وتخصمك
بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليناع من ورق الحديد
الأخضر وتحفكم بسعد لايبلى قشيه وعز لايمحو شبابه مشيه وتحيته
المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم أنفاسها المعبرة وتنافحكم بمنه
وكرمه ، فى سادس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ،

قال ابن خلدون : « ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افريقية
كما نذكره فى كتب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها بيت المقدس
فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها ، اه وهو يقتضى أن السلطان
المذكور ما كتب سوى مصحفين اثنين ويؤيده ظاهر الكتابين المسرودين آنفا
مع أنه تقدم النقل عن الشيخ أبى العباس المقرئ أنه وقف على النسخة
الموقوفة بيت المقدس والله تعالى أعلم بحقيقة الامر



هدية السلطان ابى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب



أعلم أن أرض السودان المجاورة للمغرب تشتمل على ممالك منها مملكة غانة
ومنها مملكة مالى ومنها مملكة كاغو ومنها مملكة برنو وغير ذلك، وكان ملك مالى
وهو السلطان منسا موسى بن أبى بكر من أعظم ملوك السودان فى عصره ، ولما
استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بنى زيان على
ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره فى الآفاق فسما هذا السلطان
وهو منسى موسى الى مخاطبة السلطان أبى الحسن وكان مجاورا للمملكة
المغرب على نحو مائة مرحلة فى القفر ، فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع
ترجمان من المثلثين المجاورين لبلادهم من صنهاجة ، فوفدوا على السلطان
أبى الحسن فى سبيل التهنة بالظفر فأكرم وفادتهم وأحسن متواهم ومنقلبهم
ونزع الى مذهبه فى الفخر فانتخب طرفا من متاع المغرب وماعونته وشيا من
ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب

الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه غنبر الخصى فأوفدهم بها على ملك مالى منسا سليمان لمهلك أخيه موسى قبل مرجع وفده وأوعز الى أعراب الفلاة من بنى معقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين فشمروا لذلك على بن غانم أمير أولاد جرار من معقل وصحبهم فى طريقهم امتالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركب فى القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن منسا سليمان مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم ، وعادوا الى مرسلهم فى وفد من كبار مالى يعظمون السلطان أبا الحسن ويوجبون حقه ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان أبى الحسن واعتماله فى مرضاته ما استوصاهم به

واعلم أن منسا موسى الذى ذكرناه كان من كبار الملوك كما قلنا وهو الذى صحبه أبو اسحاق الساحلى المعروف بالطويجى (*) من شعراء الاندلس ، كان قد لقيه فى الموسم بعرفة فحلى بعينه وحظيت منزلته عنده فصحبه الى بلاده وأقام عنده مصحوبا بالبر والكرامة وبنى للسلطان المذكور قبة رائعة فازدادت حظوته عنده ، قال ابن خلدون : « أطرف أبو اسحق الطويجين السلطان منسا موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع اليدى وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة ، فجاءت من أتقن المبانى ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باتى عشر ألفا من مناقيل التبر منوبة عليها ، اه وكانت وفاة أبى اسحق بتبتكوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة



(*) صوابه الطويجين تصغير طاجين الاناء المغربى المعروف

مصاهرة السلطان أبي الحسن نازي مع السلطان أبي بكر الحفصي رحمهما الله

قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وانه هلك فيها حرم السلطان أبي الحسن من جملتهن فاطمة بنت السلطان أبي بكر الحفصي فلما فقدها أبو الحسن بقي في نفسه منها حنين الى ما شفقت به من خلالها ولذاذة العيش في عسرتها فسمي أمه من الاعتياض عنها ببعض أخواتها ، فأوفد في خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد من بني زغبة الهلالين و كاتب الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبي مدين وقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى ، فوفدوا على السلطان أبي بكر سنة ست وأربعين وسبعمائة فأنزلهم منزل البر والكرامة ثم دس اليه حاجبه أبو محمد عبد الله بن تافراجين غرض وفادتهم وانهم قدموا خاطبين بعض كرائمه لسلطانهم فأبى من ذلك صونا لحرمة عن جولة الاقطار وتحكم الرجال مثل ما وقع في ابنته الاولى ، فلم يزل حاجبه المذكور يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبي الحسن في رد خطبته مع ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك للحاجب المذكور فانهقد الصهر بين السلطتين على ابنته عزونة شقيقة ابنه أبي العباس الفضل بن أبي بكر صاحب بونة ، وأخذ الحاجب في شوار العرس وتأنق فيه واحتفل واستكر وطال مقام الرسل بتونس الى أن استكمل الجهاز فارتحلوا منها في ربيع سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأوعز السلطان أبو بكر الى ابنه الفضل شقيق العروس المذكورة أن يزفها على السلطان أبي الحسن قياما بحقه وبعث من بابه جماعة من مشيخة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبي الحسن واتصل بهم الخبر في طريقهم بوفاة السلطان أبي بكر فجأة ليلة الاربعاء ثاني رجب من السنة المذكورة ، فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ في اكرامهم وأجل موعده

أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فاطمأنت به الدار عند
السلطان أبي الحسن الى أن سار في جملته وتحت لوائه الى افريقية كما
نذكره ان شاء الله



غزو السلطان ابي الحسن افريقية واستيلاؤها على تونس واعمالها



كان السلطان أبو بكر الحفصي رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبي
العباس أحمد ، وكان أوفد على السلطان أبي الحسن حاجبه أبا القاسم بن
عتوا في غرض له وأصبحه كتاب العهد الى السلطان المذكور ليوافق عليه
فوقف عليه السلطان أبو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه
الله وأحكم العقد في ذلك ، ولما مات السلطان أبو بكر كان ولي العهد غائبا
عن الحضرة فبايع أبو محمد بن تافراجين لابنه عمر .

ذكر الشيخ أبو العباس الوائسري في أقضية «المعيار» عن الشيخ ابن
عرفة أن سلطان افريقية أبا بكر الحفصي كتب العهد لولده أحمد فلما توفى
السلطان المذكور أحضر أبو محمد بن تافراجين قاضي تونس قاضي الجماعة
أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضي الانكحة أبا عبد الله الأجمي
وأمرهما أن يبايعا ولد الخليفة عمر فقالا : « كيف نبايعه ونحن شهدنا بيعته
أخيه أحمد والتزمتها » وكان الحاجب ابن تافراجين نبيلاً فلما رأى امتناعهما
قال : « ادخلا دار السلطان واشتغلا بنفسه وتكفينه » فلما دخلا أحضر الحاجب
المذكور أهل العقد والحل وأمرهم أن يبايعوا عمر فبايعوه ، فلما خرج
القاضيان وجدا البيعة قد حصلت وكان في انتظار أحمد المشهود له بالعهد
وهو غائب بقفصة خوف الفتنة فبايع القاضيان ، وكان ابن عرفة يستصوب
فعل الحاجب وامتاع القاضيين أولاً وبيعتهم ثانياً ، ثم قدم ولي العهد ووقع
بينه وبين أخيه قتال وجرت نطوب كان في آخرها قتل ولي العهد وقتل وليه

أبى الهول بن حمزة أمير الكعوب من عرب سليم فى آخرين منهم وقطع عمر
 أيضا أخويه عبد العزيز وخالدا من خلاف فهلكا ، وكان الحاجب أبو محمد
 ابن تافراجين قد أحس بالشر من جهة عمر المتغلب وتوقع النكبة من جانبه
 فنسلل الى قصره وأخذ ما خف من ذخيرته ولحق بالسلطان أبى الحسن
 وقص عليه الخبر وأغراه بملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها
 وكان السلطان أبو الحسن يتمنى ذلك لولا مكان صهره أبى بكر فأقام يتحين
 لها الاوقات ويترب لها الفرص حتى كانت هذه ، (وانما تنجع المقالة فى المرء
 اذا صادفت هوى فى الفؤاد) فأظهر أبو الحسن الامتصاص لما فعله عمر
 بأخيه ولى العهد من منعه من حقه أولا ثم اراقه دمه نائيا لاسيما وقد كان
 أعطى خط يده بالموافقة على العهد المذكور ، فأجمع الحركة الى افريقية ولحق
 به خالد بن حمزة بن عمر أخو أبى الهول المقتول مع ولى العهد فاستمداه على
 عدوه ، ففتح السلطان أبو الحسن ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى
 افريقية وأزاح عنهم وعسكر بظاهر تلمسان ثم نهض فى صفر من سنة ثمان
 وأربعين وسبعمائة يجر الدنيا بما حملت ، بعد أن عقد لابنه الامير أبى عنان
 على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة وجعل اليه جبايته
 وقدمت عليه فى طريقه أعراب افريقية وولاية قابس وبلاد الجريد وأطاعته
 طرابلس والزاب وبيجاية وصاحبها يومئذ أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء
 ابن أبى بكر ولما وصل الى قسنطينة خرج اليه ابنا الامير أبى عبد الله بن
 أبى . فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم
 جبايتها ، وأنزل بقسنطينة خلفاءه وعماله وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب
 بيجاية الى ندرومة فأنزله بها وأقطعته الكفاية من جبايتها ، ثم وفد عليه بنو
 حمزة بن عمر أمراء الكعوب من سليم فأخبروه باجفال عمر المتغلب بتونس
 مع ظاعنة اولاد مهلهل واستخوه فى اعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر ، فسرح
 معهم العساكر فى طلبه لنظر حمو بن يحيى العسكرى

وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة وعرض جيوشه بسطح الجباب
 منها ، ثم ارتحل على أثرهم وأغذ حمو بن يحيى السير مع ناجمة اولاد أبى

الليل فلحقوا بعمر صاحب تونس بارض الحامة من ناحية قابس فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء ثم انهزموا وكبا بعمر جواده في ناقاه بعض اليرابيع وانجلى الغبار عنه وعن مولاه ظافر راجلين فتقبض عليهما وأوثقهما فائد العسكر بيده حتى اذا جن الليل ذبحهما خوفا من أن تفتكهما العرب من يده وبعث برأسيهما الى السلطان أبي الحسن فوصلا اليه بياجية وخلص الفل من تلك الوقعة الى قابس ، فتقبض عبد الملك بن مكى صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر ابن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة ، فبعث بهم ابن مكى الى السلطان أبي الحسن مقرنين في الاصفاد فأما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف لفتيا الفقهاء بجرابتهم واعتقل الباقي

وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم لصهره على ابنته يحيى ابن سليمان من بني عسكر فاحتلوا بتونس ، ثم جاء السلطان على أثرهم فنزل بظاهاها يوم الاربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتلقاه وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فأتوه بطاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايته معتبين بملكته ، وكانت تونس يومئذ مشحونة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرافع وابن راشد القفصي وابن هرون وأعلام آخرون ، ثم عبا السلطان أبو الحسن يوم السبت مواكبه لدخول الحضرة فصف جنوده سماطين من معسكره بسيجوم الى باب البلد نحو أربعة أميال وركبت بنو مرين من مراكزهم من جموعهم وتحت راياتهم ، وركب السلطان من فسطاطه وعن يمينه وليه عريف بن يحيى كبير سويد ويلييه أبو محمد عبد الله بن تافراجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء وهو أخو السلطان أبي بكر ويلييه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة فأطلقهما السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طراز ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بنو مرين وكبرائهم ، وهدرت طبوله وخفقت راياته

وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفافا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش ، قال ابن خلدون : وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ، قلت : كان سن ابن خلدون يومئذ ست عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

وكان قدم في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من أعلام المغرب كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه ثم دخل القصر الخلفي وخلع علي أبي محمد بن تافراجين وقرب اليه فرسا بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا الى منازلهم ثم دخل السلطان أبو الحسن مع ابن تافراجين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منها الى الرياض المتصلة بها المدعوة برأس الطابية فطاف على تلك البساتين وسرح نظره فيها واعتبر بحالها ثم أفضى منها الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها ثم ارتحل من الغد الى القيروان فجال فسي نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطلول المائلة لصهاجة والعبيدين والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للمصحابة والسلف من التابعين والاولياء في ساحتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهديّة ووقف على ساحل البحر منها وتطوف في معالمها ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير وانكفا راجعا الى تونس فاحتل بها غرة رمضان من السنة ونزل المسالحي على ثغور افريقية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى أقطاعات العرب التي كانت لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات وخفتت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدي أهل الفساد وانقرض أمر الحفصيين في هذه المدة الا أنه عقد على بونة لصهره الفضل ابن السلطان أبي بكر اكراما لصهره ووفادته عليه واتصلت ممالك السلطان أبي الحسن ما بين مسراته الى السوس الأقصى من هذه العدوّة والى رندة من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره في طاعته وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته والملك لله يؤتیه من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين وقد كان الشعراء رفعوا اليه قصائد في سبيل التهنتة بالفتح
 وكان سابق الحلبة يومئذ أبو القاسم الرحوى في قصيدة يقول في مطلعها
 أجاك شرق اذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويشرب
 وهى طويلة تخطيناها اختصارا والله تعالى ولى التوفيق بمنه



انتقاض عرب سليم بافريقية على السلطان ابي الحسن ومانشأ عن ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب أن جمهورهم
 كان من بنى جشم بن معاوية بن بكر وبنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى
 سليم بن منصور ، وان الذين بقوا منهم بافريقية هم بنو سليم وبعض هلال
 وكان لهم استطالة على الدول واعتزاز عليها ، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم
 بالولايات والاقطاعات ونحو ذلك ، وكان السلطان أبو الحسن المريني حاله
 مع عرب المغرب الأقصى غير حال الحفصيين مع عرب افريقية وملكه لاهل
 باديته غير ملكتهم لاهل باديتهم ، فلما ورد افريقية واستولى عليها رأى من
 اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحي والامصار ما
 تجاوز الحد المعتاد عنده ، فأنكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه
 باعطيات فرضها لهم فى الديوان من جملة الجند واستكثر جبايتهم فنقصهم
 الكثير منها ، ثم شكوا اليه الرعية من أولئك العرب وما ينالونهم به من
 الظلامات وضرب الاتاوة التى يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله
 وتقدم الى الرعايا بمنعهم منها ، فارتابت العرب لذلك وفسدت ضمائرهم ووثقت
 وطأة الدولة المرينية عليهم فتربصوا بها وتحزبوا لها وتعاونت ذئابهم فى بواديتهم
 فاجتمعوا وأغاروا على قباطين بنى مرين ومسالحهم فى ثغور افريقية حتى انهم أغاروا
 على ضواحي تونس فاستأفوا الظهر الذى كان فى مرعاها والسلطان يومئذ بها
 فغظم عليه ذلك وحقد على كبرائهم وأظلم الجو بينه وبينهم ، ثم وفد عليه أيام

الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة أمير بنى كعب وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابن عمه خليفة بن أبي زيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان أبو الحسن وأجمل لقاءهم مفضيا عما صدر من غوغائهم ، ثم رفع اليه عبد الواحد بن اللحياني من أولاد الملوك الحفصيين انهم بعثوا اليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصبوه للامر بأفريقية وانه خشي على نفسه بدرة السلطان قبرا اليه من ذلك ، فقامت قيامة السلطان أبي الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الحفصي معهم وقرره بما دار بينه وبينهم فبهتوا وأنكروا فوبخهم وأمر بهم فسحبوا الى السجن ثم فتح ديوان العطاء وعرض الجند لغزورهم وعسكر بسيجوم من ظاهر تونس وذلك بعد قضاء نسك الفطر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

واتصل الخبر بأولاد أبي الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وجمع السلطان لغزورهم فضافت عليهم الارض بما رحبت وانطلقوا في أحيائهم يحزبون الاحزاب ويستثيرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهلهل فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطانهم عمر بن أبي بكر قد لحقوا بالقفر خوفا من أبي الحسن لانهم كانوا شيعا لعمر المذكور ، فلما وقع بين أبي الحسن وبين أولاد أبي الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة اليهم ومعه أمه ونساء أولادها فطارحوا عليهم ورغبوا اليهم في الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابدته ، فكان أولاد مهلهل اليها مسرعين فارتحلوا معهم وتوافت أحياء سليم من بنى كعب وبنى حكيم بتوزر من بلاد الجريد فندامروا وتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصاروا نفسا واحدة على تبائن أغراضهم وفساد ذات بينهم ، والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من بنى عبد المومن وهو أحمد ابن عثمان بن أبي دبوس آخر ملوك بنى عبد المومن وكان يحترف بالخياطة في توزر بعد ما طوحت به الطوائج فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وجمعوا له شيا من الفساطيط والخيل والآلات والكسوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بقياطينهم وحللمهم وتحالفوا على نصره

ولما قضى السلطان أبو الحسن نسك عيد الاضحى من السنة المذكورة ارتحل من ساحة تونس وبسيط القيروان فأجفلوا أمامه فأتبعهم وألح عليهم الى أن وصلوا الى القيروان فلما رأوا أن لا ملجأ لهم منه عزموا على النبات له وتحالفوا على الاستماتة وكان عسكر السلطان أبي الحسن يومئذ مشحونا بأعدائه من بنى عبد الواد المغلوبين على ملكهم ومغراوة وبنى توجين وغيرهم ، فدموا الى العرب أثناء هذه المناوشة بأن يناجزوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم ويجروا عليه الهزيمة فأجابوهم الى ذلك وصبحوا معسكر السلطان من الغد فركب اليهم فى التعية ، ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير ممن كان معه واحتل مصافه فانهزم هزيمة شنعاء وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه من الفل مستجيرا بها ودافع عنه أهلها ، وتسابت العرب الى معسكره فانتبهوه بما فيه من المضارب والعدد والآلات ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه ، وأحاطوا بالقيروان وزحفت اليها حللهم فدارت بها سياجا واحدا وتعاونت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطربت افريقية نارا ، وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبلغ الخبر الى تونس وكان السلطان قد خلف بها عند رحيله الكثير من أبنائه وحرمه ووجوه قومه وأمناء بيت ماله وبعض الحاشية من جنده فتحصنوا بالقصبة وأحاط بهم الغوغاء كى يستزلوهم عنها فامتنعوا عليهم وكانوا بها أملك منهم ، وكان الامير أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبي الحسن قد جاء من المغرب فى هذا التاريخ فوافاه الخبر قرب القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم فى القصبة ، ثم نزع أبو محمد بن تافراجين عن السلطان أبي الحسن وكان محصوراً معه بالقيروان وكان قد سئم صحبته ومل خدمته لانه كان أيام حجابته للسلطان الحفصى مستبدا عليه مفوضا اليه فى جميع أموره ، فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على تلك العادة لانه كان قائما على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه ، وكان ابن تافراجين يظن أنه سيكل اليه أمر

إفريقية وينصب معه لملكها الفضل ابن السلطان أبي بكر شقيق زوجته وربما
 زعموا أنه عاهده على ذلك فكان في قلبه من الدولة المرينية مرض وكان
 العرب أيام عزمهم على الخروج يفاوضونه بذات صدورهم فلما حصلوا على
 البغية من الظهور على السلطان وحصاره بالقيروان احتالوا في أمر ابن
 تافراجين ، فبعثوا إلى السلطان يطلبون منه بعث اليهم ليفاوضوه في الرجوع
 إلى الطاعة والانخراط في سلك الجماعة ، فأذن له فخرج اليهم ووصل يده
 بيدهم ولم يرجع إلى السلطان أبي الحسن ، فقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبي
 دبوس ثم سرحوه إلى حصار من بالقصبة من بني مرين وطمعوا في الاستيلاء
 عليها وفض ختامها فسار ابن تافراجين إليها وانضم إليه أشياخ الموحدین في
 زعانف من الغوغاء وأحاطوا بالقصبة ، ثم لحق به ابن أبي دبوس فعاودوها
 القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتعت عليهم ولم يغفوا شيئا ، وابن تافراجين في
 أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الأمور واختلال الرسوم إلى أن بلغه
 خلوص السلطان أبي الحسن من القيروان إلى سوسة

وكان من خبره أن العرب بعد حصارهم إياه بالقيروان اختلفت كلمتهم
 لديه وكان قد دخل أولاد مهلهل في الإفراج عنه واشترط لهم على ذلك
 أموالا ونذر بنو أبي الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بن
 حمزة منهم بمكانه من القيروان زعيما بالطاعة فتقبله وأطلق أخويه خالد
 وأحمد ومع ذلك فلم يطمئن اليهم ثم جاء إليه محمد بن طالب من أولاد
 مهلهل وخليفة بن أبي زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدهوه
 على الإفراج عنه والقيام معه حتى يصل إلى مأمته فخرج معهم ليلا على التعية
 وذؤبان العرب تطأ أذياله وضباعها تنوشه إلى أن استقر بسوسة وأمن على
 نفسه وقد أتى النهب على جل ما كان معه ولما سمع ابن تافراجين وهو
 محاصر للقصبة بوصول السلطان إلى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر
 إلى الإسكندرية فأصبحوا وقد فقدوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابن
 أبي دبوس لما علم بخبره فانفض جمعهم عن القصبة وأفرجوا عنها وخرج
 بنو مرين فملكوا البلد وخرّبوا منازل الحاشية بها ، ثم ركب السلطان أبو
 (الاستقفا . ناك . 11)

الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس في ربيع الاخر سنة تسع وأربعين
وسبعمائة فاجتمع شمله واستتب أمره ، وكتب الى صاحب مصر في التقبض
على ابن تافراجين فأجاره بعض الامراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل
السلطان أبو الحسن في اصلاح أسوار تونس وادارة الخندق عليها وأقام لها
من الصيانة والحصانة رسماً دفع به في نحر عدوه وبقي له ذكره من بعده
ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبي دبوس على تونس ونازلوا أبا الحسن بها
واستلبقوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ، ثم
راجع بنو حمزة بصائرهم وصاروا الى مهادته فعقد لهم السلم ودخل عليه
عمر بن حمزة وافدا فحبسه حتى قبض اخوانه على أميرهم ابن أبي دبوس
وقادوه اليه استبلاغاً في الطاعة وامحاضاً للولاية، فتقبل فثبهم وأودع ابن أبي
دبوس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حمزة فزوج ابنة عمر بابنه
أبي الفضل ، واختلفت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبي الحسن في
الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة إقامته بتونس الى أن كان ما نذكره
والله غالب على أمره

انتقاض الاطراف وثوراة ابي عنان بن السلطان ابي الحسن واستبلاؤا على المغرب

قد تقدم لنا أن السلطان أبا بكر الحفصي رحمه الله لما زوج ابنته من
السلطان أبي الحسن بعث معها في زفافها شقيقها أبا العباس الفضل بن أبي
بكر وأن خبر وفاة والده أدركه وهو بانطريق ، ولما وصل الى السلطان أبي
الحسن عزاه عن مصاب أبيه ووعدته بالمظاهرة على ملكه فبقي عنده بتلمسان
الى أن نهض في صحبته الى افريقية فلما غالب السلطان أبو الحسن على بجاية
وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على بونة التي كان يلى عملها أيام أبيه
فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سثموا ملكة
بنى مرين وبرموا بولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التي كانت لهم مع الملوك
الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قد رسخت في نفوسهم جيلا بعد جيل
فصعب عليهم نزعها

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى وحينه أبدا لاول منزل
فأشربوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بنكبة القيروان واتفق أن
قدم قسنطينة ركب من أهل المغرب قاصدين الى السلطان أبي الحسن وكان
فيهم عمال الجبابة قدموا بجبايتهم عند راس الحول كما جرت به عادتهم فسى
ذلك ومعهم ابن صغير للسلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج
بعثهم طاغيتهم بقصد التهنة بفتح افريقية ومعهم تاشفين بن السلطان الذي
أسر يوم طريف أطلقه الطاغية بعد أن أصابه خيال في عقله وأرسل معه
بهدية نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالي بعثهم السلطان منسا سليمان بقصد
التهنة أيضا فتوافت هؤلاء الوفود بقسنطينة وقد طم عاب الفتنة على افريقية
فأراد غوغاؤها انتهاب ما معهم ثم تخلصوا منهم في خبر طويل

وفي أثناء ذلك نار الفضل بن السلطان ابي بكر صاحب بونة فراسله أهل
قسنطينة في القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدمها وجرت خطوب واتصل بأهل
بجاية ما فعله أهل قسنطينة فتبعوهم على رأيهم من الانتقاض ووثبوا على من
كان عندهم من حامية بنى مرين فاستلبوهم وأخرجوهم عراة واستدعوا
الفضل بن أبي بكر من قسنطينة فبادر اليهم واستولى على بجاية واستتب أمره
بها وأعاد ألقاب الخلافة وبينما هو يحدث نفسه بغزو تونس نار عليه أبناء
أخيه أبي عبد الله بن أبي بكر فاتزعوا منه بجاية ووردوه الى عمله الاول وانتقض
على السلطان أبي الحسن أيضا سائر زناته من بنى عبد الواد ومغراوة وبنى
توجين وبايع بنو عبد الواد لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
ابن زيان وساروا الى تلمسان فاستجدوا بها ملك سلفهم في أخبار طويلة
وجرت هذه الخطوب والسلطان أبو الحسن مقيم بتونس تغاديه العرب

بالقتال وتراوحه وتموج عليه تارة وتستقيم أخرى وطال مقامه بها وعميت
 أباؤه على أهل المغرب وحدث في الخلق الوباء العظيم الذي عم المشرق
 والمغرب فأرجف بموته واضطربت الأحوال بالمغرب اثلاثة الأدينى والأوسط
 والأقصى واتصل ذلك بالأمير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاء
 عليها عند ذهابه إلى إفريقية حسبما مر ، فلما أرجف بمهلك أبيه وتساقط إليه
 الفل من عسكره عراة زرافات ووحداً تطاول إلى الاستئثار بملك أبيه دون سائر
 إخوته وكان مرشحاً عنده لذلك لمزيد فضله عليهم في غير وصف ، واتفق
 أن كان عنده رجل من بنى عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن
 جرار وكان ينسب إلى علم الحدائق ، ولما سافر السلطان إلى إفريقية كان هذا
 الرجل أول المرجفين به وأنه لا يرجع من سفرته وأن الأمر صائر إلى أبي
 عنان ونجع ذلك في أبي عنان لموافقته هواه ، فاشتمل على ابن جرار وخلطه
 بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة السلطان وانحصاره أولاً بالقيروان ثم بتونس لم
 يسترب أبو عنان في صدق ابن جرار وأنه على بصيرة من أمره فتحفز للوثبة
 وصمم على الثورة ، ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه
 منصور بن أبي مالك عبد الواحد بن أبي الحسن بفاس الجديد وأنه نار بها
 وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب على المغرب واحتياز
 الأمر لنفسه دون غيره وورى في ذلك بأنه إنما عزم على الذهاب إلى إفريقية
 لاستنقاذ السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتفاع وتفطن
 لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبه بفاس وصاحب الشرطة
 بالضواحي ، فاستأذنه في اللحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلحق بأبي عنان
 على حين أمضى عزمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة
 من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من
 قصره في ربيع الثاني من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملا وقرأ كتاب بيعتهم
 على الأشهاد ، ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ودرست
 قواعد ملكه وركب في التعمية والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس
 وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن القادم عليه ، ثم

فارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له ورفع مكان ابن جرار عليهم
كلهم واختص لمناجاته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو ، ثم
فتح الديوان وجعل يتركب كل من تساقط إليه من قبل أبيه ويخلع عليهم
وارتحل إلى المغرب وعقد على تلمسان لابن جرار وأنزله بالقصر القديم منها
فاستمر بها واستبد إلى أن قدم عليه بنو عبد الواد مجتمعين على سلطانهم عثمان
ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا في خبر طويل ، ولما انتهى الأمير أبو عنان إلى
وادي الزيتون وشى إليه بالوزير الحسن بن سليمان وأنه عازم على الفتك به
بتأزا تقربا إلى السلطان أبي الحسن ووفاء بطاعته ، وأنه قد داخل في ذلك
حافده منصور بن أبي مالك الثائر بفاس وأطلعته هذا الواشى على كتاب
الوزير في ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتله خنقا في مساء ذلك اليوم وأعد
السير إلى المغرب

وانتهى الخبر إلى منصور صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بوادي أبي الجراف من ناحية تازا فاقتل مصاف منصور وانهزمت جموعه
ولحق بفاس الجديد فتحصن بها وتبعه أبو عنان فأناخ عليه خارجها وقد
تسائل الناس على طبقاتهم إليه وآتوه طاعتهم وكان قد سلك مع الرعية والجنود
من البذل والاستيلاف طريقا لم يسبق إليه ، وكانت منازلته لفاس الجديد في
ربيع الآخر من السنة المذكورة فأخذ بمخقتها وأجمع الأيدي والفعل على
الالات لحصارها ، ثم أرسل إلى مكناسة باطلاق أولاد أبي العلاء المعتقلين
بالقصة منها فأطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فاس الجديد وضيقوا عليها إلى
أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم ونزع إلى أبي عنان أهل الشوكة
منهم ، ثم أن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء احتال في فتح البلد بأن أظهر
النزوع عن أبي عنان إلى منصور المحصور فدخل البلد وتمكن منه وثار به
فيمن معه من حاشيته وافتحمه الأمير أبو عنان عليهم ونزل منصور على حكمه
فأعتقله إلى أن قتله بمحبسه واستولى على ذلك الملك ، وتسابقت إليه وفود
الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان أبي الحسن ثم
رجعوا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء

فقبضوا عليه وقادوه الى أبي عنان مبايعين له متقربين به اليه وتولى كبر ذلك
فيهم زعيمهم الشريف أبا العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلي من آل
الحسين السبط رضى الله عنه كان سلفه قد انتقلوا من صقيلة الى سبتة
فاستوطنوها ، ثم استوطنوا بعدها حضرة فاس واستوسق
للأمير أبي عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين الا
من أقام مع أبيه بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على بنى كعب
الناكثين لعهد الناكثين عن طاعته فأقام السلطان أبو الحسن رحمه الله بتونس
يرجو الايام ويأمل الكرة والاطراف تتقضى والخوارج تتجدد وقنط من كان
معه من حاشيته وشمعوا المقام بارض ليست لهم بدار مقام فحسنوا له النهوض
الى المغرب فأسعفهم وعزم على الرحلة كما نذكره ان شاء الله ، وفى هذه
المدة كتب اليه السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر كتابا من انشاء وزيره
لسان الدين ابن الخطيب يسأله عن أحواله ويعزيه عن مصابه ويتأسف له
ونص الكتاب : « المقام الذى أقمار سعده فى انتظام واتساق ، وحياد عزه
الى الغاية القصوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله
تعالى عليه مديدة الرواق ، واياديه الجمرة فى الاعناق الزم من الاطواق ، وأحاديث
مجده سمر النوادي وحديث الرفاق ، مقام محل ابنا الذى شأن قلوبنا الاهتمام
بشأنه ، وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه ، السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط
ببابه والالطاف الخفية تعرض فى جنابه والنصر العزيز يحف
بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجيبة
لفراقه مسرورة باقترابه ، معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل
المشهوره المعلومه ، والمكارم المسطورة المرسومة والمفاخر المنسوقة المنظومة
الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة
الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن
نصر سلام كريم ، طيب عميم ، كما سطعت فى غياهب الشدة انوار الفرج
وهبت نواصم أطفاف الله عاطرة الارج ، يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله

وبركاته ، أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ، ومقيل الايام من عنارها
ومزين سماء الملك بشموسها المحتجة وأقمارها ، ومريح القلوب من رحنسة
افكارها ، ومنشى سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها ، وشدة اضطرابها
واضطرارها ، ومداركها باللطف الكفيل بتمهيد اوطانها وتيسير أوطارها
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ،
ولباب مجدها السامى ونجارها، نبي الملاحم وخائض تيارها، ومذهب رسوم الفتن
ومطفى نارها ، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمة
الله ما شاءت من سطوع انوارها ، ووضوح انوارها والرضا عن آله واصحابه
الذين تمسكوا بعهده على احلاء الحوادث وامرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء
دعوته الحنيفة واظهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها
وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها حتى تقف الايام ببابكم موقف
اعتذارها وتعرض على مثابكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها فانا كتبنا اليكم
كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب السعادة وعرفكم
عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم
مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للمصالحين
من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى
الشدائد الاعتماد . والى كف فضله الاستناد ثم بركة جاه نبينا الذى وضع بهدايته
سبيل الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبىر
سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن ما لها لله
الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من
الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى الله
تعالى فى اظهاره واتمامه ما لاتفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه
والى هذا أيد الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر
والغائب وخلص الخلوص الذى لاغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى
وضحت منه المذاهب وانه لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى
صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وجعل على العباد والبلاد الوقاية

والنعمة لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأني بأوطاننا الاوطار تشوقا لما تبيحه
لكم الاقدار ويرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا في استئناس
سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بأن العاقبة للتقوى وفي هذه الايام
عميت الانباء وتكالت في البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء
وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال
بكم سببا أو نلقى لاعاتكم مذهباً لما شغلنا البعد الذي بيننا اعترض والعدو
بساحتنا في هذه الايام ربح و كان خديمكم الذي رفع من الوفاء راية خافقة
واقنتى منه في سوق الكساد بضاعة نافقة الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلاص
الاصفى على أبو محمد ابن آجانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سؤله
وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجانبنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ،
ويتأني له باعاتتنا الغرض المروم فينما نحن ننظر في تميم غرضه واعاته على
الوفاء الذي قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التي استعتم
بها على الحركة والعزمة المقترنة بالبركة حظت احدهما بمرسى المنكب
والاخرى بمرسى المرية في كنف العناية الالهية فتلقينا من الواصلين فيها
الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التي يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما
كان من عزمكم على السفر وحركتكم المقرونة باليمن والظفر وانكم
استخرتم الله تعالى في اللحاق بالاطوان التي يؤمن قدمكم خائفها ويؤلف
طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويذهب أهوالها وانكم سبقتم
حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن
الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد
سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم
بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التي ألبستها ملابس
العدل والاحسان وقلدتها فلائد السير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه
من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه في تيسير غرض
مقامكم الشهير وتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار
بديون آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عن استشعر دنو

حبيبه بعد طول مفنيه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر
 ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخدمكم المذكور
 من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحافه
 بجنابكم فعنده خدم نرجو أن يسر الله تعالى بحوله أسبابها ويفتح ببيتكم
 الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع
 الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الأقطار سبب الاعتداد ما
 يفنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع
 العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نجد لهم ما يكون بمليه عملهم في
 بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمة ذات الحقوق العظيمة والايادي
 الحديثة والقديمة وهم يعملون في ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل
 الاعتقاد ويعلم الله تعالى اننا لو لم تعق العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة
 والاعداء الذين غصت بهم في الوقت هذه الجزيرة ما قدمنا عملا على اللحاق
 بكم والاتصال بسبيكم حتى نوفي لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من
 المسرة طرفها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى
 نبتهل في أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا
 ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم السارة
 وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال ضاعتنا وابتهاننا
 هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به أسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم
 الاخبار بسعادة ملككم السامي المقدار ويسر ما له من الاوطار ويصل
 سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . اه



ركوب السلطان ابي الحسن البحر من تونس الى المغرب
وما جرى عليه من المحن في ذلك

كان الامير أبو العباس الفضل أبو السلطان أبي بكر الحفصي بعد أن لحق بعمله القديم من بونة قد وفد عليه مشيخة العرب من أولاد أبي الليل وأغروه بملك أفريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة السلطان أبي الحسن بها فأجابهم الى ذلك ونهض اليها بعد عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ، ثم انفض عنها ودخل القفر مع أولاد أبي الليل الى أن بايعه أهل بلاد الجريد بإشارة أبي القاسم بن عتو المقطوع ، ودخل في طاعته توزر وفضة ونفطة والحامة وقابس وجربة وانتهى الخبر الى السلطان أبي الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستفحال أمره بها وانه ناهض الى تونس فأهله شأنه وخشي على الأمر ، وكانت بطاقته توسوس اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الغلاء والموت الذريع فأجابهم الى ذلك وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ، ولما قضى نسك عيد الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر في فصل الشتاء وهيجان البحر وكلب البرد بعد أن عقد لابنه أبي الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاه وثورتهم به ، وكانت مدة محاصرة السلطان أبي الحسن بتونس سنة ونصفا ، واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبي بكر وهو ببلاد الجريد فأعد السير الى تونس ونزل بها على أبي الفضل المريني ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهل البلد ثم أحاطوا بالقصة يوم منى حتى استزلوا أبا الفضل على الامان فخرج الى دار أصهاره من بني حمزة فبقى عندهم حتى أتفدوا معه من أوصله الى أبيه فلحق به بئر الجزائر

وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الراكب البحر معه فأنهم لما لججوا احتاجوا الى الماء فدخلوا مرسى بجاية لخمس نبال من أفلاعهم عن تونس

فمنعهم صاحب بجاية الحفصى من الورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم
فزحفوا الى الساحل وقتلوا من صدمهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
ثم عصفت بهم الرياح فى تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت
الاجفان وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان
فألقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة عارى الجسد مباشرا للموت ،
وقد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف والخاصة وهو
يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لهم من فوق الصخور التى تعلقوا بها فمكثوا
ليلتهم على ذلك وصبحهم جفن من بقية الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف
فبادر أهل الجفن اليه حين رأوه فاحتملوه وقد تصايح به البربر من الجبال
وتواثبوا اليه حين وضع النهار وأبصروه ، فتداركه الله بهذا الجفن فاحتملوه
وقذفوا به فى مدينة الجزائر

وفى نفع الطيب أن أساطيل السلطان أبى الحسن كانت نحو الستمائة
فغرقت كلها ونجا هو على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو
أربعمائة عالم منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوفى ، وأبو
عبد الله محمد بن الصباغ المكناسى الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على
حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة ، والاستاذ الزواوى أبو العباس
وغير واحد وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس . وذكر الشيخ أبو عبد
الله الابى فى شرح مسلم كلامه على أحاديث العين ما معناه : أن رجلا كان
بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبى الحسن
أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن
فكان غرقها بقدره الله الذى يفعل ما يشاء ونجى السلطان بنفسه وجرت عليه
محن اه

ولما احتل بالجزائر وقد تمسك أهلها بطاعته استنشق ريح الحياة ولاء
الصدع وأقام الرسم وخلع على من وصل اليه من فل الاساطيل واستلحق
واستركب ولحق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب من
أحواز الجزائر ووفد عليه أولياؤه من عرب سويد فنهض الى جهة تلمسان

وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز اليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان اختل مصاف السلطان أبي الحسن واستبيح معسكره وانهت فساطيطه وقتل ابنه الناصر ، وظهر يومئذ من بسالته وصدق دفاعه وشدة حملاته حتى أنه اركب طعائنه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جريحا فتوفى بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره ، ثم خلس إلى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف بن يحيى السويدي ولحق بحلج قومه قبلة جبل وانشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه فارتحل معه وليه ونزمار بالناجعة من قومه وخرجوا إلى جبل راشد ثم قطعوا المفاوز إلى سجلماسة في القفر ، فلما أطلوا عليها وعابن أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش على ضوء السراج حتى خرج إليه العذارى ممن ستورهن ميلا إليه ورغبة في ولايته ، وفر العامل بسجلماسة إلى منجاته وكان الأمير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد أبيه سجلماسة نهض إليه في قومه وجموعه بعد أن أزاح عنهم وأفاض عطاءه فيهم ، وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان أبي الحسن حاذرة من عقوبته لجناباتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يبعد بهم في الأسفار ويتجسم بهم المهالك والاختار فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه ، ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبي الحسن علم من حاله أنه لا يطيق دفاعهم وكان ونزمار قد أجفل عنه في قومه سويد لان أباه عريف بن يحيى كان قد نزع إلى أبي عنان قبل قدوم السلطان من تونس فأكرم محله ورفع منزلته فكتب إلى ابنه ونزمار ينهاه عن ولاية السلطان أبي الحسن ومظاهرته له وأقسم له لئن لم يفارق السلطان ليوقعن بابنه عنتر وكان معه في جملة الأمير أبي عنان فأثر ونزمار رضا أبيه وعلم أن غناه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق بسكرة فكان بها إلى أن رجع إلى أبي عنان بعد هذا ، ولما قرب أبو عنان من سجلماسة أجفل السلطان عنها إلى ناحية مراكش ودخل أبو عنان سجلماسة فتقف أطرافها وسد فروعها وعقد عليها ليحتاتن بن عمر بن عبد المؤمن كبير بني ونكاسن وبلغه أن أباه قد سار إلى مراكش فاعتزم على اتباعه إليها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم إلى فاس إلى أن كان ما نذكره

استيلاء السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهزامها عنها إلى هنتاتة
اهل جبل درن ووفاته هنالك



لما أجهل السلطان أبو الحسن عن سجماسة سنة احدى وخمسين
وسبعمائة قصد مراکش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ، ولما شارفها
تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل أوب وفسلوا اليه من كل حذب ، وفر
عامل مراکش الى أبي عنان ونزع الى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان
الجباية أبو المجد بن محمد بن أبي مدين بما كان في الخزانة من مال الجباية
فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته ، واستركب واستلحق وجبي الاموال
وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة ، وثاب له
بمراكش ملك رجى معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره

وكان أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع في العطاء وازاحة
العلل ، ثم ارتحل في جموع بني مرين الى مراکش وبرز السلطان أبو الحسن
للقائه وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادي أم الربيع وتربص كل واحد
بصاحبه عبور الوادي فعبره أبو الحسن ، وكان اللقاء بتامدغوست في آخر
صفر من سنة احدى وخمسين وسبعمائة فاقتل مصاف السلطان وانهمزم
عسكره ، ولحق به أبطال بني مرين ثم راجعوا عنه حياء وهيبة وكبي به فرسه
يومئذ في مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله ، فاعترضهم دونه أبو
دينار سليمان بن علي بن أحمد أمير الذواودة من عرب رياح ورديف أخيه
يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جملة الى هذا اليوم
فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه رداً له ، وأسر حاجبه غلال بن محمد
فأودعه أبو عنان السجن ثم امتن عليه بعد وفاة أبيه

وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله الى جبل هنتاتة من جبال درن
ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاتي فنزل عليه وأجاره واجتمع
اليه الملا من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا

على المدافعة عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش
 وأنزل عساكره على جبل هنتاة ورتب المسالح لحصاره وحربه وطال عليه
 نواؤه حتى طلب السلطان من ابنه الابقاء عليه وأن يبعث إليه حاجبه أبا عبد الله
 محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان
 والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز إليه بأن يبعث
 له مالا وكسى فسرح الحاجب ابن أبي عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم
 واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أولياؤه وخاصته واقتصد لاخراج الدم ثم
 بشر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله في الثالث والعشرين
 من ربيع الثاني سنة اثنين وخمسين وسبعمائة (*) هكذا عند ابن خلدون وابن
 الخطيب وغيرهما ، والذي رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة أن وفاته
 كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الاول من السنة المذكورة وبعث
 أولياء السلطان بالخبر الى ابنه وهو بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على
 أعواد نعشه اليه فنلقاه حافيا حاسرا ، وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن
 أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته ؛ ثم دفن أباه بمراكش
 قبل جامع المنصور من القصبة بالموضع الذي به اليوم قبور الملوك الاشراف
 السعديين ، ثم لما نهض أبو عنان الى فاس احتمل شلو أبيه معه حتى دفنه بشالة
 مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والاثر الى الان رحمه الله تعالى

بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته

كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أسمر طويل القامة عظيم الهيكل
 معتدل اللحية حسن الوجه ، وكان عفا مائلا الى التقوى ، مولعا بالطيب لم
 شرب الخمر قط لافى صغره ولا فى كبره ، محبا للصالحين عدلا فى رعيته

(*) حكى المؤلف قولاً آخر فى كتابه « كشف المرين عن ليوث بنى مرين »

انه مات مسموماً ، وفى الروضة انه مات بذات الجنب والله أعلم .

يحب الفخر ويعنى به ، وقال بعض المشاركة فى حقه ما صورته : «ملك أضاء
المغرب بأنوار هلاله ، وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسماته
واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة
وشجاعة» . اه وبنى رحمه الله عدة مدارس منها المدرسة العظمى بمراكش
قبلى جامع ابن يوسف ، قال العلامة اليفرنى فى «النزهة» : «ان الذى بناها هو
السلطان أبو الحسن المذكور» قلت : «ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل
تنجيدها وتميقها قدر قدر هذا السلطان وعلم عظم أهميته ومحبه للعلم وأهله»
ومنها المدرسة العظمى بطالعة سلا قبلى المسجد الاعظم منها ، بناها رحمه الله
على هيئة بديعة وصنعة رفيعة ؛ وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب
التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر ، ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماءها
بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها
كل ذلك محافظة على تلك الاوقاف أن تغير ، وأما المسجد الاعظم ومدرسته
الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدى حسبما تقدم ذلك فى أخباره
وعندى أن السور المحمول عليه الماء الداخلى الى سلا المعروف عندهم بسور
الاقواس من بناء السلطان أبى الحسن رحمه الله ، ولى فى ذلك مستند غريب :
وهو أنى كنت ذات يوم أفوض بعض القنافة بسلا ممن كان يباشر أمر المياه
بها ويصلح ما احتاج الى الاصلاح منها ، فقلت كالمستفهم لنفسى من غير قصد
توجيه الخطاب اليه . يا ترى من الذى بنى سور الماء الداخلى الى البلد ، فقال
على البديهة : الذى بنى المدرسة هو الذى بنى سور الماء ، فقلت له وكنت
متشوقا يومئذ لتحقيق ذلك . وما علمك بهذا ؟ فقال : ان بيلة المدرسة بنيت يوم
بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود نظيره فى
سائر حيطان المدرسة وسواربها ، وهذه البيلة لم تتغير عن حالها الى أن باشرت
اصلاحها فى هذه الايام ؛ فحفرت عن قنواتها وتبعت مادة الماء الواصل اليها
فإذا عمل تلك القوادس وصنعة بنائها حتى الكلس المفرغ عليها الجامع بينها
مماثل لعمل قنوات مبنية بالسور المذكور ، داخلة فيه بحيث بنى عليها يوم
تأسيسه من غير فرق بين هذه وتلك فى جميع عملهما ، وليس شىء

من القنوات الحادثة بعدهما يشبههما، فعلمت أن الذي بناهما واحداً عجبني كإلامه
 وباحته في ذلك فصمم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يشكك
 فظهر لي صدق دليله وغلب على ظني ما جزم به وعند الله علم حقيقة الأمر
 واعلم أن هذا السور من المباني العادية والهيكل العظيمة التي تدل على
 فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاجنة ونحوها ، وهذا
 السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتداً من
 القبلة إلى الجوف على أضخم بناء وأحكمه ، موزون سطحه بالميزان الهندسي
 ليتأني جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض إلى الأرض متى ارتفعت
 ويعلو عنها إذا انخفضت ، ويجري على منته من الماء مقدار النهر الصغير في
 ساقية قد اتخذت له ، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جداً لاجل انخفاض الأرض
 عنه وكلمة مر في سيره بطريق مسلوكة نتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور
 الأقواس ، وبالجملة فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة ،

وللسلطان أبي الحسن رحمه الله بفاس ومكناسة وغيرهما من بلاد المغرب
 آثار كثيرة ، فمن آثاره بفاس بيلة الرخام الأبيض المجلوبة من المرية زنتها
 مائة فنطار وثلاثة وأربعون فنطاراً ، سبقت من المرية إلى مرسى العرائش ثم
 طلعت في وادي قصر كامة ؛ ثم حملت على عجل الخشب تجرها القبائل
 إلى منزل أولاد محبوب الذين على ضفة وادي سبو فوسقت فيه إلى أن وصلت
 إلى ملقاه مع وادي فاس ، ثم حملت على عجل الخشب أيضاً يجرها الناس إلى
 أن وصلت إلى مدرسة الصهريج التي بعدوة الاندلس ؛ ثم نقلت منها بعد ذلك
 بأعوام إلى مدرسة الرخام التي أمر رحمه الله بإنائها جوف جامع
 القرويين المعروفة اليوم بمدرسة مصباح ، ومصباح هذا هو أبو الضياء مصباح
 ابن عبد الله الياصلوني الفقيه المشهور ، وإنما نسبت إليه لأن السلطان أبا الحسن
 بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للمدرس بها فنسبت إليه وقد تقدم
 لنا خبر المدرسة التي بناها غربي جامع الاندلس أيام أبيه وانفق عليها أكثر
 من مائة ألف دينار ، ومن آثاره بمكناسة الزيتون الزاويتان القديمتان
 والجديدة وكان بنى القديمتان في زمان أبيه والجديدة حين ولي الخلافة ، وله

في هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ، ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بناؤها جاء اليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها وصنعها فقعده على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها ، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ، ففرقها في الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد :

لا بأس بالعالى اذا قيل حسن نيس لما قرت به العين تمن
وكان له معرفة بالسعر فمن شعره قوله :

أرضى الله في سر وجهه وأحمى العرض عن دنس ارباب
وأعطى الوفر من مالى احتيارا وأضرب بالسيوف طلى الرقاب

وأخباره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فعليه بكتاب الخطيب بن مرزوق الذى الفه في دولته وسيرته وسماه « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن » ولما ذكر الوزير ابن الخطيب فى كتابه رقم الحلل هذا السلطان وصفه بقوله :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| الملك المدود من خير سلف | ومجموع القول اذا القول اختلف |
| الدين والعفاف والجلاله | والعز والقدرة والجزاله |
| والعلم والحلم وفضل الدين | وصفوة الصفوة من مريين |
| ممهد الملك ومسدى المن | وواحد الدهر وفخر الزمن |
| باني المباني النخبة الشريفة | بمقتضى همته المنيفه |
| وتارك المدارس الظريفة | شاهدة بأنه الخليفه |
| وقاطع الدهر بغير لهو | فى مجلس معظم أو بهو |
| اما لتدريس وعلم يدرس | أو لبلاد من عدو تحرس |
| أو لا ياد فى عباد تفرس | أو لثواب ورضا يلتمس |
| أو نسخ قرآن وعرض حزب | أو عدة معدة لحرب |

ومن أعيان وزرائه عامر بن فتح الله السدراتى ، وعبد الله بن ابراهيم الفودودى ومن أعيان كتابه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى

وابو محمد بن عبد الله بن ابي مدين العثماني ، وابو الحسن علي بن
القبائلي التينعللي رحم الله الجميع بمنه
ولنذكر ما كان من الاحداث في هذه المدة :

ففي سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تلمسان
الجديدة المسماة بالمنصورة حسيما تقدم الخبر عنها مستوفى
وفي سنة احدى عشرة وسبعمائة كان القحط بالمغرب فاستسقى الناس وخرج
السلطان أبو سعيد ماشيا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الاربعاء الرابع
والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه الصلحاء والفقهاء والقراء
يدعون الله تعالى ، وقدم بين يدي نجواه صدقات ، وفرق اموالا ، وفي يوم
السبت بعده خرج في جنده الى قبر الشيخ ابي يعقوب الاشقر بجبل
الكندرتين فدعا هنالك ورحم الله تعالى عباده وغاث ارضه وبلاداه

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي الشيخ أبو الحسن علي بن
محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير بضم الصاد وفتح الغين
وكسر اليااء المشددة قاله ابن الخطيب في الاحاطة ، وكان ربعة آدم اللون
خفيف العارضين يلبس أحسن زي ، ويدرس بجامع الاجدع من فاس
يقعد على كرسي عال ليسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته
وكان حسن الاقراء وقورا صبورا ثباتا ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور
عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك فضول

* قد ذكر صاحب روضة السمرين بعض اولاد السلطان ابي الحسن فقال : « اولاده
الذكور السلطان ابو عمر تاشفين والسلطان ابو عنان فارس والسلطان ابو سالم ابراهيم
والسلطان ابو فارس عبد العزيز وابو مالك عبد الواحد وابو عبد الرحيم يعقوب وابو
عامر عبد الله وسعود وداوود ويوسف وعبد الحق وابو غالب محمد وأحمد ومحمد المنتصر
بالله ومحمد المسعود بالله . بناته : حضرية وام العز وتابو وتاعزنت وسونة وريمه ويامنة
والزهراء وصفية وزروا وكان جميع ما ولد بين ذكر وانثى وسقط وغيره الفأ وثمانمائة
واثنين وستين اخبرني بذلك ثقته الشيخ المعمر علال بن محمد بن مضمود العسكري . »

القول ولاء السلطان ابو الربيع القضاء بفاس وشد عضده فجرى في العدل على صراط مستقيم ،

وفي سنة احدى وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ أبو العباس احمد ابن محمد بن عثمان الازدي المراكشي المعروف بابن البناء الامام المشهور في علم التعاليم والهيئة والنجوم والازياج وغير ذلك ، وكان رحمه الله عز وجل معروفا باتباع السنة موسوما بطهارة الاعتقاد منعوتا بالصلاح وكان اتفاعه بصحبة الشيخ ابي زيد الهزميري رضى الله عنه

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في ذى القعدة منها هبت ريح شديدة بفاس ومكاسة واحوازهما واستمر هبوبها يومين وليتين فعافت عن الاسفار وهدمت الدور وقلعت الاشجار .

وفي سنة ثلاث وعشرين بعدها في المحرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة باحواز فاس بدم عييط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها وفيها كان المطر العظيم والتلج الكثير بالمغرب وعدم الفحم والحطب حتى بيع الفحم بفاس بدرهمين للرطل ، وفي جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبرى بفاس فجدده السلطان ابو سعيد من باب مدرسة العطارين الى رأس عقبة الجزارين ، وعقد عليه هنالك بابا ضخما وافرده للعطارين دون غيرهم

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة كانت المجاعة بالمغرب وارتفعت الاسعار في جميع البلاد فبلغ المد من القمح بفاس خمسة عشر درهما والصحفة منه تسعين دينارا وغلا الادام وعمت الخضر بأسرها ، وكسى السلطان ابو سعيد واطعم في هذه المسغبة شياً كثيراً ، ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها ، وفيها في يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها نشأ خارج فاس من جهة جوفها سحب عظيم وظلمة شديدة ورياح عاصفة أعقب ذلك برد كبير عظيم الجرم تزن الواحدة منه ربع رطل وأقل وأكثر ونزل في خلاله مطر وابل جاءت منه السيول طامية حملت الناس والدواب واهلكت جميع ما بجبل زالغ من الكروم والزيتون وسائر الشجر

وفى سنة خمس وعشرين بعدها ليلة الجمعة السادس والعشرين
من جمادى منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد ياتى عليها بحيث
هدم الدور والمساجد والاسواق واهلك الافا من الخلق حتى خيف على البلد
التلف

وفى سنة ست وعشرين وسبعمائة انتهى تاريخ ابن ابي زرع المسمى
« بالانيس المغرب القزطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ومما
هو الغاية فى باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال : « حضر أسياننا بمجلس
السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء
ورندة حبستا أنفسهما عن الاكل جملة منذ سين وشاع أمرهما ووقع
اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وذكرهما ايضا
الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ فى كتابه المسمى
بـ « المحاضرات » قال : « وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة
الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تنفوط وتحيض فلما
اشتهر هذا من امرها انكره الفقيه ابو موسى ابن الامام وتلى : « كانا ياكلان الطعام »
فاخذ الناس يشون ثقات نسايم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن
فلم يقفن على غير ما ذكر ، وسئلت هل تشتهين الطعام ، فقالت : « هل تشتهون
التبن بين يدي الدواب » وسئلت هل ياتيهام شىء فاجبرت « انها صامت ذات يوم
فادر كها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت فى النوم بطعام وشراب فاكلت
وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى فى
النام بالطعام والشراب الى الان » ، ولقد جعلها السلطان فى موضع بقصره
وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجىء أمها به اذا أنت اليها أربعين
يوما فلم يوقف لها على أمر ، قال : « بيد انى اردت ان يزداد فى عدد العدول
ويضم اليهم الاطباء ومن يخوض فى العقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم
ويوكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل اليها ولا يترك احدا
يخلو بها (وبالجمله) يبالغ فى ذلك ويستندام رعيها عليه سنة لا حتمال ان
يغلب عليها طبع فتستغنى فى فصل دون فصل ، ثم يكتب هذا فى العقود

ويشاع أمره في العالم ، وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذي هو اضر الاحكام على الشريعة ، ويبين كيفية غذاء أهل الجنة ، وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ، ويوجب أن الاقترانات بالعادات لا باللزوم ، وعند الاسباب لابها الى غير ذلك ، الا اني لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به راسا لا يثار الدنيا على الدين فانا لله وانا اليه راجعون .

قال المقرئ : « وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة ، وحدثني غير واحد من الثقات ممن ادرك عائشة الجزرية انها كانت كذلك ، وان عائشة بنت أبي بكر يعني زوجة السنطان ابي الحسن التي استشهدت في طريف اختبرتها اربعين يوما ايضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة ، وكذلك الوباء انعام القريب فروطه يوشك ان يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره . ، وكم فيه من ادلة على اصول الملة ، اه كلام الشيخ ابي عبد الله المقرئ رحمه الله ويعني بالوباء القريب فروطه : وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فانه كان وباء عظيما لم يعهد مثله قد عم أقطار الارض وتحيف العمران جملة حتى كاد ياتي على الخليفة أجمع والامور كلها بيد الله لا يستل عما يفعل وهم يستلون



الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن ابي الحسن
رحمه الله



كان السلطان محبوبا في قومه وعشيرته ، أثيرا عند والده متميزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعمله وصيائه وعفافه واستظهار القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، أمه ام ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف الى الان رأيت مكتوبا عليه بالنقش : « انها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ، ودفنت اترصلاة

الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب ، ، اه وكان مولد السلطان أبي عنان بفاس الجديد في الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبعمائة وبويع في حياة والده يوم ثار عليه بتلمسان حسبا قدمنا الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة . ولما هلك والده أبو الحسن بجيل هتاتة وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى شالة فدفنه بها ، وأغذ السير الى فاس وقد استتب أمره وخلا له الجو فاحتل بدار ملكه وأجمع (*) أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي تناولوا اليه . ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالعطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد تلمسان

واتصل خبره بسلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني فجمع له قومه ومن شايعهم من زناتة والعرب ، ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء بسيط انكاد آخر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وأجمع بنوعيد الواد على صدمة المرينيين وقتت القائلة وعند ضرب الابنية وسقاء الركاب واقتراق أهل المعسكر في حاجاتهم ، فحملوا عليهم وأعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافى الامر وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو بالغباب ، حتى اذا خلص اليهم وخالطهم في صفوفهم ولوا الادبار ، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى ولم يزالوا في اتباعهم الى الليل ، وتقبضوا على سلطانهم أبي سعد فساقوه الى السلطان أبي عنان فاعتقله ، وتقدم على التعبية الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور واستوت في ملكها قدمه ، وأحضر أبا

(*) في بغية الرواد أن الامر كان على ما ينبغي بين أبي عنان وملك تلمسان أبي سعيد إلى أن كتب أبو عنان لابن سعيد متشفعا في مغراوة الذين كان محاصرا لهم فرد شفاعته فحنق علي بن عبد الواد من أجل ذلك واستنفر الناس لغزو تلمسان الخ بغية الرواد ص ١٥٨ وما بعدها جزء أول طبع الجزائر ١٣٢١ .

سعيد فوبخه وأراه أعماله حسرات عليه ، ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فافتوا بحرابته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح في مجبسه لتاسعة من اعتقاله وفر أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق بعد أن احتمل معه حرمه وحرم أخيه ومتخلفهم ، واحتل بوادي شلف من بلاد مغراوة فعسكر هناك واجتمع عليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والثبات واتصل خبره بالسلطان أبي عنان فسرح اليه وزيره فارس بن ميمون في عساكر بنى مرين والجند فأغذ السير اليهم ، ثم ارتحل السلطان أبو عنان من تلمسان على أثره ، ولما تراءى الجمعان تصادقا الحملة وخاض النهر بعضهم الى بعض ثم صدق بنو مرين الحملة فاجتازوا النهر وانكشفت بنو عبد الواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلحموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا نساءهم وأموالهم ودوابهم ، وكب الوزير بالفتح الى السلطان أبي عنان وفر أبو ثابت الى قاصية الشرق في نفر من عشيرته وبنى أبيه فاعترضتهم قبائل زواوة فانتهبوا أسلابهم وأرجلهم عن خيولهم ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وكب الوزير الى أمراء الثغور في شأن أبي ثابت وأصحابه فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصد حتى عثر عليهم بعض الحشم ، فقبضوا على أبي ثابت وابن أخيه أبي زيان بن أبي سعيد المقتول ووزيرهم يحيى بن دواد ، ورفعوهم الى أمير بجاية أبي عبد الله محمد ابن أبي زكرياء بن أبي بكر الحفصي وكان خالصة للسلطان أبي عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده حتى وفد بهم عليه بلمدية ، فأكرم السلطان أبو عنان وفادته وركب للقائه ، ولما تراءى نزل الحفصي عن فرسه اعظاما للسلطان فنزل السلطان مكافأة له ولقاه مبرة وكرامة ، وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الذواودة بمكانه من لمدية فأكرم وفادتهم ، وأسنى عطاياهم من الخلع والحملان والذهب والفضة وانقلبوا خير منقلب ، ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فأكرمهم ووصلهم ، وفرغ السلطان أبو عنان من شأن المغرب الاوسط وبث عماله في نواحيه وثقف أطرافه وسمى الى تملك افريقية على ما تذكره ان شاء الله

تملك السلطان ابي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها

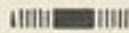
لما وفد أبو عبد الله الحفصي على السلطان أبي عنان بلمدية في شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبالغ في اكرامه تاجاه بذات صدره ، وشكوا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة ، وكان السلطان أبو عنان متشوقا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يعوضه عنها ما شاء من بلاده ، فسارع الي قبول ذلك ودس اليه السلطان مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤوس الملائم ففعل وعوضه عنها مكناسة الزيتون ، ونقم بطانة الحفصي عليه ونزع بعضهم عنه الي افريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه الي عامله علي بجاية بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل ، وعقد أبو عنان عليها لعمر بن علي الوطاسي من بنى الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بحصن تازوطا أيام يوسف بن يعقوب ، ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من المغرب الاوسط واستولى علي بجاية ثغر افريقية انكفا راجعا الي تلمسان لشهود عيد الفطر بها ودخلها في يوم مشهود ، وحمل أبا ثابت الزياتي ووزيره يحيى بن داوود علي جميلين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما في ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر ، ثم جنبا من الغد الي مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح والي الله عاقبة الأمور

ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها

لما قدم عمر بن علي الوطاسي بجاية واستقر بها ثقل أمره علي نفوس أهلها لالفهم ملكة الحفصيين وانصبغهم بالميل اليهم ، فتربصوا بالوطاسي الدوائر وكان أبو عبد الله الحفصي قد استصحب معه في وفادته علي السلطان ابي عنان حاجبه فارحا مولى ابن سيد الناس ، فلما نزل للسلطان عن بجاية

نقم فارح عليه ذلك وأسرها في نفسه الى أن بعته الحفصي المذكور مع
الوطاسي لينقل حرمه ومناعه وماعون داره الى المغرب ، فاتتهى الى بجاية
وبينما هو يحاول ما أرسل في شأنه شكا اليه الصنهاجيون سوء ملكة بنى
مرين فنجع كلامهم فيه ونفت لهم بما عنده من الضغن ودعاهم الى التورة
بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين ، فأجابوه الى ذلك وتواعدوا للفتك بعلي
ابن عمر الوطاسي بمجلسه من القصبه ، وتولى كبرها منصور بن ابراهيم بن
الحاج من مشيختهم وباكره في داره على عادة الامراء ، ولما أكب عليه ليلتم
أطرافه طعنه بخنجره ثم وليج عليه الباقون فاستلحموه وذلك في ذى الحجة من
سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثار الغوغاء بالبلد وهتف الهائف بدعوة أبي
زيد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة ، وطيروا اليه بالخبز
واستدعوه فتأقل عنهم وبلغ الخبر الى السلطان أبي عنان فاتهم أبا عبدالله الحفصي
بمداخلة حاجبه فارح في ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشرف بجاية
كانوا ببابه ، ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم في الرجوع الى
طاعة السلطان أبي عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الخرق ويسدوا هذه
الثلمة برأس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه ، وداخلهم في ذلك القائد
هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا الى
المنسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحسن بالشر ولجأ الى دار الشيخ أبي العباس
أحمد بن ادريس البجائي امام بجاية ومفتيها ، فافتحموا عليه الدار وباشره
مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فانفذه ورمى بشلوه من أعلا الدار ،
فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى السلطان أبي عنان وفر منصور بن ابراهيم بن
الحاج وقومه صنهاجة عن البلد ، وسرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه أبا
عبد الله محمد بن أبي عمرو في الكتاب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين
وسبعمائة ، وذهبت صنهاجة في كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس
وتقبض الحاجب ابن أبي عمرو على جماعة من غوغاء بجاية المتهمين
بالخوض في الفتنة يناهزون المائتين فاعتقلهم وأركبهم الاسطول الى المغرب
فأطمأن الناس وسكنوا ، وتوافت لديه وفود الذواودة من كل جهة فأجزل

صلاتهم ، ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مزني فأكرم وفادته ، ثم ارتحل الى تلمسان غرة جمادى الاولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة ووجوه بجاية قال ابن خلدون : وكنت يومئذ في جملتهم فجلس السلطان للوفد وعرض ما جنب اليه من الجياد والهدايا وكان يوما مشهودا ، وانصرفوا الى مواطنهم فاتح شعبان من السنة المذكورة ، قال : وانقلت مع الحاجب بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومي ببلدى من الاقطاعات ، ولما احتل الحاجب ابن أبي عمرو بجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد البعوث وتجهيز الكتائب الى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنسوب هناك للفتنة وأوفد أبو زيد الحفصي صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبي عنان فقبل وفادته وشكر سعيه وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل ابلد ، وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد أحد وزرائه فهض إليها في ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بها وسلك سنن الحاجب قبله وسيرته وجهاز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله



خروج ابي الفضل ابن السلطان ابي الحسن ببلاد السوس

ثم مقتله عقب ذلك



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس الى المغرب عقد على تونس لابنه أبي الفضل هذا ، وانه لما أقلع عنها نار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الامر الى السلطان أبي عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ، ففكر أبو عنان في أمرهما وخشى عاقبة ترشيحهما فأشخصهما الى الاندلس ليكونا مع الغزاة

والقراية في ايلة السلطان أبي الحجاج يوسف بن الاحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفذ الرسل الى أبي الحجاج في أن يشخصهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما اذا غابا عن حضرته ، وخشى أبو الحجاج غائته عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد وأمر حاجبه ابن أبي عمرو أن يكتب اليه ويبلغ في التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور

قال ابن خلدون : وقد أوقفني الحاجب على ذلك الكتاب ببجاية فقضيت عجباً من فصوله وأغراضه ، ولما قرأه أبو الحجاج ابن الاحمر دس الى أبي الفضل وكان أكبر الاخوين باللحاق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة فنزع اليه أبو الفضل وجهاز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فأوعز الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع به وكتب ابن الاحمر أثناء ذلك كتابا الى السلطان أبي عنان يعتذر عن أمر أبي الفضل من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب ونصه :

«المقام الذي شهد الليل والنهار بأصالة سعادتته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تفضو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذي سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار في مرضاته دائم وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسيان شاهد منه في عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم ، تجل سعوده عن تهور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم ، فائرا بفلج الخصام عند لد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره

فلان ، سلام كريم طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومنابتكم الفضلى التى
 حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد
 ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى
 العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا
 وحرس سماء علائمه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له
 شهابا رسدا ، وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد
 ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش أهدى وما هدى والصلاة والسلام على
 سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا
 مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا
 الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطع أبدا
 والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا السبيل
 اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى
 ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا
 والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم
 ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم
 منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كنبناه اليكم كسب الله تعالى
 لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيفى أودا وعزما
 يملأ أفئدة الكفر كمددا وجعلكم ممن هيا له من أمره رشدا ويسر لكم
 العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء
 غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى
 آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بأن ملككم
 تحدى من الظهور على أعدائه بأية وأجرى جياذ السعد فى ميدان لا يجد
 بغاية وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية
 ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفنا ويسدل عليه
 من العصمة سجفا فقسامه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفنا ونعقد
 بين أبناء مسرته وبين الشكر لله حلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله

زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى
 ونروى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم
 وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد
 لخدع الآمال والاعتزاز بموارد الآل وقال رأيه فى اقتحام الاهوال
 وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم
 السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ومن ذا يزاحم الاطواد
 ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه وأضر عملا استأثر عنا باخفائه
 واستعان من عدو الدين بمعين فلا ورى لمن استنصر به زندق ولا خفق لمن
 تولاه بالنصر بند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين
 سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب
 ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعاده كساب
 وسحائب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز
 ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى
 بداياتها وعوائد الله تعالى فىمن نازع قدرته لاتجهل ومن غالب أمر الله
 خاب منه المعول فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود
 تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار
 ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة
 والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه
 عالم الاسرار فأعاد فى الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما
 أسدى فعلم منه مآل من رام يقده زندق الشتات من بعد اللثام ويشير
 عجاجة المنازعة من بعد ركوب القتام هيئات تلك فلاة الله تعالى التى
 ما كان ليتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حباله لايفلتها
 قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال
 جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا
 التسمية والارسال ثم الامسك والقتال ثم الاقليات والاستعمال فياله من
 زجر استنطق لسان الوجود مجدله واستنصر البحر فخذله وصارع القدر

فجدله لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة
ومتسبب الى نسبة غير سعيدة وشانئ غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء
النار تحكمت فيهم أطراف العوالي وصدور الشفار وتحصل منهم من
تخطاه الحمام في قبضة الاسار فمجينا من تيسير هذا المرام واخمد الله
لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل في الاوهام وتسديد لا يستطيع اصابته
السهم كلما قدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألسنا
أبرأ يمن طائركم علة ماذاك الالية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى
وصحت واسترسلت بركنها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم
وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التي أهدت فنحن نهنيكم بمنح الله
ومنه ونسأله أن يلبسكم من اعاتة أوقى جنه فأملنا أن تطرد آمالكم
وتتجج في مرضات الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التي يدافع العدو
بسلاحها وتبليج ظلماته بصفاحها وكيف لانهنكم بصنع على جهتنا يعود
وبشابقنا تطلع منه السعود فيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد
استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم
الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر
أعلامكم ويهني الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله
وبركاته اه

ولما نزل أبو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب
الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك اتر مقدم الحاجب ابن أبى
عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فجهز السلطان أبو عنان
اليه عسكريه من تلمسان وعقد على حرب السكسيوى وأبى الفضل لوزيره
فارس بن ميمون بن وردار فسار حتى نزل على جبل السكسيوى وأحاط به
وأخذ بمخنقه واحتط مدينة لمسكريه وتجمير كتابه بسفح ذلك الجبل
سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله
الرجوع الى طاعته المعروفة وأن يئذ العهد الى أبى الفضل ، ففارقه وانتقل
الى جبال المصامدة ، ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد

أكنافها وسارت الالوية والجيوش في جهاتها ورتب المسالح في ثغورها
وأمصارها

وسار أبو الفضل يتقل في جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى
بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلي بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله
عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة بنى عبد الواد كان
السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه لتلمسان فاستقر فى
دولتهم واندرج فى صنائعهم ، فأخذ بمخنق ابن الحميدى وأرهبه بوصول
العاكر والوزراء اليه ، وداخله فى التقبض على أبى الفضل وأن يذل له من
المال فى ذلك ما أحب ، فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل
ووعده من نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ولما
استمكن منه ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترط له من المال
وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعمائة
فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله ليلال يسيرة من اعتقاله خنقا
بمحبيه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما نذكره ان
شاء الله



وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانها الغنى بالله

على السلطان أبى عنان رحمهم الله



كان السلطان أبو الحجاج يوسف بن الاحمر قد أوفد وزيره لسان
الدين ابن الخطيب على السلطان أبى عنان اثر مهلك السلطان أبى الحسن
معزيا له بمصابه ، فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجلى فى أغراض تلك
السفارة وعاد الى غرناطة ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس
وخمسين وسبعمائة بمصلى عيد الفطر وهو ساجد طعنه بعض الزعانف
فأصماه لوقته ، وبايع الناس ابنه محمد بن يوسف الغنى بالله وقام بأمر دولته

مولاه رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصغر من ملوكهم واستبد بالامر وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لايه من قبل ، واتخذ لكتابه غيره وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان في امره وتشارك في الاستبداد معا ، فجزت الدولة على أحسن حال ، ثم أن السلطان الغنى بالله بعث وزيره ابن الخطيب سفيرا عنه الى السلطان أبي عنان مستمدا له على عدوه الطاغية على عادة سلفه في ذلك ، قال ابن الخطيب : لا أشرفت على مدينة فاس في غرض هذه الرسالة خاطبني الخطيب الرئيس أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه :

ياقأدا وافي بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح
هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها تل المتى وتفر بكل سماح
مغنى الامام أبي عنان ييمن تظفر ببحر بالندا طفحاح
من فاس جود أبي عنان في الندا بسواه فاس البحر بالضحاح
ملك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعد في الندا ذكر محاه عن نداء ماح
ما أن سمعت ولا رأيت بمنله من أريحي للندا مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله حتى حكى سح الغمام الساح
فنواله وجلاله وفعاله فافت وأعيت السن الممداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت كل المتى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه متلافة الاحزان والانسراح
فانهض أبا عبد الاله تفر بما تبغيه من أمل ونيل نجاح
لا زلت ترتشف الاماني راحة من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدى وأخى على نعمه التى لاتحصى ، حمدا يؤم به
جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى ، فطالما كان معظم سيدى للاسى
فى خيال وللأسف بين اشتغال بال واشتغال بلبال ولقدومكم على هذا
المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه من غير شك

ولا ارتياب ، فها أنت تجتني من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسرة صباحا
وتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسنده صحاحا بحول الله تعالى ولسيدي
الفضل في قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض ما لدى
المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمري لقد كان وافد على سيدي في
مستقره مع غيره فالحمد لله الذي يسر في ايصاله على أفضل أحواله
قال ابن الخطيب : فراجعته بما نصه :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| راحت تذكرني كؤوس السراح | والقرب يخفض للجنوح جناح |
| وسرت تدل على القبول كأنما | دل النسيم على ابتلاج صباح |
| حسنا قد غنيت بحسن صفاتها | عن دملج وقلادة ووشاح |
| أمتت تحض على اللباد بمن جرت | بسموده الأفلام في الألواح |
| بخليفة الله المؤيد فارس | شمس المعالي الأزهر الوضاح |
| ما شئت من شيم ومن همم غدت | كالزهر أو كالزهر في الأدواح |
| فضل الملوك فليس يدرك شأوه | أنى يقاس الغمر بالضضاح |
| أسنى بنى عباسهم بلوائه الـ | منصور أو بحسامه السفاح |
| وغدت مغاني الملك لما حلها | تزرى بدر هدى وبحر سماح |
| وحياة من أهداك تحفة قادم | في العرف منها راحة الأرواح |
| ما زلت أجعل ذكره وثناؤه | روحي وريحاني الأريح وراح |
| ولقد تمازج حبه بجوارحى | كمازج الأجسام بالأرواح |
| ولو أنتى أبصرت يوما في يدي | أمرى لطرت اليه دون جناح |
| فإلان ساعدني الزمان وأيقنت | من فربه نفسى بفوز قـداح |
| ايه أبا عبد الاله وانـه | لنداء ود في علاك صـراح |
| أما اذا استنجدتني من بعد ما | ركدت لما جنت الخطوب رياح |
| فاليكها مهزولة وأنا امرؤ | قررت عجزى واطرحت سلاح |

سيدي أبقاك الله لمهد تحفظه ، وولاء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتني رقمتك
التي ابتدعت وبالحق من مولى الخليفة صدعت والفتنى وقد سطت بي
الأحوال حتى كادت تلتف الرحال والحاجة الى الغداء قد شمعت عن
(الاستقما - ناك - 13)

كشع البطين وثانية العجاوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه ، ففرتنى بكتيبة بيان اسدها هسور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنة وقول لا أدرى للعالم فكيف بغيره جنة لكنها بشرتى بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للأسباب ولا مجازات للأعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الإسلام أوفى الظلال ويبلغنا من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صاحبها من الهدية والتحفة الودية وقبلتها امتالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب باتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من انك البهم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا فى الندرة فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحبت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره ، وسيدى فى الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض وفرض فرض ، وعلى نظره الممول ، واعتماد أعضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان واللحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله اه

ولما قدم الوزير المذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها ومثل بين يديه واستأذنه فى انشاد شىء من الشعر

يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجا لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت جبلهم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الامر انه وطن في غير عليك ما له وطر
وقد أهمتهم نفوسهم فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الايات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم » ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزموا على الانصراف أتقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه قال ابن خلدون: قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد « لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا » ونص الكتاب الذي قدم به ابن الخطيب : «المقام الذي يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرت من الاعتماد عليه أسنى ذخريته الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أينا الذي رعى الازمة شأنه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعيد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها لاولادها أولياؤه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أنوابه وتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طسوارق الايام كتابه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله

على لاجب طرفه المستضىء في ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله
 محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج
 ابن نصر سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته
 أما بعد حمد الله الذي لاراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته
 وحكمته وعدله الملك الحق الذي بيده ملاك الامر كله مقدر الأجل والاعمار
 فلا يتأخر شيء عن ميقاته ولا يبرح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ نقلة ، لا يقبض
 العاقل بمائه ولا يظله ، وسيل رحلة فما أكب ظغنه من حله والصلاة والسلام
 على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبائه وسيد رسله الذي
 نعتصم بسببه الاقوى وتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد
 في سبيله من كذب به أو حاد عن سبيله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله
 والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على
 خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم
 كتب الله تعالى لكم وقاية لاتطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام
 النوائب كلما فوقها الدهر ورمائها ، وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها
 وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى
 ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطفه تعرفها وترا وشفعا ومقامكم
 الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذي ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى
 اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابتكم العدة التي تأسست مبانيها على البر
 والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من
 مساهمة مجدكم التي يقتضيها كرم الطباع وطباع الكرم وتدعو اليها ذم
 الرعى ورعى الذم ، نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه
 وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه تعالى بالسعادة التي
 ألبسه حلتها والشهادة التي في أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التي
 حتمها له وأوجبها وبما تصير لنا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على
 من خلفه من ستره وانها لعبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع
 وترسل الدمع وحادثة أجمل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان

أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلال نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المنكوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلابه والسلاح زاخر عبايه والدين بهذا القطر قد أئبع بالامن جنابه وأمر من يقول للشىء كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشقى قبضه الله تعالى أسعاده غير معروف ولا منسوب وخيبت لم يكن معتبرا ولا محسوب تخلل الصفوف المعقودة وتجاوز الابواب المسدودة وخاض الجموع المشهودة والامم المحشورة الى طاعة الله المحشودة لا تدل العين عليه شارة ولا بزة ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزة وانما هو خيبت ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأئبته وأعلق به شرك الحين فما أفلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل ولا عثر على شىء عنه ينقل لطفنا من الله أفاد براءة الذم وتعاورته للحين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله الى القصر وبه ذمنا لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلل الملك بنظر من الطرف الحسير وينهض بالجنح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى جمع التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب أن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع عماد بناء ملكه ولما شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى

ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل
للدين حق فاستند النقل الى نصه ولم يعد من فقيدنا غير شخصه وبادرنا
الى مخاطبة البلاد نمهدا ونسكنها ونقرر الطاعة في النفوس ونمكنها
وامرنا الناس بها بكف الايدي ورفع التعدي والعمل من حفظ شروط المسألة
المعقودة بما يجدي ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على
النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قنقالة نرى ما عنده في
صلة السلم الى أمدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى
على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا
تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار
وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعانتنا على
اقامة دينه في هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار
وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان
فقدنا والدنا فاتم لنا من بعده الوالد والذخر الذي تكرم منه العوائد والحب
يتوارث كما ورد في الاخبار التي صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم
لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشييدت
مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها في التشيع اليكم أصول
وفى تقرير فخركم محصول وأتم رده المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذي
يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند
ما استقر هذا الامر الذي تبعت المحنة فيه المنحة وراقت من فضل الله تعالى
ولطفه فيه الصفحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم
وأعيانهم وتزاحمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد
ألفاظها ومعانيها في قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد
خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذي نعلم مساهمته
فيما ساء وسر وأحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذي ثبت واستقر
والحب الذي ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا
الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادي السفور وان كنا قد

خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا أنه أمر له ما بعده
 وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما يسن وقوعها الى
 استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده
 الحسان ليكون أبلغ في البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم
 وزير أمرنا وكاتب سرنا الفقيه الاجل أبا عبد الله محمد بن الخطيب
 وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع
 اليه الى الركن الوثيق المبني ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والثمرة
 العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذي هو أساس بنائنا وقامع
 أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومضار الحال عليه والمرغوب
 من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية
 المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من
 غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويسوالى
 نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته اه
 وللسلطان الفنى بالله هذا مع السلطان أبى عنان رحمهما الله مراسلات
 عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب نفع الطيب منها جملة وافرة مع
 التنبيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبو عنان الوزير ابن
 الخطيب فى هذه الوفادة وغيرها اكراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة
 طويلة طنانة يقول فى أولها :

أبدى لداعى الفوز وجه منيب وأفاق من عدل ومن تائب
 ويقول فى أثنائها :

يا ناصر الدين الحنيف وأهله انضاء مسغبة وفل خطوب
 حقق ظنون بنيه فيك فانهم يتعللون بوعدك المرقوب
 ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا بجناب عز من علاك رقيب
 ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم أوليس صبحك منهم بقريب
 فانظر بعين العز من ثغر غدا حذر العدا يرنو بطرف مريب
 نادتك أندلس ومجدك ضامن ألا يخيب لديك ذو مطلوب

وهى طويلة .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة انتقض على السلطان أبى عنان وزيره
وصاحب شوره عيسى بن الحسين بن على بن أبى الطلاق من شيوخ بنى
مرين ووجهها ، وكان السلطان أبو عنان قد استعمله على جبل طارق فتمكنت
رياسته به وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ، ثم التفت حاله
وضافت مذاهبه فقبض عليه وأحضر بين يدي السلطان أبى عنان هو وابنه يوم
منى من سنة ست وخمسين المذكورة فتصلا واعتذرا فلم يقبل منهما
وأودعهما السجن وضيق عليهما ، ولما كان آخر السنة أمر بهما فجنبا الى
مصارعهما وقتل عيسى قمعا بالرمح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى
من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك بعد ثلاثة أيام من قطعه
وعقد السلطان على جبل طارق وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داوود ، ثم
عقد بعده لولده أبى بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده والله أعلم



رحلة السلطان أبى عنان إلى سلا وتطارحه (*) على وليها الاكبر

أبى العباس ابن عاشر رضى الله عنه



كان لبنى مرين عموما وللسلطان أبى عنان خصوصا جنوح الى الخير
ومحبة فى أهله وتعرض لمن يشار اليه بالصلاح واستمطار لطله ووبله ، وكان
الشيخ الاشهر أبو العباس أحمد بن عاشر الاندلسى رضى الله عنه قد
استوطن فى هذا التاريخ مدينة سلا ، وكان من الافراد الجامعين بين العلم
والعمل المتمسكين بالكتاب والسنة ، الناهجين سنن السلف الصالح فى الزهد

(*) ما وقع لابی عنان مع ابن عاشر وقع نظير لالمولاي اسماعيل العلوى مع سيدى
أحمد بن محمد بن عبد الله معز الاندلسى راجع ذلك فى الجزء الاول من المقصد الاحمد
لسيدى عبد السلام القادري ص . ١٥٠ وما يليها فإنه مما يحسن الوقوف عليه والتظهيره
رحم الله الجميع والله در القائل: قتل للموك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

والورع والانقطاع عن الخلق جملة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص
والعام قدره ، فتحركت همة السلطان أبي عنان لزيارته والاقباس مما يفتح
الله به من وعظه واثارته ، فارتحل سنة سبع وخمسين وسبعمائة الى سلا
فقدما وحرص على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف ببابه مرارا فلم يأذن له
وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس تبعه على قدميه والناس
ينظرون اليه وهو لا يراه فقال السلطان عند ذلك لقد منعنا من هذا الولي ، ثم
أرسل اليه ولده راغبا ومستعظفا فأجابه بما قطع رجاءه من لقائه غير أنه كتب
اليه كتابا وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما
فاته من الاجتماع بالشيخ ، وقد ذكر الفقيه العلامة البركة أبو العباس أحمد
ابن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي المدعوي بالحافي في كتابه «تحفة الزائر
في مناقب الشيخ ابن عاشر» نص هذا الكتاب ولم يحضرنى الآن فانظره فيه
وبالله تعالى التوفيق

غزوة السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها

لما كان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمائة اعترم السلطان
أبو عنان على النهوض الى افريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديد ،
وبعث في الحشد الى مراكش وأوعز الى بني مرين بأخذ الابهة للسفر
وجلس للعطاء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض الى شهر ربيع
الاول من سنة ثمان وخمسين بعدها ، ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته
وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعية الى أن
احتل ببجاية وتلوم لازاحة العلل ، ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان
على أثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بجنوده دعر أهل البلد وألقوا
بأيديهم الى الاذعان ، وانفضوا من حول سلطانهم أبي العباس أحمد بن محمد
ابن أبي بكر الحفصي وجاءوا مهطعين الى السلطان أبي عنان ، وتحيز

الحفصي في خاصته الى القصبة ثم طلبوا الامان من السلطان أبي عنان فبذله لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ، ثم بعث بأبي العباس في الاسطول الى سبتة فاعتقله بها ، وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج خلوف اليباني من شيوخ بني مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة في شعبان من السنة المذكورة ، ووصلت اليه بيعات أمراء الاطراف من توزر ونقطة وقابس وغيرها ، ووفد عليه أولاد مهلهل أمراء بني كعب من سليم وأقيال بني أبي الليل منهم يستحثونه لملك تونس فسرّح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى ابن عبد الرحمن بن تاشفين* وبعث أسطوله في البحر مددالهم وعقد عليه للرئيس مجمد بن يوسف المعروف بالابكم من أمراء بني الاحمر

وكان سلطان تونس يومئذ أبا اسحق ابراهيم بن أبي بكر الحفصي ولما اتصل به خبر بني مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقتالهم فزحفت الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرساها فقاتلهم ابن تافراجين يوما أو بعض يوم ثم ركب الليل الى المهديّة فتحصن بها ، ودخل أولياء السلطان الى تونس في رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وأقاموا بها الدعوة المريية ، واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتب الى السلطان أبي عنان بالفتح فعظم سروره ، ونظر بعد ذلك في أحوال ذلك القطر وقبض أيدي العرب من رياح عن الاتاوة التي يسمونها الخفارة ، فارتابوا وطالبهم بالرهن عن الطاعة ، فأجمعوا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن علي ولحقوا بالزاب ؛ وارتحل السلطان في أثرهم فأجفلوا أمامه الى القفر فخرّب حصونهم التي بالزاب ورجع عنهم وحمل له ابن مزني عامل بسكرة والزاب جبايته وأطلق المؤن للعسكر من الادام والحنطة والحملان والعلوفة ثلاثة أيام ، وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم

ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس ، وضافت العساكر ذرعا بشأن النفقات والابعاد في الرحلة وارتكاب الخطر في دخول

افريقية ، فتمشت رجالانهم في الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون في ذلك فوافقهم ؛ ثم أذن شيوخ العسكر ونقباؤه لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب حتى يقوا منفردين وأنهى الى السلطان أبي عنان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب ادريس بن عثمان بن أبي العلاء للامر فأسرهما في نفسه ولم يدها لهم ، ورأى قلة من معه من الجند فارتاب وكر راجعا الى المغرب بعد أن كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين ؛ فانكفا وأغذ السير الى فاس فاحتل بها غرة ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة ، وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهمه بمداخلة بنى مرين في شأنه وقتله رابع أيام التشريق قصا بالرماح ، وتقبض على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع طائفة منهم السجن

ولما رجع السلطان أبو عنان من افريقية بلغ خبره الى الجهات ؛ فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهديّة الى تونس ولما أطل عليها ثارت شيعة الحفصيين على من كان بها من جيش بنى مرين فنجوا الى السفن وركبوا البحر الى المغرب ، وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فيمن كان معه من العساكر وأولاد مهلهل وكان يوم الهيعة بناحية الجريد لاقتضاء جبايته فصبوا الى المغرب واجتمعوا كلهم بباب السلطان أبي عنان فارجأ حركته الى العام القابل وكان ما تذكره ان شاء الله .



وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية



لما رجع السلطان أبو عنان من افريقية ولم يستم فتحها بقي في نفسه منها سىء وخشى على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الذواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرحه في العساكر الى افريقية فنهض اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان السلطان أبو عنان لما خالف عليه يعقوب بن

على وفر الى القفر أقام مكانه أخاه المنازع له فى رياسة رياح ميمون بن على
وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو فنزع اليه
عن أخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من
أولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا بحللمهم على معسكره
ثم ارتحل السلطان أبو عنان من فاس حتى احتل بتلمسان فأقام بها
لمشاركة أحوال الوزير المذكور واحتل الوزير بوطن قسنطينة وبعث الى عامل
بسكرة والزاب يوسف بن مزنى بأن تكون يده معه وأن يفاوضه فى أحوال
الذواودة لرسوخه فى معرفتها؛ فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أورابن (*)
واقضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الذواودة عن العيث فى الوطن فتم
غرضهم من ذلك؛ وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر
مجالات رياح ، وانكفأ راجعا الى المغرب فوافى السلطان أبا عنان بتلمسان
ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع
عليهم وحملهم وفرض لهم فى العطاء بالزاب وكتب لهم بذلك وانقلبوا الى
أهليهم فرحين مقتبطين ، ووفد على أثرهم أحمد بن يوسف بن مزنى أوفده
أبوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق فقبلها السلطان وأكرم
وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ فى الاحتفاء به
واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة

وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لما وصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدي العيد
الأكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض بالمصلى وأعجله
طائف الوجع عن الجلوس للناس يوم العيد على العادة فدخل قصره ولزم
فراشه

وذكر ابن خلدون ما حاصله : « انه كانت بين الوزير حسن بن عمر

(*) صوابه أوراس

الفودودي وبين ولي العهد بن زيان محمد بن السلطان أبي عنان نفرة مستحكمة لسوء طويته وشر ملكته فاتفق الوزير المذكور مع من كان على رايه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من ابناء السلطان فأجمعوا الفتك به والبيعة لآخيه أبي بكر السعيد طفلا خماسيا ، ثم أغروا الوزير بسعود بن عبد الرحمن بن ماساي بتطلب أبي زيان ولي العهد في نواحي القصر والتقبض عليه فدخل اليه وتلطف في اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فباع وثل الى بعض حجر القصر فأتلقت فيها مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك وجود بنفسه ، وارتقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفتى الكلام فدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن(*) يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للامر وأغلق عليه بابه وتفرد بالامر والنهي دونه ، انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية .

وقال في الجدوة : « توفي السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن ابن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة متم سنة تسع وخمسين وسبعمائة وسنه يوم توفي ثلاثون سنة »

بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته

كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة ؛ طويل القامة يشرف على الناس بطوله نحيف البدن على الانف حسنه ؛ أعين أديع جهورى الصوت فى كلامه عجلة حتى لا يكاد السامع يفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها واذا مرت بها الريح تفرقت نصفين حتى يستين موضع الذقن ؛ وكان فارسا شجاعا يقوم فى الحرب مقام جنده ، وكان فقيها

[*] بجامع المدينة البيضاء [فاس] وكانت دولته تسعة اعوام وتسعة أشهر .

ينظر العلماء الجلة عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من علمي العربية والحساب ؛ وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه ، حافظا للحديث عارفا برجاله ، فصيح القلم كاتباً بليغاً ، حسن التوقيع شاعراً أشد له صاحب الجذوة أشعاراً حسنة من ذلك في الحكمة قوله :

وإذا تصدر للرياسة خامل * جرت الامور على الطريق الاعوج

وقال ابن الاحمر: «كنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل يتصلح فلما نظر اليه قال بديهته :

تراهم في ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخداع

وللسلطان أبي عنان رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ، ومدرسته العناية بفاس مشهورة الى الآن ؛ ومن مدارسه المدرسة العجيبة بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقاً يعرف بفندق اسكور ومما قاله أبو بكر بن جزى في بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله :

هذا محل الفضل والايثار والرفق بالسكان والزوار

دار على الاحسان شيدت والتقوى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

هي ملجأ للواردين ومورد لابن السبيل وكل ركب سارى

آثار مولانا الخليفة فارس أكرم بها فى المجد من آثار

لا زال منصور اللواء مظفرا ماضى العزائم سامى المقدار

بنيت على يد عبدهم وخديم با بهم العلى محمد بن حـ دار

فى عام أربعة وخمسين انقضت من بعد سبعين فى الاعصار

وقال صاحب الجذوة: « حدثنى شيخنا أبو راشد اليدري أن السلطان أبا

عنان هو الذى أحدث بفاس العلم الأزرق فى الصومعة يوم الجمعة »

وقال فى موضوع آخر منها: « حكى أن السلطان أباعنان المرينى سعد الصومعة

يعنى بالقرويين ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجاة وما اتصل بها

فاستحسن ذلك وأنعم على الناظر فيها بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على

القيام بشعائر الاسلام » وذلك فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، قال : وأمر بآثر

ذلك بأن ينصب بأعلى الصومعة صارى من خشب وينشر فيه علم فى الاوقات
التي يصلى فيها ، وفنار فيه سراج مزهر فى اوقات صلاة الليل ليستدل بذلك
من بعد ومن لم يسمع النداء ، وفى ذلك اعتناء بأمور الاوقاف وما يتعلق بها من
وجوب الصلوات ويترتب عليها من وجوه الحقوق فى العادات والعبادات
ومما قيل فى ذلك

نور به علم الايمان مرتفع للمهتدين به للحق ارشاد
يأتون من كل صوب نحوه فلهم لديه للرشد اصدار وايراد
وقد لخص ابن الخطيب رحمه الله فى رقم الحلل سيرة السلطان أبى
عنان فقال :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| وخلص الامر لكف فارس | باني الزوايا الكثر والمدارس |
| الاسد المقترس المصنوع له | من نال من كل المساعي أمله |
| واحد آحاد الملوك العظما | ومطلع النصر اذا ما أقدمنا |
| ومخجل الغيث اذا الغيث هما | وعالم الملك وملك العلماء |
| أوجب حق الشعر والكتابة | فاملت أعلامها جنابه |
| واستجلب الامائل الكبارا | والنبهاء العلية الاخيـارا |
| يجبرهم على حضور الدولة | فهم بدور وشموس حوله |
| وكان جارا على خدامه | ينالهم بالقسر فى أحكامه |
| مذهبه ألا يقبل عشرة | حتى لارباب التقى والائـرة |
| فطرة السيف تناغى الدرـة | اذ غلبت على المزاج المـرة |
| ومات فيما قيل شر ميتة | بغيلة لنفسه مفيتـة |
| لم يغن عنه الباس والبسالـة | وأصبحت مهجته مسالـة |
| وألقيت أزمة التديـر | من بعده فى راحة الوزير |

ومن أعيان كتابه : أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجى

ومن أعيان قضاة : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ وهو
جد أبى العباس المقرئ صاحب نفع الطيب وغيره من التأليف الحسان ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي وغيرهما رحم الله الجميع (*)

(*) ذكر صاحب روضة النسرین اولاد السلطان ابي عنان فقال : اولاده الذكور السلطان ابو زيان محمد والسلطان ابو يحيى ابو بكر السعيد والسلطان موسى والمهدي بالله والمعتمد على الله محمد والمعتصم بالله محمد والمنتصر بالله محمد والمكتفي بالله محمد والواثق بالله محمد ومحمد المدعو بأبي طريق . بناته : فاطمة الصالحة وست العرب ورقية وعائشة وزنو وسكينة وسما وأم جعفر وأم هاني وجندوزة ولما العزيز المدعوة بمديلة . وكان جميع ما ولد ثلاثمائة ونحو خمسة وعشرين ما بين سقط وغيره .



تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله :

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله

ابي بكر بن ابي عنان بن ابي الحسن المريني



فهرس الموضوعات

| صفحة | |
|------|--|
| ٣ | الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب وذكر اوليتهم وأصلهم |
| ٤ | الخبر عن دخول بنى مرين ارض المغرب الاقصى واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك |
| ٥ | الخبر عن رياسة أبى محمد عبد الحق بن محيو المرينى رحمه الله حرب بنى مرين مع عرب رباح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله |
| ٧ | بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته |
| ٨ | الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله |
| ١٠ | الخبر عن رياسة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق |
| ١١ | الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله استيلاء الامير أبى بكر عن مكناسة وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته |
| ١٢ | استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له |
| ١٤ | انتقاض فاس على الامير أبى بكر ومحاصرته ايامهم |
| ١٥ | استيلاء الامير أبى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك |
| ١٧ | استيلاء الامير أبى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة |
| ١٨ | وفاة الامير أبى بكر رحمه الله |
| ١٩ | الخبر عن دولة أبى حفص الامير عمر بن أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله |
| ١٩ | رحمه الله |

- ٢٠ الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق
رحمه الله
- ٢١ استيلاء نصارى الاسبينول على مدينة سلا وإيقاع السلطان
يعقوب بهم وطردهم عنها
- ٢٢ خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله
- ٢٣ حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبى دبوس منها
اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك
- ٢٤ وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان
- ٢٥ فتح حضرة مراکش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين
بها
- ٢٦ مراسلة السلطان أبى عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصى
للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٢٨ عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا وما نشأ
عن ذلك من خروج قرابته عليه
- ٢٩ هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب
- ٣١ وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن
زيان
- ٣٢ وفاة الامير أبى مالك بن أمير المسلمين أبى يوسف
- ٣٣ فتح طنجة وسبته وما كان عن أمر الغزفى بهما
- ٣٤ فتح سجلماسة وما كان من أمرها
- ٣٦ تاريخ وجود البارود
- ٣٦ أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرينى فى
الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل
رحمه الله
- ٣٧

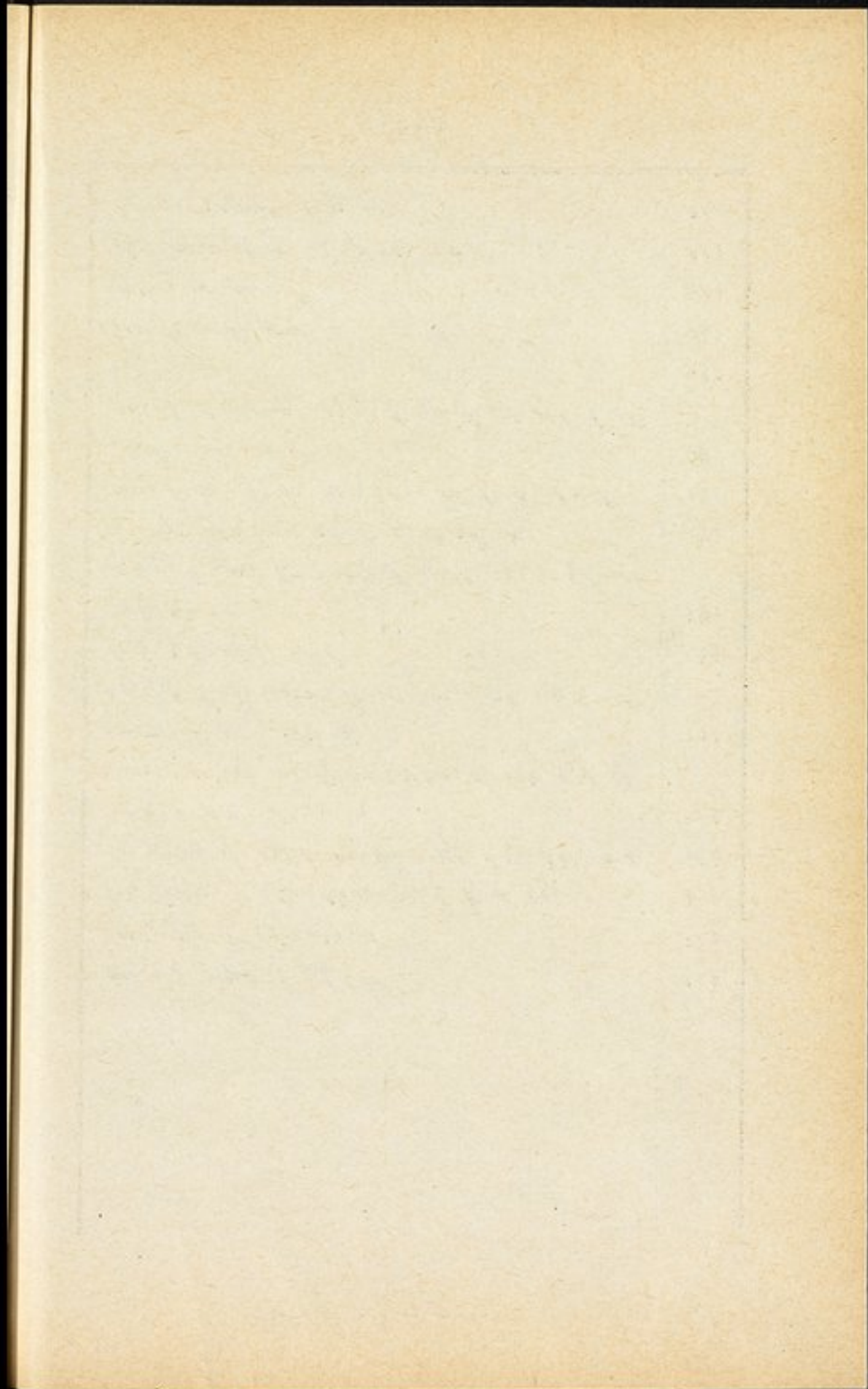
- ٣٩ الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
فتح جبل تينملل ونبس قبور بني عبد المؤمن على يد الملياتي
عفا الله عنه
- ٤٢
- ٤٤ بناء المدينة البيضاء المسماة بفاس الجديد
- ٤٥ الجواز الثاني للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
- ٤٩ حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس مغيثا للطاغية ومقتنا
فرصة الجهاد
- ٥٥
- ٥٦ انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب في ذلك
- ٥٨ الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحواز الجزيرة الخضراء وعقد
الصلح بينهما والسبب في ذلك
- ٦٢
- ٦٥ وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته
- ٦٥
- ٦٦ الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله تعالى
- ٦٦
- ٦٨ قدوم بني اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم
قصر كرامة والسبب في ذلك
- ٦٨
- ٦٨ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يفراسن بن زيان
صاحب تلمسان
- ٧٠
- ٧٠ انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر واستيلاء الطاغية
على الطريق بمظاهرة ابن الاحمر له
- ٧١
- ٧٢ ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا
انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه
بطنجة
- ٤٧

- فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب
 ٧٧ في ذلك
- ٧٩ الحصار الطويل على تلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث
- ٨٠ نكبة بنى وقاصة يهود فاس
- ٨٢ انتفاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبى سعيد على سبتة
- ٨٣ ثورة عثمان بن أبى العلاء بجبال غمارة
- ٨٥ وفاة السلطان يوسف رحمه الله
- ٨٨ بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته
- دخول الشريف المولى حسن جد الملوك العلويين من الينبع الى
 سجلماسة
- ٨٨
- ٨٩ بناء قصبة تطاوين
- ٨٩ وفاة أبى يعقوب الاشقر
- ٩٠ عمل المولد النبوى بالمغرب
- ٩٠ رفع أيدي الموثقين من الشهادة بفاس
- الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن
 يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٩١
- ثورة يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وما كان من
 أمره
- ٩٣
- غزو السلطان أبى ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن
 أبى العلاء
- ٩٥
- ٩٦ بناء مدينة تطاوين القديمة
- الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر عبد
 الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٩٧
- نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال
 بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك
- ٩٩
- ١٠٠ انتفاض أهل سبتة على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين

- انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان
 ١٠١ أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك
 ١٠٢ قضية أبي الحسن الصغير
 الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد يعقوب بن عبد الحق
 ١٠٣ رحمه الله
 ١٠٤ غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان
 خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في
 ١٠٥ ذلك
 وفادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصراخهم أياه
 ١٠٨ على الطاغية وما نشأ عن ذلك
 انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن
 ١١٠ ذلك
 ١١١ بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله
 ١١٣ أخبار بني العزفي أصحاب سبتة
 المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي
 ١١٦ بكر بن أبي زكرياء الحفصي والسبب في ذلك
 ١١٧ وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله
 الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان
 ١١٨ بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
 حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وابي علي ثم مقتل أبي علي
 ١١٩ والسبب في ذلك
 وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس
 ١٢١ وفتح جبل طارق
 فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابن تاشفين وانقراض الدولة الاولى
 ١٢٣ لبني زيان

- ١٢٧ مراسلة السلطان أبي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من
خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله
- ١٣٢ نكبة الامير أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبي الحسن
وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك
- ١٣٣ ثورة ابن هيدور النزار وما كان من أمره
- ١٣٤ أخبار السلطان أبي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف
التي محض الله فيها المسلمين وغير ذلك
- ١٣٧ استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء
- ١٣٩ بقية أخبار بني العلاء
- ١٤٠ مراسلة السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفداء اسماعيل
ابن محمد بن قلاوون
- ١٥١ هدية السلطان أبي الحسن الى ملك مالي من السودان المجاورين
للمغرب
- ١٥٣ مصاهرة السلطان أبي الحسن ثانيا مع السلطان أبي بكر الحفصي
رحمهما الله
- ١٥٤ غزو السلطان أبي الحسن افريقيا واستيلاؤه على تونس وأعمالها
انتقاض عرب بسليم بافريقية على السلطان أبي الحسن وما نشأ
- ١٥٨ عن ذلك
- ١٦٢ انتقاض الاطراف وثورة أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن
واستيلاؤه على المغرب
- ١٦٦ أصل الاشراف الصقليين
- ١٧٠ ركوب السلطان أبي الحسن البحر من تونس الى المغرب وما
جرى عليه من المحن
- ١٧٣ استيلاء السلطان أبي الحسن على مراكش ثم انهزامه عنها الى
هتاتة أهل جبل درن ووفاته هناك
- ١٧٤ بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته

- ١٧٥ بناء المدرسة العظمى بطالعة سلا
- ١٧٥ سور الماء الداخل الى سلا المعروف بالاقواس
- ١٧٦ المدرسة المصباحية بفاس
- ١٧٨ وفاة أبي الحسن الصغير
- ١٧٩ وفاة ابن البناء
- الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن رحمه الله
- ١٨١ تملك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي
- ١٨٤ ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها
- ١٨٤ خروج أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك
- ١٨٦ مدينة القاهرة بأرض السوس
- ١٩٠ وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانة الضي بالله على السلطان أبي عنان رحمهم الله
- ١٩١ رحلة السلطان أبي عنان الى سلا وتطارحه على وليها الأكبر أبي العباس بن عاشر رضي الله عنه
- ٢٠٠ غزو السلطان أبي عنان أفريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها
- ٢٠١ وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالساكر الى أفريقية
- ٢٠٣ وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله
- ٢٠٤ بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته
- ٢٠٥



فهرس الاعلام والقبائل

حرف «أ»

- | | |
|-------------------------------------|--------------------------------|
| محمد ١٠١ - ١٢١ | آل زيان ٨٦ |
| ابن الاحمر : أبو الحجاج يوسف بن | آل الحسين السبط ١٦٦ |
| اسماعيل ١٢٣ - ١٣٦ - ١٣٧ | آل عبد المومن ٢٧ - ٣٥ - ٤٤ |
| ١٣٨ - ١٦٦ - ١٨٧ | آل يغمراسن ٨٠ - ١١٦ |
| ١٩١ | ابراهيم بن أبي حاتم الغزفي ١١٧ |
| ابن الاحمر : أبو سعيد فرج بن | ابراهيم بن عيسى اليريناني ١٠١ |
| اسماعيل ٧٣ - ٨٢ - ٨٣ - ٩٥ | ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤ |
| ٩٦ - ١١٣ | ابراهيم بن هشام ١٦ |
| ابن الاحمر : أبو الوليد اسماعيل بن | ابراهيم بن وقاصه ٨١ |
| أبي سعيد فرج ١٢١ | ابن أبي دبوس ١٦١ |
| ابن الاحمر : عبد الله بن أبي الحجاج | ابن أبي زرع ٨ - ٤٤ - ٩٦ |
| ١٩٦ | ١٨٠ |
| ابن الاحمر : محمد بن اسماعيل بن | ابن أبي العلاء ٩٦ |
| أبي سعيد فرج ١٢١ - ١٢٢ | ابن أبي عمارة ٦١ |
| ١٢٣ - ١٣٩ | ابن أبي عمرو ١٨٦ - ١٨٧ |
| ابن الاحمر : محمد بن محمد الفقيه | ١٩٠ |
| المخلوع ٨٢ - ١١٣ | ابن أبي عياد ٩٤ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف بن | ابن أبي وطاط ١٥ - ١٧ |
| نصر ٣٧ | ابن الاثير ٣٥ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف الابكم | ابن الاحمر ٢٠٦ |
| ٢٠٢ | ابن الاحمر : أبو الجيوش نصر بن |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف الغني | |
| بالله ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٩ | |

| | |
|------------------------------------|-----------------------------|
| ابن عبد السلام ١٥٦ | ابن الاحمر : محمد الفقيه ٣٢ |
| ابن عرفة ١٥٤ - ١٥٦ | ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٧ - ٤٨ |
| ابن عطوش ٢٥ | ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ |
| ابن عطية المفسر ٦٤ | ٥٦ - ٥٧ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦ |
| ابن علان ٨٠ | ٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ٧٥ |
| ابن كانون ٥١ | ٨٢ |
| ابن محلي ٥٠ - ٥٧٥٣ | ابن أذفونش ٤٥ - ٥٣ |
| ابن مرزوق ١٣٠ | ابن تافرجين ١٦١ - ١٦٢ |
| ابن مزني ١٨٣ | ابن حجاج ٣٦ |
| ابن الملياني ٧٨ - ٩٧ | ابن جحاف ٨٧ |
| ابن هرون ١٥٦ | ابن جرار ١٦٥ |
| ابن هيدور الجزار ١٣٣ - ١٣٤ | ابن جشار ١٥ - ١٧ |
| أبو ابراهيم بن يوسف بن عبدالمومن ٦ | ابن الحميدى ١٩١ |
| أبو اسحق ابراهيم بن أبي بكر | ابن خلدون ٣ - ١٧ - ٣٠ |
| الحفصي ٢٠٢ | ٣٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢ - ٨٦ |
| أبو اسحق بن أبي الحسن ٦٨ | ٩٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٧ |
| أبو اسحق بن أبي العاص ١٠٩ | ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٧٢ |
| أبو اسحق ابراهيم بن اشقيلولة ٤٠ | ١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٨٧ |
| ٤٥ - ٦٨ | ١٩٥ - ٢٠٤ |
| أبو اسحق الساحلي ١٥٢ | ابن الخطيب ٥٥ - ٧٨ - ١١٥ |
| أبو البقاء يعيش ١٠٤ - ١٠٥ | ١٢٦ - ١٦٦ - ١٧٤ - ١٧٧ |
| أبو بكر بن زكرياء الحفصي ١١٦ | ١٧٨ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢ |
| ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣٢ | ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٩ - ٢٠٧ |
| أبو بكر بن حمامة ٤ | ابن راشد القفصي ١٥٦ |
| أبو بكر بن جزى ٢٠٦ | ابن زيان البلشي ١٠٩ |
| أبو بكر بن عبد الحق ٩ - ١١ | ابن عبد الرحمن المغيلي ١٥ |
| ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ | ابن عبد الرفيع ١٥٦ |

| | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| ٦٨ | ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ |
| أبو الحسن بن القطان ٤٤ | ٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٧٤ |
| أبو الحسن بن كماشة ١٠١ | أبو بكر بن يعقوب ٧٦ - ٧٧ |
| أبو الحسن الصغير على بن محمد | ٧٩ - ٩٢ |
| الزرويلي ١٠٢ - ١١٣ - ١٨٧ | أبو بكر بن يفراسن ١٦ |
| ١٧٨ | أبو بكر الحفصي ١٢٥ - ١٣٤ |
| أبو الحسن على بن الحاج ٥٨ | ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ |
| أبو الحسن على بن عثمان ١٠٣ | ١٦٢ |
| أبو الحسن على بن القبائلي التيملي | أبو بكر السعيد بن أبي عنان ٢٠٠ |
| ١٧٨ | ٢٠٥ |
| أبو الحسن على بن أبي سعيد عثمان بن | أبو تاشفين الزياتي ١١٩ - ١٢٠ |
| يعقوب بن عبد الحق المريني | ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ |
| السلطان الاكحل ١٠٣ - ١٠٥ | أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو |
| ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - | ١١٦ |
| ١١١ - ١١٢ - ١١٦ | أبو ثابت بن عبد الرحمن الزياتي |
| ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ | ١٧٢ ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ |
| ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ | أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف |
| ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ | ٨٤ - ٨٧ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ |
| ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ | ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩ |
| ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ | ١٣٩ |
| ١٤٠ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٢ | أبو حاتم الغزفي ٥١ - ١١٣ |
| ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ | ١١٤ |
| ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ | أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني |
| ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥ | - ابن الامير - ٣٤ - ٣٥ |
| ١٦٦ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ | أبو حديد مفتاح بن أبي بكر ١٨ |
| ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ | أبو الحسن بن أبي العافية ١٢ |
| ١٨٦ - ١٩١ | أبو الحسن بن اسحق بن اشقيلولة |

- أبو الحسن علي بن يزكاسن ٦٦
 أبو حفص بن أبي بكر بن عبد الحق
 المريني ٣٥١٩
 أبو حفص عمر بن يغمراسن ٢٦
 أبو حفص عمر المرتضى ٣٤ -
 ٣٦
 أبو حفص عمر المريني ٢٠
 أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي ٨٨
 أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن
 ٨٦ - ٨٧ - ٩٢ - ١٠٢ -
 ١٠٤
 أبو خالد محيو بن أبي بكر ٤
 أبو الخيل بن عامر بن يحيى ٧٣
 أبو دبوس ادريس بن محمد بن أبي
 حفص بن عبد المومن ١٤ - ٢٤
 ٢٥ - ٢٦ - ٢٧
 ٢٦ - ٢٧ - ١٦٢
 أبو دنان سليمان بن علي ١٧٣
 أبو راشد اليدري ٢٠٦
 أبو الربيع سليمان بن أبي عامر عبد
 الله بن يوسف بن عبد الحق المريني
 ٧٤ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ -
 ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٣ -
 ١١٤ - ١٢٥ - ١٧٩
 أبو زكرياء بن أبي بكر الحفصي ١١٦
 ١١٧ - ١١٩
 أبو زكرياء بن أبي حفص ١٢
- أبو زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي
 ١١٣ - ١١٥
 أبو زكرياء يحيى - الوائق - الحفصي
 ٢٩ - ٥٣
 أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب العزفي
 ١١٤
 أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد
 الهنتاتي ٢٨
 أبو زكرياء يحيى بن مليلة ١٠١
 أبو زيان بن أبي سعيد ١٨٣
 أبو زيان بن أبي عنان ٢٠٥
 أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ٨٦
 ٨٧ - ٩٢
 أبو زيان محمد بن عبد القوي بن
 العباس بن عطية ٣٣ - ٣٨ - ٣٩
 أبو زيان منديل بن يعقوب ٤٨
 ٥١ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٤ - ٦٧
 أبو زيد عبد الرحمن بن أبي طالب
 ١١٣ - ١٢٦
 أبو زيد الحفصي ١٨٦
 أبو زيد الغفاري ٨٣ - ٨٤
 أبو زيد الفاسي ٣٦
 أبو زيد محمد بن أبي بكر الحفصي
 ١٨٥
 أبو سالم ابراهيم بن يوسف ٨٢
 ٩١ - ٩٢
 أبو سالم بن أبي الحسن المريني

- ١٨٥ أبو العباس أحمد ابن عاشر الاندلسي
٢٠٠ - ٢٠١
- أبو العباس أحمد بن عاشر السلاوي
- الحافى - ٢٠١
- أبو العباس أحمد بن محمد الازدي
- ابن البناء - ١٧٩
- أبو العباس أحمد بن رافع
الصقلى ١٦٦
- أبو العباس أحمد بن على المليانى ٧٧
- أبو العباس الزواوى ١٧١
- أبو العباس الفمارى ٢٩ - ٥٣
- أبو العباس الفضل بن أبى بكر الحفصى
١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٢ - ١٧٠
- أبو العباس المقرئ ١٢٢ - ١٥١
- ٢٠٧
- أبو العباس الوشريسى ١٥٤
- أبو عبد الرحمن بن أبى الحسن
المرينى ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٢
- ١٣٣
- أبو عبد الرحمن المغيلى ١٥
- أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف
٦٩ - ٧٥
- أبو عبد الله الآجمى ١٥٤
- أبو عبد الله الابى ١٧١
- أبو عبد الله بن أبى بكر الحفصى
١٦٣
- ١٨٦ - ١٦٠
- أبو سالم فتح الله السدراتى ٤٤
- أبو سعيد الاصفر ١٠٣
- أبو سعيد الاكبر ١٠٣
- أبو سعيد بن أبى الربيع القبائلى ٤٣
- أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء ٩٨
- أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المرينى
٩
- أبو سعيد عثمان بن عبد الحق الزياتى
١٨٢
- أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
المرينى ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
- ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٠
- ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤
- ١١٥ ١١٦ - ١١٧ - ١١٨
- ١١٩ - ١٣٢ - ١٣٥ - ١٤٠
- ١٧٨ - ١٧٩
- أبو سلطان عزيز الدانى ٧٤ - ٨٢
- أبو الضياء مصباح بن عبد الله الياصلونى
١٧٦
- أبو طالب بن محمد أبى مدين ١٥٢
- أبو عامر عبد الله بن يوسف ٦٧
- ٦٩ - ٧٤ - ٧٥ - ٩١
- أبو العباس ١٤
- أبو العباس أحمد بن أبى بكر الحفصى
١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢
- أبو العباس أحمد بن ادريس البجائى

- أبو عبد الله بن أبي الحسن بن
اشقيلولة ٤٥
- أبو عبد الله بناني ٣٦
- أبو عبد الله بن الحباك ٤٤
- أبو عبد الله بن خالد ١٥٦
- أبو عبد الله بن عبد الرزاق ١١٧
- أبو عبد الله بن مرزوق ١٢٨
- أبو عبد الله بن يعلو ١٧ - ٢١
- أبو عبد الله الطنجالي ١٥٩
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الابلي ٨٦
- أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن
أبي بكر الحفصي ١٥٥ - ١٥٦
- ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ٢٠٨
- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ ٢٠٧
- أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ٨٢
- أبو عبد الله محمد بن سليمان السطري ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن الصباغ المكتاسي ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ١٥٤
- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله
- ابن الحاج ٢٢
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي
عمرو ١٦٥ - ١٨٤
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد
المقرئ ١٨٥
- أبو عبد الله محمد بن مرزوق ١٩٢
- أبو عبد الله محمد الكناسي ٢٩ -
١٥٧
- أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن
أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن
أبي حفص ٢٨ - ٢٩ - ٣٥ - ١٥٥
- أبو عثمان الوريانكي ٢٥
- أبو عطية العباس بن يعقوب ٦٦
- أبو عطية مهلهل بن يحيى الخلطي ١٥٣
- أبو علي أحمد الملياني ٤٣ - ٧٧
- أبو علي بن محمد ١٤
- أبو علي وانودين ٦
- أبو علي عمر بن السمود بن خرباش
الحشمي ٨٣
- أبو علي عمر بن عثمان (أبو سعيد
المريني) ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧
- ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣
- ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢
- ١٢٣
- أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني
١١٢ - ١٢٣ - ١٣٩ -

- ١٥٤ - ١١٧ أبو القاسم بن عتو
 ١٧٠ - ١٥٦
 ١٩٥ أبو القاسم الشريف
 ١٢٢ أبو مالك بن أبي الحسن المريني
 ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٢٥
 ٢٣ أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب
 ٣٣ - ٣١ - ٣٠ - ٢٩ - ٢٧
 ١٦٨ أبو محمد بن أجانا
 ٤٨ - ٤٠ أبو محمد بن اشقيلولة
 أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين
 العثماني ١٧٨
 أبو محمد عبد الحق ٦٣
 أبو محمد عبد الله بن أبي مدين ٧٨
 ١٠٠ - ٩٩ - ٨٨ - ٨١
 أبو محمد عبد الله بن تافراجين
 - ١٣٢ - ١١٧ - ١١٦
 - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤
 ١٦٠ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٥
 ٢٠٣ - ٢٠٢
 أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ١١٢
 ١٢٧ - ١١٨
 أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ١٢٠
 ١٧٧
 أبو محمد الفشتالي ١٩ - ١٤
 أبو المجد بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٧٣ - ١٤٩ - ١٤٤
 أبو المطرف بن عميرة المخزومي ١٢
- ١٥٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
 ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨١
 ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
 ١٩٥ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
 ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٧
 أبو عنان فارس يغمزاسن ٣٢
 أبو عياد بن أبي يحيى بن حمامة ١٣
 أبو عياد بن عبد الحق ٩
 أبو غالب المغيلي ١٠١
 أبو فارس عبد العزيز الملزوزي ٨٨
 ٩١
 أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن فلاون
 ١٣١ - ١٤٠ - ١٤٧
 أبو الفضل بن أبي الحسن المريني
 ١٧٠ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩
 ١٩٠ - ١٩١
 أبو الفضل بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٢٧ - ١٤٠ - ١٤٧
 ١٥٣
 أبو القاسم البرجي ٢٠٧
 أبو القاسم بن أبي العباس العزفي
 - ٣٥ - ٣٤
 أبو القاسم بن أبي مدين العثماني
 ١١٥
 أبو القاسم الرحوي ١٥٨
 أبو القاسم بن رضوان ٢٠٧

| | |
|-------------------------------------|--|
| ادريس بن عبد الله بن عبد الحق ٩٨ | أبو معرف بن يعقوب ٥٩ - ٦٧ |
| ادريس بن عثمان بن أبي العلاء ١٦٥ | أبو معرف محمد بن عبد الحق ٩ |
| ٢٠٣ | ١١ - ١٠ |
| اسحق ٢٧ | أبو الملوك عبد الحق المريني ٩ - ٦٤ |
| الإشراف العلويون ٨٨ | أبو موسى بن الامام ١٨٠ |
| الإصبيول ٢١ | أبو موسى عيسى ١٢٦ |
| أعراب إفريقية ١٥٥ | أبو الهول بن حمزة ١٥٥ |
| الأغزاز ١٣ | أبو الهول بن يعقوب ١٦١ |
| الأكراد ٦١ | أبو الوليد اسماعيل بن محمد بسن قلاوون ١٤١ |
| أم العز ابنة محمد بن حازم العلوي ٥٨ | أبو يحيى بن أبي الصبر ٩٠ - ٩٦ |
| أهل أزغار ١٠ - ٣٢ | ٩٧ |
| أهل الأندلس ٣٢ - ٣٩ - ٤٨ | أبو يحيى بن عيسى بن علي بن أبي الطلاق ٢٠٠ |
| ١٤٢ - ١٠٩ - ١٠٠ - ٥٣ | أبو يحيى القطراني ١٩ - ٣٦ |
| أهل بجاية ١٦٣ | أبو يعقوب الأشقر ٨٩ - ٩٠ - |
| أهل بلاد الجريد ١٧٠ | ١٧٨ |
| أهل تاونت ٧٩ | الانبج ٣١ - ٥٩ |
| أهل تلمسان ٨٥ | أحمد بن عثمان بن أبي دبوس ١٥٩ |
| أهل تونس ١٠٧ | أحمد بن حمزة ١٥٩ |
| أهل الحرمين ١٤٧ | أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي ٢٠١ |
| أهل الجزيرة ٥١ - ٥٢ - ١٣٨ | أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح ١٢٩ |
| أهل سبتة ٨٢ - ١٠٠ - ١١٣ | أحمد يوسف بن مزني ٢٠٤ |
| ١١٥ - ١٦٥ | ادريس بن عبد الحق ٧ - ٢٣٩ |
| أهل طريف ٧١ | ٨٨ |
| أهل طنجة ٣٥ | |
| أهل العدوة ٣٠ - ٩٥ | |
| أهل غرناطة ١٠٩ | |
| أهل فاس ١٥ - ١٦ - ١٠٤ | |

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| بهلولة ٩ | أهل قسنطينة ١٦٣ |
| بنو أبي حفص ٢٨ - ٨٠ | أهل مالي ١٦٣ |
| ١٢٣ - ١١٦ | أهل المغرب ١١ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ |
| بنو أبي العلاء ١٢٣ - ١٣٩ | ٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ - ٨٢ |
| بنو أبي عياد بن عبد الحق ٣٠ | ٨٣ - ١٣٥ - ١٦٣ - ١٦٤ |
| بنو أبي الليل ١٦١ ٢٠٢ | أهل مكناسة ١٢ |
| بنو الاحمر ٩٨ - ١١٣ - ٣٩ | أهل ندرومة ٧٩ |
| ٢٠٢ | أوربة ١٣٩ |
| بنو ادريس بن عبد الحق ٢٣ | أولاد أبي العلاء ١٦٥ |
| ٢٩ | أولاد أبي الليل ١٥٩ - ١٧٠ |
| بنو ادريس بن يعقوب ٦٧ | أولاد جرار ١٥٢ |
| بنو أذفونس ٨٢ | أولاد سباع بن يحيى ٢٠٤ |
| بنو أشقيلولة ٤٩ - ٥٣ - ٦٨ | أولاد علي ١٣٣ |
| بنو أمية ٧٥ | أولاد القوس ١٥٩ - ١٦١ |
| بنو أيوب ٨٣ | أولاد محبوب ١٧٦ |
| بنو توجين ٢٠ - ٣٣ - ٥٤ | أولاد محمد ٢٠٤ |
| ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٦٠ | أولاد محلي ٦٧ |
| ١٦٣ - | أولاد مهلهل ١٥٥ - ١٥٩ |
| بنو تيربعين ٩٢ - ١٢٠ | ١٦١ - ١٦٢ - ٢٠٢ - ٢٠٣ |
| بنو جابر ١٨ - ٣١ - ٩٤ | الوليد بن عبد الملك ٩ |
| بنو جنم ١٥٨ | |
| بنو حكيم ١٥٩ | حرف «ب» |
| بنو حمزة بن عمر ١٥٥ - ١٦٢ | البربر ٣ - ٣٠ - ٣٦ |
| ١٧٠ | البرتقال ١٣٦ |
| بنو راشد ٣٢ | برنيس الفرنجي ٣٢ |
| بنو رحو بن عبد الحق ٢٩ | بطرة بن سانجة ١٠٨ |
| بنو زغبة ١٢٧ - ١٣٣ - ١٥٣ | بطوية ٩ |

| | | |
|-----------------------------|------------------------|--------------------------|
| ٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٠ - ١٩ | ١٢٤ - ١١٩ - ٩٧ | بنو زيان |
| ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٢ - ٢٨ | ١٧٢ - ١٥١ - ١٢٥ | |
| ٥٢ - ٤٨ - ٤٣ - ٣٩ - ٣٨ | ٧٤ | بنو سعيد |
| ٧١ - ٦٨ - ٦٦ - ٥٩ - ٥٦ - ٥٤ | ١٥٨ | بنو سليم |
| ٩١ - ٨٨ - ٨٧ - ٧٦ - ٧٢ | ١٣٣ | بنو سويد |
| ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٧ | ١٣٣ | بنو عامر |
| ١٠٦ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠٢ | ٣٠ - ٢٩ - ٢٠ | بنو عبد الحق |
| ١١٤ ١١٢ - ١٠٩ - ١٠٨ | ٧٢ - ٦٧ | |
| ١١٩ - ١١٨ - ١١٧ - | ٢٩ | بنو عبد الله بن عبد الحق |
| ١٣٦ ١٢٦ - ١٢٥ - ١٢٢ | ٢٠ - ١٦ - ٣ | بنو عبد الواد |
| ١٦١ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦ | ٤٣ - ٣٩ - ٣٦ - ٣٢ - ٢٦ | |
| ١٧٣ - ١٧٢ - ١٦٦ - ١٦٣ | ٩٢ - ٨٥ - ٨١ - ٧٦ - ٥٤ | |
| ٢٠٢ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٨٣ | ١٦٣ - ١٦٠ - ١٢٦ - ١٢٥ | |
| ٢٠٣ | ١٨٣ - ١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤ | |
| بنو مسكين ١٥٩ | ١٩١ | |
| بنو معقل ١٥٢ - ٣٦ | ١٢١ | بنو عثمان بن أبي العلاء |
| بنو واسين ١٢٦ | ١١٣ - ٩٠ - ٨٢ | بنو العزفي |
| بنو هلال ١٣٤ - ١٢٧ | ١١٥ | |
| بنو ورتاجين ٨٧ | ١٤ - ١٢ | بنو عبد المومن |
| بنو الوزير ١٨٤ - ٧٢ | ٣٤ - ٣١ - ٢٨ - ٢٧ - ١٥ | |
| بنو وطاس ٧٢ - ١٣ | ١٠٩ - ٧٧ - ٧٢ - ٤٣ | |
| بنو وقاصه ٩٩ - ٨٠ | ١٢٤ - ٧٩ - ٧٧ - ٧ | بنو عسكر |
| بنو و نكاسن ١٧٢ | ١٥٦ | |
| بنو يدلتن ١٢٥ | ٢٠٢ - ١٦٦ - ١٥٩ | بنو كعب |
| بنو يزناسن ١٣٣ - ١٣ | - ٦ - ٥ - ٤ - ٣ | بنو مرين |
| بنو يغمراسن ٩٢ | - ١١ - ١٠ - ٩ - ٨ | |
| بنو يفرن ٣ | ١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٥ - ١٣ | |

الحرّة - أخت أبي الحسن المريني

١٤٠ - ١٤٧

الحرّة - أم المعز ابنة محمد حازم

العلوى - أم السلطان يعقوب المريني

٨٩

الحرّة مريم ١٣٠

الحسن بن أبي عامر بن عبد الله بن

يعقوب المريني ٩٣

الحسن بن سليمان بن يرزيكن ١٦٤

١٦٥

الحسن بن علي بن أبي الطلاق

١٠٢

حسن بن قاسم الحسنى ٨٨

الحسن بن عمر الفودودي ٢٠٤

٢٠٥

الحشم ١٢٥

الحفصيون ٢٨ - ٢٩ - ٤٣

١١٦ ٧٢ ١٣٢ ١٣٥ ١٥٧

١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٨٤

١٨٥ - ٢٠٣

حمامة بن محمد ٤ - ٧

حمو بن يحيى العسكري ١٥٥

حميضة بن أبي نمي ٨٣

حرف «خ»

خالد بن أبي بكر الحفصي ١٥٥

خالد بن حمزة بن عمر ١٥٥

حرف «ت»

تاشفين بن أبي الحسن ١٢٠

١٣٧ - ١٦٣ - ١٨٦

تاشفين بن أبي مالك ٥٠

تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب

المريني ٣٩

تاشفين بن يعقوب الوطاسي ١٠٠

١٠١

الترك ٨٣

تسول ٦ - ٩

حرف (ث)

التعلبي المفسر ٦٤

حرف «ج»

جشم ١٧٣

الجلالقة ٤٥

جمال الدين ١٣٠

جمال الدين بن نباتة المصري ١٣١

جوان ١٠٨ - ١٠٩

حرف «ح»

الحاج أبو الزبير طلحة بن يحيى

ابن محلي ٦١

الحاج المسعود ٩٣

رضوان ١٩٢

رميثة بن أبي نمى ٨٣

رياح ٧ - ٩ - ٢٣ - ١٣٤

٢٠٢

حرف «ز»

زانا بن يحيى ٤

زكارة ٩

زناتة ٣ - ٨ - ١٠ - ١٧ - ٣٢

٣٣ - ٤٠ - ٥٤ - ٨٣ - ١٠٤

١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٦

١٨٢ - ١٨٣

زواوة ١٨٣

زيان بن أبي عياد بن عبد الحق

٤٨ - ٥٠

زيان بن عبد الحق ٩

زيان بن عمر الوطاسى ١٣٣

زيد بن فرحون ١٣٥

حرف «س»

سانجة بن سمراندة ٥٥ - ٥٦

٥٧ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣

٦٦ - ٧٠ - ١١١

سدراة ٩

سعادة الخصى ٨٥

السعود بن خرباش ١٥

السعيد - على بن المامون الموحدى -

١٥٩ - ١٦١

الخضر الغزى ٦١

الخطيب بن مرزوق ١٧٧

الخلط ٣١ - ٥٩

خليفة الاصغر ٨١ - ٩٩

خليفة بن أبي زيد ١٥٩ - ١٦١

خليفة بن وقاصه ٨١ - ١٠٠

خليفة بن عبد الله ١٥٩

خليل الصفدى ١٤٧

حرف «د»

داود بن السلطان يوسف ٧٤

دعد ٨٦

الدولة الاحمرية ١٢١

دولة الاندلس ١٢٣

دولة زناتة ١٢٥

الدولة المرينية ١٢١ - ١٥٨

١٦١ - ٢٠٥

دولة الموحدى ٢٢

«حرف ذ»

الذواودة ١٣٤ - ١٧٣ - ١٨٥

١٨٦ ٢٠٣ - ٢٠٤

ذوى حسان ٣١

حرف «ر»

الرشيد بن المامون ١٠

حرف «ط»

طلحة بن محلى ٢٤ - ٤٣

حرف «ظ»

ظافر ١٥٦

حرف «ع»

عائشة ابنة أبي بكر بن يعقوب المريني

١٣٦

عائشة ابنة أبي بكر الحفصي ١٨١

عائشة ابنة الامير أبي عطية مهلهل بن

يحيى الخلطي ١٠٣

عائشة الجزرية ١٨١

عام المشعلة ٦

عامر بن ادريس ٢٣ - ٢٨

٣٠

عامر بن فتح الله السدراتي ١١٥

١٧٧

عامر بن يحيى بن الوزير ٧٢

٧٣

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد

الحق المريني ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣

١١٤ - ١٢٥

عبد الحق بن محمد بن عبد الحق

١٦

عبد الحق بن يحيى المريني ٤ - ٥

١١ - ١٢ - ١٣ - ٧٢ - ١٢٥

سفيان ٣١ - ٥٠ - ٩٤

سليم ١٥٩ - ٢٠٢

سليمان بن داود ٢٠٠ - ٢٠٣

سليمان بن عبد الملك ٩

سليمان بن عبد الله بن السلطان يوسف

٧٤

سليمان بن عثمان بن عبد الحق ١٩

سليمان بن يرزيكن ١٠٠

سوط النساء ٢٩

سويد ١٥٦ - ١٧٢

حرف «ش»

الشبانان - ٣١

شريد الفرنجي ١٥

شعيب بن مخلوف بن أبي عثمان ٩٩

شمسي الزواوية ١٢٤

شمس الضحى ١٨١

الشيخ خليل ٣٦

حرف «ص»

صخر بن موسى ١٥٦

صناكة ١٩١

صنهاجة ٣١ - ٣٩ - ١٥١ -

١٥٧ - ١٧٩ - ١٨٥

الصنهاجيون ١٨٥

- عبد الواحد بن اللحياني ١٥٩
 عبد الواحد بن يعقوب ٣٢
 عبد الواحد السكسوي ٩٤ - ٥١
 عبد الواحد القودودي ٩٥
 العبيديون ١٥٧
 عثمان بن أبي تاشفين ١٢٥
 ١٢٦
 عثمان بن أبي العلاء أدريس بن عبد
 الحق ٩٧ - ٩٥ - ٩٢ - ٨٣
 ١٠٠ - ١٠٩ - ١٢٢ - ١٣٩
 عثمان بن عبد الحق ٧
 عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن
 يغمراسن بن زيان ١٦٥ - ١٦٣
 ١٧٢
 عثمان بن عفان ٧٥
 عثمان بن عيسى اليريناسي ١٠١
 عثمان بن يحيى بن جرار ١٦٤
 عثمان بن يعقوب ١٠٣
 عثمان بن يغمراسن ٦٨ - ٥٦
 ٦٩ - ٧٦ - ٧٩ - ٨١
 عثمان بن يوسف ١٠٣
 عدى بن هنو الهسكوري ١٠٤
 العرب ٣ - ٦ - ١١ - ٣٦ - ٣١
 ٣٢ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٥ - ٥٠ - ٦٦
 ٥٨ - ٩١ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤
 ١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٩
 ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠
- ٧ - ٨ - ٩ - ١٩ - ٢٣
 عبد الرحمن بن عبد الحق ٩
 عبد الرحمن الوطاسي ١١٤
 عبد الحق بن يعقوب الوطاسي - رحو
 ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٤
 ١٢٥
 عبد السلام الاوربي ١٩
 عبد العزيز بن أبي بكر الحفصي ١٥٥
 عبد العزيز بن محمد القديمي ٧٨
 عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاني
 ١٧٣
 عبد الكريم بن عيسى ٧٨ ٧٧
 عبد الله بن ابراهيم القودودي ١٧٧
 عبد الله بن أبي الحسن المريني ١٦٣
 عبد الله بن عبد الحق ٩
 عبد الله بن علي بن سعيد ١٦٥
 ١٨٦
 عبد الله بن مسلم الزردالي ١٩١
 عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ٢٤
 عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد
 الحق المريني ٩٧
 عبد الله السكسوي ١٩٠
 عبد الملك بن محمد العبد الوادي
 - ابن حنينة - ٣٢ - ٣٧
 عبد الملك بن مكى ١٥٦
 عبد الملك بن مروان ٩
 عبد المومن بن علي ٤ - ٢٢ - ١٧٢

| | |
|------------------------------------|--------------------------|
| علي بن زيان ٢٣ | ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠ |
| علي بن عبد الكريم ٧٨ | ١٧١ - ١٧٣ - ١٨٢ - ٢٠٢ |
| علي بن عثمان بن عبد الحق ١٨ | ٢٠٤ |
| علي بن عمر الوطاسي ١٨٥ | عرب افريقية ١٥٨ |
| علي بن غانم ١٥٢ | عرب بنى رغبة ٣٢ |
| علي بن محمد الهنتاتي ٧٧ - ٧٨ | عرب جشم ٥٠ - ٦١ - ٩٤ |
| علي بن منصور ١٥٦ | عرب الحارث ٥٠ |
| علي بن يوسف بن زريقاه ٩٧ | عرب الخلط ٢٦ - ٥٩ - ١٢٧ |
| علي بن يوسف بن يزكاتن ٧٧ - ٧٠ | عرب رياح ٧ - ١٠ - ٩٤ |
| عمر بن أبي بكر الحفصي ١٥٤ | ١٧٣ |
| ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٩ | عرب سليم ١٥٥ |
| عمر بن حمزة ١٦٢ - ١٧٠ | عرب سويد ١٢٥ - ١٥٣ - ١٧١ |
| عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق | ١٧٢ |
| ١٠١ | عرب العاصم ٣١ - ٥٩ - ٩٤ |
| عمر بن السعود بن خرباش ٧٥ | عرب معقل ٦٧ |
| عمر بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٩ | عرب المغرب الأقصى ١٥٨ |
| عمر بن عثمان ١٢٥ | عرب المنبات ٣٦ - ٣٧ |
| عمر بن علي الوطاسي ١٨٤ | العرب الهلاليون ٣ |
| عمر بن موسى الفودودي ١٠٣ | عريف بن يحيى ١٢٥ - ١٢٧ |
| عمر بن يحيى بن محلي ٤٨ - ٥٠ | ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٧٢ |
| ٦١ | العزفي ٣٨ - ٥٩ - ١٢٥ |
| عمر بن يحيى بن الوزير ٧٢ | عزونة أبنه أبي بكر ١٥٣ |
| ٧٣ | عسكر بن تاحضرت ١٣٧ - ١٣٨ |
| عمر بن يخلف الفودودي ١٠٦ | عسكر بن محمد ٤ |
| عنب الخصي ١٥٢ - ١٥٣ | عطية بن مهلهل ١٢٧ |
| عنتر بن ونزمار ١٧٢ | عطارد بن حاجب التميمي ٥٥ |
| عياد بن أبي عياد الفاطمي ٦١ | علان بن محمد ١٣٤ - ١٧٣ |

حرف «ق»

- القاضي المغيلي ١٧
قبائل بني مرين ٩٥
قبائل تازا ٨٢
قبائل الخلط ٩٤
قبائل رياح ٣٢
قبائل الريف ٨٢
قبائل زكنة ٩٤
قبائل المغرب ٣٦
قتيبة بن حمزة ١٥٩ - ١٦١
قدمية ٧٧

حرف «ك»

- كامنة ٩٩
الكموب ١٥٥
كندوز بن عثمان ١١٠

حرف «ل»

- ليدة بن أبي نسي ٨٣

حرف «م»

- المتوكل العباسي ٧٤
محمد بن أبي زكرياء العزفي ١١٤
١١٥
محمد بن أبي عمرو ١٨٤
محمد بن أبي عمران ١١٦

عيسى بن حالسن بن علي بن أبي الطلاق

٢٠٠

- عيسى بن عبد الكريم ٧٨
عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٧
عيسى بن ماساي ٣٣

حرف «غ»

- الغر ٥٩
غمارة ٣٩
غنصالو الفرنجي ١٠٢

حرف «ف»

- فارح مولى سيد الناس ١٨٤
١٨٥
فارس بن ميمون بن وردار ١٢٧
١٦٥ - ١٨٣ - ١٩٠ - ٢٠١
٢٠٣
فاطمة ابنة أبي بكر الحفصي ١١٧
١١٩ - ١٣٦ - ١٥٣
فتح الله السدراتي ٤٥
الفرنيج ١١، ٣١ - ٣٢ - ٤١ - ٤٢
٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٩٣
٩٥ - ١٠٩ - ١٦٣
فشتالة ٩
الفضل بن أبي بكر الحفصي ١٥٧
١٦٣ - ١٦١
الفنش ٤٨

- محمد بن ادريس بن عبد الحق ١٠
 ٦٧ - ٢٣
 المرابطون ٤
 محمد بن اسماعيل بن الاحمر ١٢١
 ١٣٩
 محمد بن الحكيم ١٣٢
 محمد بن اشقيلولة ٤٨
 محمد بن سلامة بن علي ١٢٥
 محمد بن سيد الناس ١١٦ ١٨٥
 محمد بن العباس بن تاحضريت ١٣٧
 محمد بن عبد القوي ٣٣ - ٤٤
 ٦٩ - ٥٤
 محمد بن عبد الله بن أبي الحسن ٦٨
 محمد بن عثمان بن يغمراسن ٨١
 محمد بن عطو الجاناتي ٥٩ - ٦٧
 محمد بن علي أبي القاسم العزفي
 ١١٥ - ١٣٥
 محمد بن علي بن يحيى ٢٧
 محمد بن علي بن محلي ٦٧
 محمد بن عمران ٥٩
 محمد بن طالب ١٦١
 محمد بن المحروق ١٢١
 محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢
 محمد بن ورزير ٣ - ٤
 محمد بن يغمراسن ٥٦ - ٦٩
 محمد بن يوسف بن هود الجذامي
 ٣٧ - ٣٨
 المخضب بن عسكر ٤
 مخلوف بن هنو الهسكوري ٩٣
 المرتضى ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
 ٢٤ - ٢٥
 مريم أم ولد أبي سعيد المرينسي
 ١٢٩
 مرين ٤ - ٦٦
 المرينيون ١٦٣ - ١٨٢ - ١٨٥
 المستنصر بالله الحفصي ٢٨ - ٢٩
 ٣٥ - ١٧٠ - ١٠٨
 مسعود بن أبي تاشفين ١٢٥ -
 ١٢٦
 مسعود بن كانون السفياني ٣٠
 ٥٤ - ٥٥
 المشرف بن أبي عبد الرحمن المغيلي
 ١٥
 المصامدة ١١ - ٢٦ - ٢٨ - ٣١
 ٣٩ - ٦٠ - ٧٧ - ٩٧ - ١٧٣
 المعتمد بن عباد ٤٩
 معقل ١٥٢
 مفراوة ٣ - ٢٠ - ١٢٤ - ١٦٠
 مكناسة ٦ - ٩ - ٣٩
 ١٦٣
 المقريزي ١٤٧
 المقرئ ١٨١
 المثلثون ١٥١
 الملك الناصر محمد بن قلاوون الطالحي

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| ١٧٥ | - ١٢٨ - ١٢٧ - ٨٤ - ٨٣ |
| المنصور الموحدى ٩٠ | ١٤٣ - ١٤٠ - ١٣١ |
| المهمندار ١٣٠ | الملند ١٣٥ - ٥٢ |
| مهلهل بن يحيى الخلطى ٦١ | منديل بن حمامه ١٢٠ |
| الموحدون ٤ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ | منديل بن محمد الكتانى ١٠٧ |
| ١١ - ١٣ - ١٥ - ١٧ - ١٨ | منسا سليمان ١٥٢ - ١٦٣ |
| ٢١ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١ | منسا موسى بن أبى بكر ١٥١ |
| ٣٧ - ٣٩ - ٤٢ - ٥٦ - ١١٧ | ١٥٢ |
| ١٢٣ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦ | المنصور بن أبى مالك المرينى ١٦٤ |
| ١٦١ | ١٦٥ |
| موسى بن أبى الفضل ١٣٣ | منصور بن ابراهيم بن الحاج ١٨٥ |
| ١٣٧ موسى بن ابراهيم اليرينانى | منصور بن الحاج خلوق اليبانيسى |
| ٨١ موسى بن السبتي | ٢٠٢ |
| ٩٣ موسى بن سعيد الصيحي | المنصور بن عبد الكريم ٧٨ |
| ١١١ موسى بن على الهنتاسى | المنصور بن عبد الواحد بن يعقوب ٧٢ |
| ١٢٥ | ٧٣ |
| ١٣٩ ميمون بن بكرون الحفصى | المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ٤ |
| ٢٠٤ ميمون بن على | ٨ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩ |
| حرف «ن» | ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ |
| الناصر ٤ | ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ |
| الناصر بن أبى الحسن المرينى ١٧١ | ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ |
| ١٧٢ | ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ |
| الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب | ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ |
| ٣٠ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٣ | ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٣ |
| ٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ | ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٨ - ٦١ |
| ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ | ٦٢ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٧ - ٨٨ |
| | ٨٩ - ١٠٧ - ١١١ - ١٤٠ |

يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين ٦٩ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٤ - ٦٣
 ٢٠٣ - ٢٠٢ ٧٤ - ٧٣ - ٧٢ - ٧١ - ٧٠
 يحيى بن عبد الله بن وانودين ٢٤ ٨٠ - ٧٩ - ٧٨ - ٧٧ - ٧٦
 يحيى بن موسى ١٢٤ - ١١٦ ٨٥ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٨١
 يحيى بن حازم العلوي ٩١ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦
 يحيى الرندامي ١٢٧ ١٢٤ - ١١٩ - ٩٩
 يزيد بن عبد الملك ٩ ١٧٨
 يعقوب بن آصناك ٩٤ - ٩٣ نونة ٤١ - ٤٠

حرف «هـ»

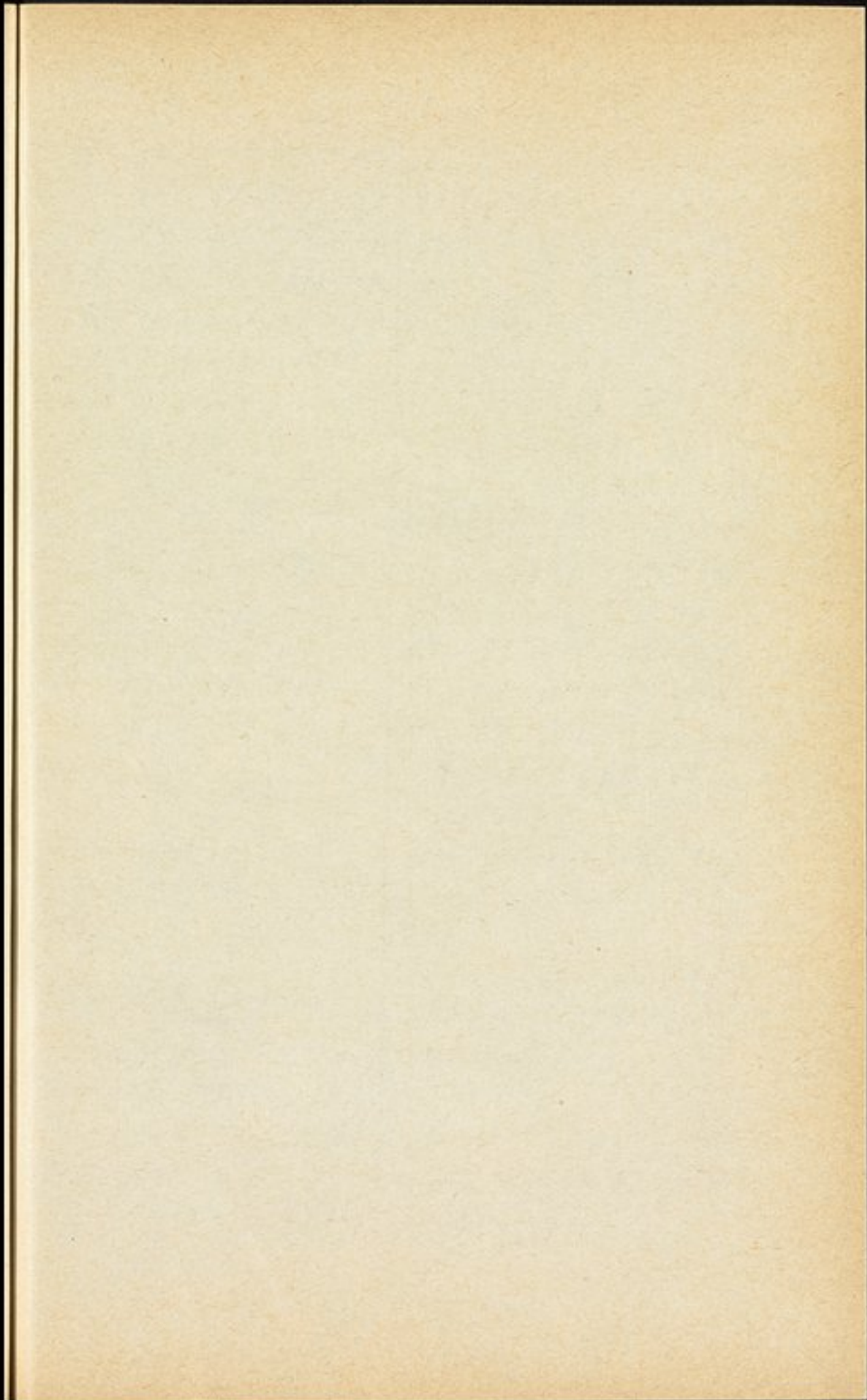
يعقوب بن علي ٢٠٣ - ٢٠٢ - ١٣٤ ٨٢ - ٥٨ هرايدة بن سانجة
 يعمراسن بن زياد ١٣ - ١٢ ٩ هشام بن عبد الملك
 ٢٣ - ٢٢ - ٢٠ - ١٩ - ١٨ هلال مولى سيد الناس ١٨٥
 ٣٣ - ٣٢ - ٣١ - ٢٦ - ٢٥ هنتاة ١٧٣ - ٧٧ - ٢٨
 ٥٠ - ٤٤ - ٣٩ - ٣٦ - ٣٥ هواره ٩

حرف (و)

اليفرنى ١٧٥ الوطاسى ١٨٥
 يوسف بن تاشفين ٧٢ - ٤٩ - ٤٨ ونزمار بن عريف يحيى ١٣٣
 يوسف بن عيسى الحنمى ٩٣ ١٧٢
 ١٠٣

حرف (ي)

يوسف بن قيطون ٦١ - ٦٠ يحناتن بن عمر بن عبد المومن ١٧٢
 يوسف بن مزني ٢٠٤ - ١٨٦ يحيى بن داود ١٨٤ - ١٨٣
 يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق ٩٥ - ٩٣
 يوسف بن يزكاسن ١٩ يحيى بن سليمان العسكري ١٢٤
 يوسف بن يعقوب ١٠٨ - ٩٩ - ٩٥ ١٥٧ - ١٥٦
 يوسف المنتصر ٥ - ٤ يحيى بن طلحة بن محلى ١٢٢



فهرس الاما كن

أصلا ٣٤ - ٣٥ - ٨٣ - ٩٦
أفراك ١١٥

أفريقية ١٢ - ٢٨ - ٣٤ - ٩٠

١١٦ - ١٢٩ - ١٣٥ - ١٥١

١٥٤ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣

١٦٤ - ١٧٠ - ١٨٣ - ١٨٤

٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤

أكرسيف ٥ - ١٣ - ٢٥

أم الربيع ٢٠

الاندلس ٤ - ٨ - ١٢ - ٢٣

٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤

٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧

٥٨ - ٦١ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٥

٨٢ - ٨٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨

١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١١٤

١١٥ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٢

١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩

١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨

١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٨٦

١٩٤ - ٢٠٠

حرف «أ»

أزمور ٢١ - ٢٥

آنفا - الدار البيضاء - ٢٣ - ٥٢

آنكاد ٣٢

أبدة ٤٠ - ٥٧

أبو سليط ١٨

أبو طويل ٩٤

أرجونة ٤٧

أرض الاندلس ١٠٨

أرض الحامة ١٥٦

أرض حمزة ١٣٣

أرض السودان ١٥١

أرض السوس ٤٥ - ١٩٠

أرض المغرب ١٨٧

أغمات ٤٣ - ٩٤

الاسكندرية ١٢٨ - ١٦١

استجة ٦١

أسطونة ٦٤

أشونة ١٣٦

أشيلية ٢٢ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٥

٤٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٣

٧٠ - ١٣٨

بلاد الاندلس ٧٥
 بلاد بطوية ٦ - ٢٠
 بلاد بنى بهلول ٩٠
 بلاد بنى توجين ٨٠
 بلاد بنى حسن ٨٤
 بلاد بنى عبد الواد ٨٠ - ١٠٥
 بلاد بنى يزناسن ٦٩ - ٧٢
 بلاد تادلا ١٨
 بلاد تامسنا ٢٢ - ٥٠ - ٩٤
 بلاد حاحة ٩٤
 بلاد درعة ٢٧ - ١٩١
 بلاد الجريد ١٥٥ - ١٥٩ - ١٧٠
 بلاد الريف ١٣ - ٦١ - ٧٢
 ٩٠
 بلاد الزاب ٣
 بلاد زناتة ١٥
 بلاد زواوة ١٧١
 بلاد السوس ٢٧ - ٥١ - ٥٨
 بلاد الصحراء ١١ - ١٢٨
 بلاد صنهاجة ٢٦ - ٩٤
 بلاد العرب ١٣٤
 بلاد العدو ٦٥
 بلاد غمارة ٣٠ - ٤٢ - ٦١
 ٩٥ - ١٢٦
 بلاد فازاز ١٠ - ١٥ - ١٧
 ٤٣
 بلاد القبلة ٥ - ١٩ - ٩٤ - ١٠٧

حرف (ب)

باب تحسنت بسجلماسة ١٨
 باب الجديد ١١٢
 باب الجيزيين بفاس ١٩
 باب الشريعة بتازا ٦٧
 باب الشريفة بفاسن ١٧
 باب الشريفة بمراكش ٤٣
 باب الرب بمراكش ٩٤
 باب الفتوح ٧٤
 باديس ٤٢ - ٥٢
 بحر الزقاق ٧٠ - ٧١ - ١٣٨
 بجاية ٨٠ - ١١٩ - ١٣٥
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣
 ١٧١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠ - ٢٠١
 البرت ٥٧
 برج دار الحرة عزونة ٩٤
 برشيك ٨٠
 بسانط الفرستينة ١٦
 بستان المصار ٨٩
 بسكره ١٧١ - ١٨٣ - ٢٠٤
 بسيط انكاد ١٨٢
 بسيط وجدة ١٦
 البطحاء ٨٠
 بطوية ١٩
 بقداد ٣٤

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| ٨٠ تافر جينت | ١١٩ - ١١٨ |
| ٦٤ - ٢٤ - ٧ تافر طاست | بلاد مالي ١٥٢ |
| ٢٠ تافر يست | البلاد المراكشية ١٢٤ |
| ٨٠ تالموت | بلاد المشرق ٨٤ |
| ١٧٣ تامدغوست | بلاد مغراوة ٨٠ |
| ٩٤ تامزوارت | بلاد المغرب ٢٠ - ١١ - ١٠ |
| ٨٠ تامزردكت | ١٠٤ ٥٣ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٤ |
| ٥٠ - ٣١ تامسنا | ١٧٦ |
| ١٠٧ تامنطيت | بلاد النخيل ٣ |
| ١٢٠ - ٧٧ تاويرت | بلاد الهبط ٩٤ - ٣٢ - ١٠ |
| ٩٧ - ٩٦ تطاوين | بلاد مسكورة ٦٧ |
| ٨٣ تكساس | البلد الجديد بتلمسان ١٢٤ |
| - ١٣ - ١٢ - ٣ تلمسان | البلد الجديد - فاس الجديد ١٠٦ |
| - ٣٢ - ٣٠ - ٢٥ - ١٦ | بلد الدمنة ٩٥ |
| - ٥٤ - ٣٩ - ٣٣ | بلد مالي ١٥٢ |
| ٧٤ - ٧٣ - ٧٠ - ٦٩ - ٦٧ | بونة ١٥٣ - ١٣٥ - ١١٦ |
| ٨٠ - ٧٩ - ٧٨ - ٧٧ - ٧٦ | ١٧٠ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٥٧ |
| ٩١ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٨١ | بياسة ٥٧ - ٤٠ |
| ١٠٤ - ١٠٢ - ٩٥ - ٩٣ - ٩٢ | |
| ١١٧ - ١١٦ - ١٠٨ - ١٠٥ | حرف (ت) |
| ١٢٤ - ١٢٣ - ١٢٠ - ١١٩ | |
| ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٦ | تازة ٢٠ - ١٩ - ١٤ - ١١ |
| ١٥٥ - ١٥٣ - ١٣٣ - ١٣٢ | ٧٠ - ٦٩ - ٥٤ - ٢٢ - ٢١ |
| ١٦٥ - ١٦٤ - ١٦٣ - ١٦٢ | ١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٣ - ٩٥ |
| ١٨٣ ١٨٢ ١٨٠ ١٧٨ ١٧١ | ١٧١ - ١٦٥ - ١٠٦ |
| ١٩٠ - ١٨٧ - ١٨٦ - ١٨٤ | تادلا ٢٦ |
| ٢٠٤ - ١٩١ | تاسالت ١٢٤ ١٢٠ - ١١٩ - ٨٥ |

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| جبال طرابلس ٣ | تلمسان الجديدة ١٧٨ |
| جبال بهلولة ١٧ | تلمطيت ١٥٢ |
| جبال غمارة ٢٣ - ٧٤ - ٩٢ | تبكنو ١٥٢ |
| ٩٥ | تس ٨٠ - ١٢٤ |
| جبال غياتة ١١ | توزر ١٥٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ٢٠٢ |
| جبال المصامدة ١٧٣ - ١٩٠ | تونس ٢٨ - ٣٥ - ٥٦ - ٦١ - ٨٠ |
| ١٩١ | ١١٦ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٣٣ |
| جبال هسكورة ٩٣ | ١٣٥ - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤ |
| جبال هنتاتة ١٧٣ - ١٧٤ | ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩ |
| ١٨٢ | ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ |
| جبل ورغة ٦٧ | ١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ |
| جبل آصرو ٤٣ | ١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٠٢ |
| جبل اوراس ٣ | ٢٠٣ |
| جبل أوراين ٢٠٤ | تشمش ٣١ |
| جبل بيونس ٧٥ | تيكرارين ١٠٧ |
| جبل تينملل ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ | التينة ١٠٦ |
| ٧٧ | تينملل ٢٧ |
| جبل جيلير ٢٤ | |
| جبل درن ٦٧ - ١١١ - ١٧٣ | حرف (ج) |
| جبل راشد ١٧٢ | جامع الاندلس ١١٢ |
| جبل زالغ ١٧٩ | جامع بن يوسف ١٧٥ |
| جبل زرهون ١٢ | جامع تازة ٧٥ |
| جبل سكسيوة ٥٠ - ١٩٠ | جامع القرويين ٩٠ - ١١٢ |
| جبل طنارق - جبل الفتح - ٥١ | ١٧٦ |
| ٥٢ - ١٠٩ - ١٢١ - ١٢٢ | جامع المنصور بمراكش ١٧٤ |
| ١٢٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٦ | جبال بني يزناسن ١٠٥ |
| ١٥٠ - ٢٠٣ | جبال الشرف ٤٦ - ٦١ |

| | |
|------------------------|---------------------------|
| ٤٦ حصون الوادى الكبير | ٣٥ جبل علوان |
| ٧١ حصن اسطبونة | ١٧٨ جبل الكندرتين |
| ٤٧ حصن بركونة | ١٢٥ - ٥٤ - ٤٥ جبل وانشريس |
| ٧٠ حصن بجير | ١٧٢ |
| ٤٥ حصن بلمة | ١٧٠ - ١٣٥ جربة |
| ٤٧ حصن بنى بشير | ٢٠٣ الجريد |
| ٧٢ - ١٣ - ٦ حصن تازوطا | ١٧١ - ١٧٠ - ٨٠ الجزائر |
| ١٨٤ ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ | ١٧٣ |
| ٤٦ حصن جليانة | الجزيرة الاندلسية ٥٣ |
| ٣٨ حصن الحمراء | الجزيرة الخضراء ٣٩ - ٤٠ - |
| ٦٤ حصن ذكوان | ٤٨ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٢ - ٤١ |
| ٤٦ حصن روطه | ٥٦ - ٥٥ - ٥٢ - ٥٠ - ٤٩ |
| ٥٩ حصن ركش | ٦٥ - ٦٤ - ٦٢ - ٥٨ - ٥٧ |
| ٤٧ حصن الزمراء | - ١٠١ - ٧٥ - ٧٠ - ٦٦ |
| ٧٥ حصن سطبونة | ١٣٧ - ١٢٢ - ١٠٧ - ١٠٤ |
| ٤٦ حصن شلوقة | ١٤٩ - ١٤٥ - ١٣٩ - ١٣٨ |
| ٦٣ حصن الصخرات | ١٨٠ |
| ٤٧ حصن فركونة | جزيرة كبتور ٦١ |
| ٤٦ حصن قطنيانة | ٧٤ جنوة |
| ٥٩ حصن القناطر | الجيزة ١٣٠ |
| ٤٦ حصن القليعة | ٥٦ - ٤٧ جيان |
| ٩٥ - ٢٣ حصن علودان | |
| ٤٦ حصن غليانة | |
| ٦٠ حصن مرتقوط | |
| - ٤٠ حصن المدور | |
| ٧٠ حصن بجير | |
| | حرف (ح) |
| | ١٧٠ الحامة |
| | ١٥٠ - ١٢٧ الحجاز |
| | ١٢٧ الحرم الشريف |
| | ١٤ - ١٣ حصون ملوية |

٢٠٤ - ٢٠٢

الزقاق ٧١ - ٧٠ - ٥٢ - ٤٩

١٣٦ - ١٣٥

الزيتون - بناحية فاس - ١١٨

١١٩

حرف [س]

ساحل السوس ١٩٠ - ١٨٧

الساقية الحمراء ٥٨

ساقية غبولة ٢٤

سبنة ٥١ - ٣٨ - ٣٥ - ٢٤ - ٢٢

٩٠ - ٨٣ - ٧٥ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩

١٠٠ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٤

١٢٥ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٣

١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٥ - ١٣٤

٢٠٢ - ١٦٦ - ١٤٤

سبو ١٠٢

سجلماصة ١٩ - ١٨ - ٥ - ٣

٦٧ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٢٠

١١٠ - ١٠٧ - ٨٩ - ٨٨

١٢٣ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١١

١٧٣ - ١٧٢

١٧٣

سطح الجعاب ١٥٥

٢٢ - ٢١ - ١٧ - ٣ سلا

١٧٥ - ٥٢ - ٢٩ - ٢٤ - ٢٣

٢٠٦ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٧٦

حرف (د)

الدار البيضاء - بفاس الجديد ١٠٧

دار الصناعة بسلا ٢٢

درعة ١١٠ - ٣٦ - ١٩ - ١٨

١٩١ - ١٢٠

الديار المصرية ١٢٨

حرف (ذ)

ذراع الصابون ٦٩

حرف (ر)

الرابطة ١٤

رباط تازا ٣٣ - ٢٦ - ١٣ - ٦

١٠٤ - ٦٧ - ٤٥

رباط الفتح ٢٢ - ٢١ - ٨

٦٥ - ٦١ - ٥٨ - ٤٥ - ٢٤

١٠٤ - ٩٤

رباط المنستير ١٥٧

رندة ٧٥ - ٦٦ - ٤٥ - ٤٠

١٠٧ - ١٠٤ - ١٠١

روض المصاره ١٥١ - ١٢٠

روطة ٥٩

الريف ٩١ - ٦

حرف (ز)

الزباب ١٨٦ - ١٨٣ - ١٥٥

صقيلة ١٦٦

حرف [ض]

ضواحي افريقية ٣

حرف [ط]

طرابلس ١٣٥ - ١٥٥

طريف ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ - ٥٨

٦١ - ٦٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤

٧٥ - ١٠٩ - ١٣٦ - ١٣٧

١٣٨ - ١٥٣ - ١٦٣ - ١٨١

طليلطة ٥٦ - ٥٧ - ١٠٨

طنجة ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١

٥٢ - ٥٣ - ٥٨ - ٦١ - ٦٦

٧٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١١٥

١٥٣

حرف [ع]

العدوة ٤٢ - ١٥٧

عدوة الاندلس ١٩ - ١٥٧

١٧٦

العدوتان ٩٤ - ١٢٦ - ١٤٠

العدوة المغربية ٣١ - ٦٠

العرائش ٣١ - ٨٣

عرفة ١٥٢

عقبة الجزائرين بفاس ١٧٩

علودان ٩٧

سواحل المغرب ١٣٥ - ١٣٧

سور الاقواس بسلا ١٧٥

السودان ١٢٩ - ١٥١

السوس ٥٤ - ١٢٦

السوس الأقصى ٣ - ٣٢ - ١٥٧

سوسة ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢

سوق العطارين بفاس ١٧٩

سيجوم ١٥٦ - ١٥٩

حرف [ش]

شالة ٥٨ - ٦٥ - ٨٥ - ٩٧

١٧٤ - ١٨١ - ١٨٢

الشام ١٢٧ - ١٥٧

شدرونة ٤٧

الشرق ١٥٨ - ١٨٣

شرشال ٨٠

شريس ٤٢ - ٤٦ - ٥٧ - ٥٩

٦٠ - ٦١ - ٧٠

حرف [ص]

صبرة ٧٤ - ٩٠ - ١١٧

الصحراء ٣ - ١٠٧ - ١١٠

١٧٢

صحراء درعة ٦٧

صحراء الزاب ٤

صخرة أبي بياش ١١

صخرة عباد ٥٥

١٧٢ - ١٦٥ - ١٥٠ - ١٤٦

- ١٧٧ - ١٧٦ - ١٧٤١٧١

١٩٢ - ١٨٢ - ١٨٠ - ٧٩

٢٠٦ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ٢٠١

١١١ - ١٠٧ فاس الجديد

١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤ - ١٢٤

٢٠١

٩٤ فحص ازغار

١٣٨ - ٤٢ فرضة المجاز

حرف [ق]

١٥٦ - ١٥٥ - ١٣٥ قابس

٢٠٢ - ١٧٠

٨٤ القاهرة

١٩٠ القاهرة بالسوس

٩٠ قبة مكناسة الزيتون

١٦٤ قبة الملعب

١٣٠ القرافة

١٧٦ قرطاجنة

٧٥ - ٥٦ - ٤٧ - ٤٦ - ٣٧ قرطبة

٦١ - ٦٠ - ٥٩ قرمونة

٢٠٦ القرويين

٥٠ قرية مكول

١٦٢ - ١٥٦ - ١٥٥ فسطنينة

٢٠١ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٦٣

٢٠٤ ٢٠٣ - ٢٠٢

٨٢ قشتالة

٥٨ - ٢١ عين غبولة

٧٢ - ٦٩ - ١٣ عين الصفا

١٧٦ عيون البركة

حرف [غ]

٢٢ غابة المعمورة

٣ غدامس

١٣٦ غرب الاندلس

٥٣ - ٥٢ - ٤٨ - ٣٨ غرناطة

١١٠ - ١٠٩ - ٨٢ - ٦٧

١٣٧ - ١٣٦ ١٢٣ - ١١٣

١٩٦ - ١٩١ ١٨٨ - ١٦٧

١١٧ غساسة

حرف [ف]

١٣ - ١١ - ١٠ - ٨ - ٣ فاس

٢٠ - ١٩ - ١٨١٧ - ١٥ - ١٤

٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ٢٢ - ٢١

٣٦ ٣٥ - ٣٣ - ٣١ - ٢٧

٥٢ - ٤٤ - ٤٣ - ٤٢ - ٣٨

٦٧ - ٦٦ - ٥٨ - ٥٤ - ٥٣

٧٩ - ٧٦ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٩

٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٠

١٠٣ - ١٠١ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٥

١١٠ ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤

١١٤ - ١١٣ - ١١٢ - ١١١

١٣٠ - ١٢٤ - ١٢٠ - ١١٨

القيروان ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
كلدمان ٢٠

حرف [ك]

كلدمان ٢٠
الكندرطان ٨٩

حرف [ل]

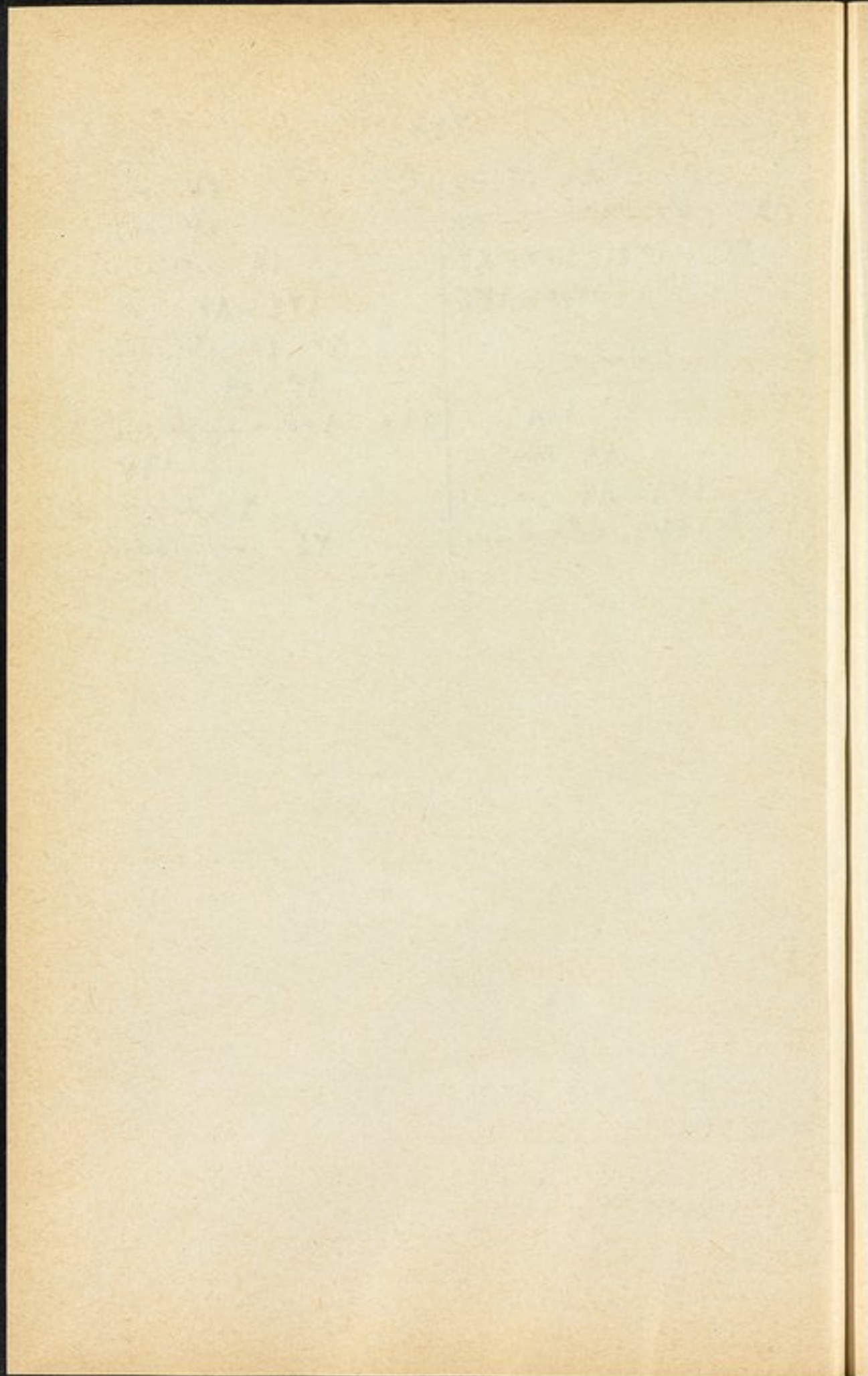
لبلة ٦١
لمدية ٨٠ - ١٢٤ - ١٣٣ -
١٨٣ - ١٨٤

حرف [م]

مازونة ٨٠
مالي ١٢٩
مالقة ٤٠ - ٤٨ - ٤٩
٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٧ - ٦١ -
٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ٧٣ - ٨٢
١١٣
مالي ١٢٩
مجربط ٤٦
مدرسة باب حسين بسلا ١٧٥
مدرسة الرخام - المدرسة المصباحية
بفاس ١٧٦
مدرسة الصهريج بفاس ١٧٦
مدرسة العطارين بفاس ١١٢

القصبات ٥٤ - ٨٠
القصة - بتاوين ٨٩
القصة (بتونس) ١٥٧ ١٦١
١٧٠ - ١٨٥ - ٢٠٢
القصة (بسبته) ١١٥
القصة - بطنجة - ٦٧
القصة بفاس ١٤ - ١٥ - ٨٩ -
١٦٤
القصة (بمراكش) ٢٧ - ١٧٤
القصة (بمكناس) ٤٤
القصر ٦٨ - ٩٦ - ٩٩
قصر الاجم ١٥٧
قصر كرامة ١٠ - ٢٠ - ٢٣ -
٨٣ - ٩٥
قصر المجاز ٣٨ - ٣٩ - ٤٥
٥٥ - ٥٨ - ٦٧ - ٧٠ - ٨٩
قصر مصمودة ٤٢ ٥٥
قصور نوات ٢٠٧
القطر المغربي ٤
قفصة ١٥٤ - ١٧٠
قلعة بني سعيد ١٣٧
قلعة تازوطا ١٣
قلعة تاغزوت ١٢٥
قلعة تامزدكت ١٣
قمارش ٤٠
قنطرة ماريج ٨٩
قنطرة وادي النجاة ٨٩

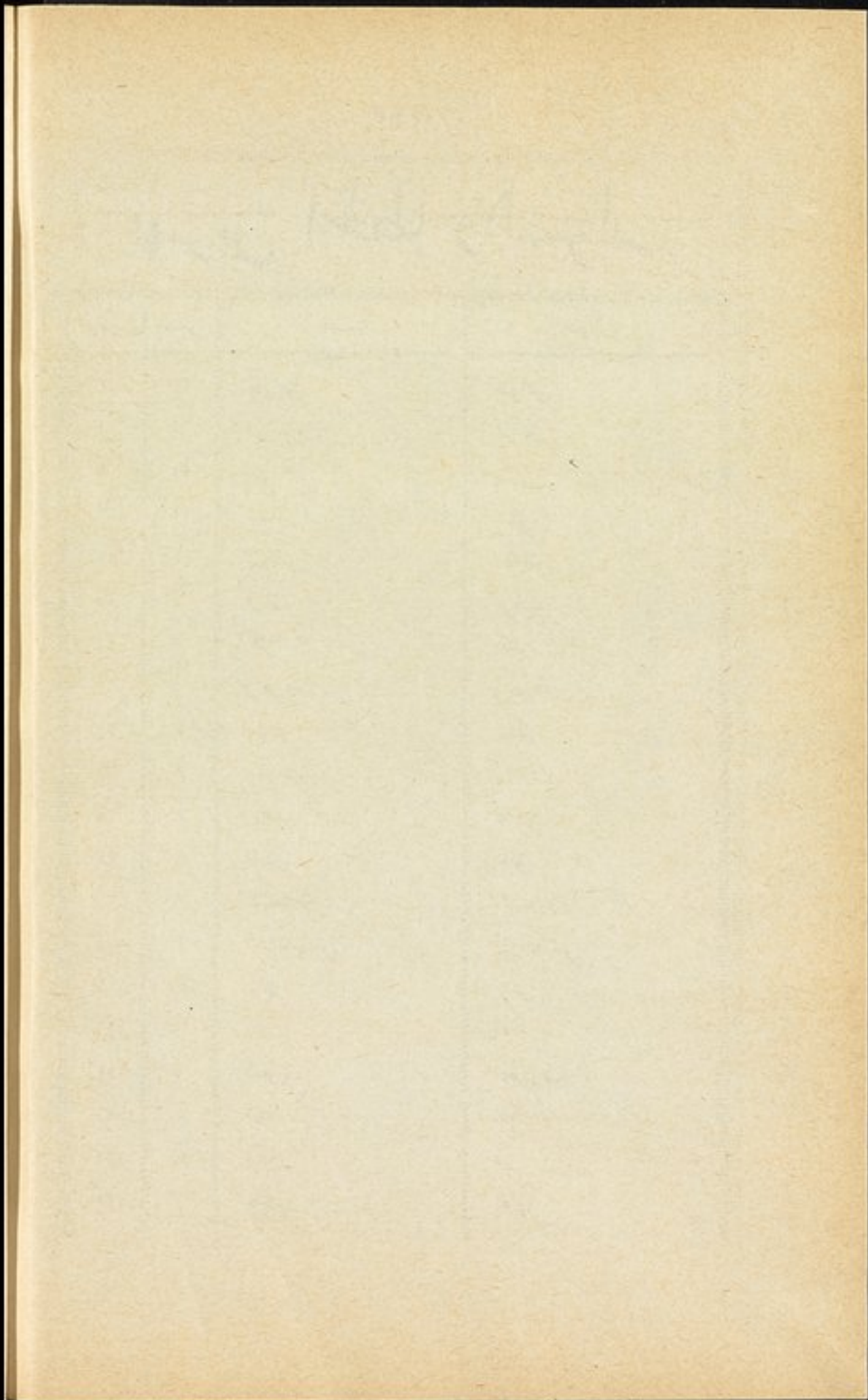
| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| المسجد الجامع بتازا ٩٠ | المدرسة العظمى بطالعة سلا ١٧٥ |
| المسجد الجامع بفاس الجديد ٨٩ | المدرسة العظمى بمراكش ١٧٥ |
| مسجد الفتح ١٣٠ | المدرسة العنانية بفاس ٢٠٦ |
| مسجد القرويين ١١٣ | المدينة ١٣٠ - ١٣١ |
| مسراته ١٥٧ | المدينة البيضاء - فاس الجديد ٤٤ |
| مشروع كتابة ٩٤ | ٢٠٦ - ٨٩ - ٤٥ |
| المشرق ١٢٧ - ١٢٨ - ١٦٤ | مدينة شريش ٤٦ |
| - ١٧٥ | مديونة ٩ |
| مصر ٨٣ - ٨٤ - ٩٠ - ١٢٧ | مراكش ٥ - ١٠ - ١٢ - ١٥ |
| ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٤٠ | ١٧ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ |
| ١٥٧ | ٢٩ - ٣١ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٢ |
| المعاهد الشريفة ١٢٧ | ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ - |
| معدن العوام ١٥ | ٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ |
| مقل ٣١ | ٥٨ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٧ |
| المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ | ٨٥ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ |
| ١٠ - ١٥ - ١٦ - ٢٠ - ٢١ - | ٩٤ - ٩٥ - ١٠٧ - ١١٠ - |
| ٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١ | ١١١ - ١٢٠ - ١٧٢ - ١٧٣ |
| ٣٣ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٤ | ١٧٤ - ٢٠١ |
| ٤٥ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٨ - | مرس بجاية ١٧٥ |
| ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ | مرسى غساسة ٧٣ - ١١٦ |
| ٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٠ | مرسى سبتة ١٣٦ |
| ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ | مرسى المرية ١٦٨ |
| ٩٠ - ٩٣ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠١ | مريالة ٦٦ |
| ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ | مرسى المنكب ١٦٨ |
| ١١٣ - ١١٤ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤ | المرية ٥١ - ١٧٦ |
| ١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٨ - ١٤٧ | مرقا سبتة ٥٢ - ١٧٦ |
| ١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ | مستغانم ٨٥ |



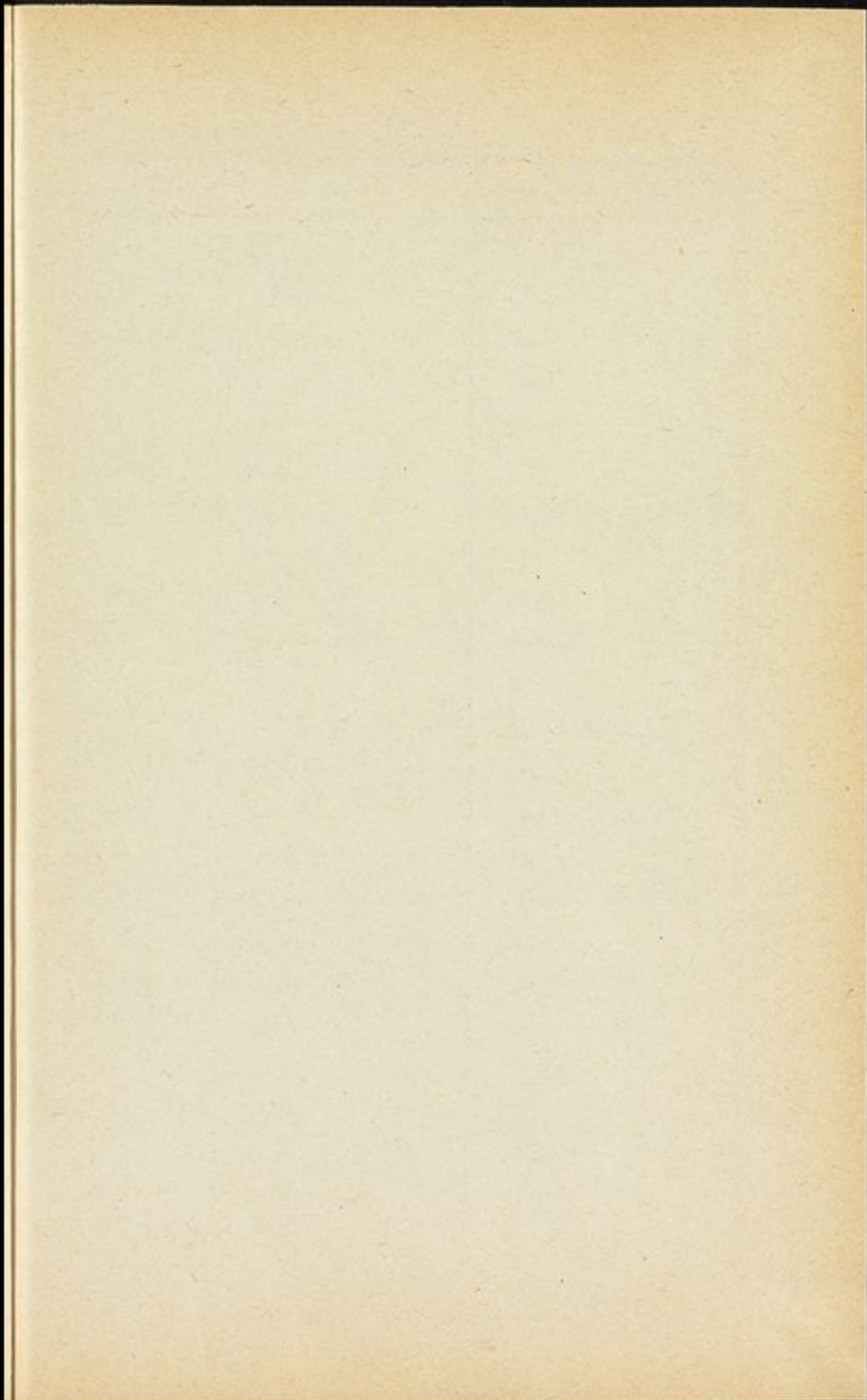
| | |
|----------------------|-----------------------|
| وانشريس ٨٠ | ودغفو ٢٧ |
| وجدة ٧٦ - ٧٧ - ٧٩ | وطاط ١٣ |
| ٩٢ - ١٠٥ - ١٢٤ - ١٣٣ | وطاط الحاح ١٩ |
| ١٣٤ - ١٥٥ | وهران ٨٠ - ١٢٤ |
| حرف [ي] | الوادي الكبير ٤٥ - ٦٠ |
| يثر ب ١٥٨ | وادي لك ٥٩ - ٦٣ |
| ينبع الحجاز ٨٨ | وادي ملوية ١٠٥ - ١١٠ |
| وادي فاس ٨٩ - ١٧٦ | ١١٧ |
| وادي قصر كامة ١٧٦ | وادي مكور ٦ |
| | واقعة أم الرجلين ٢٤ |

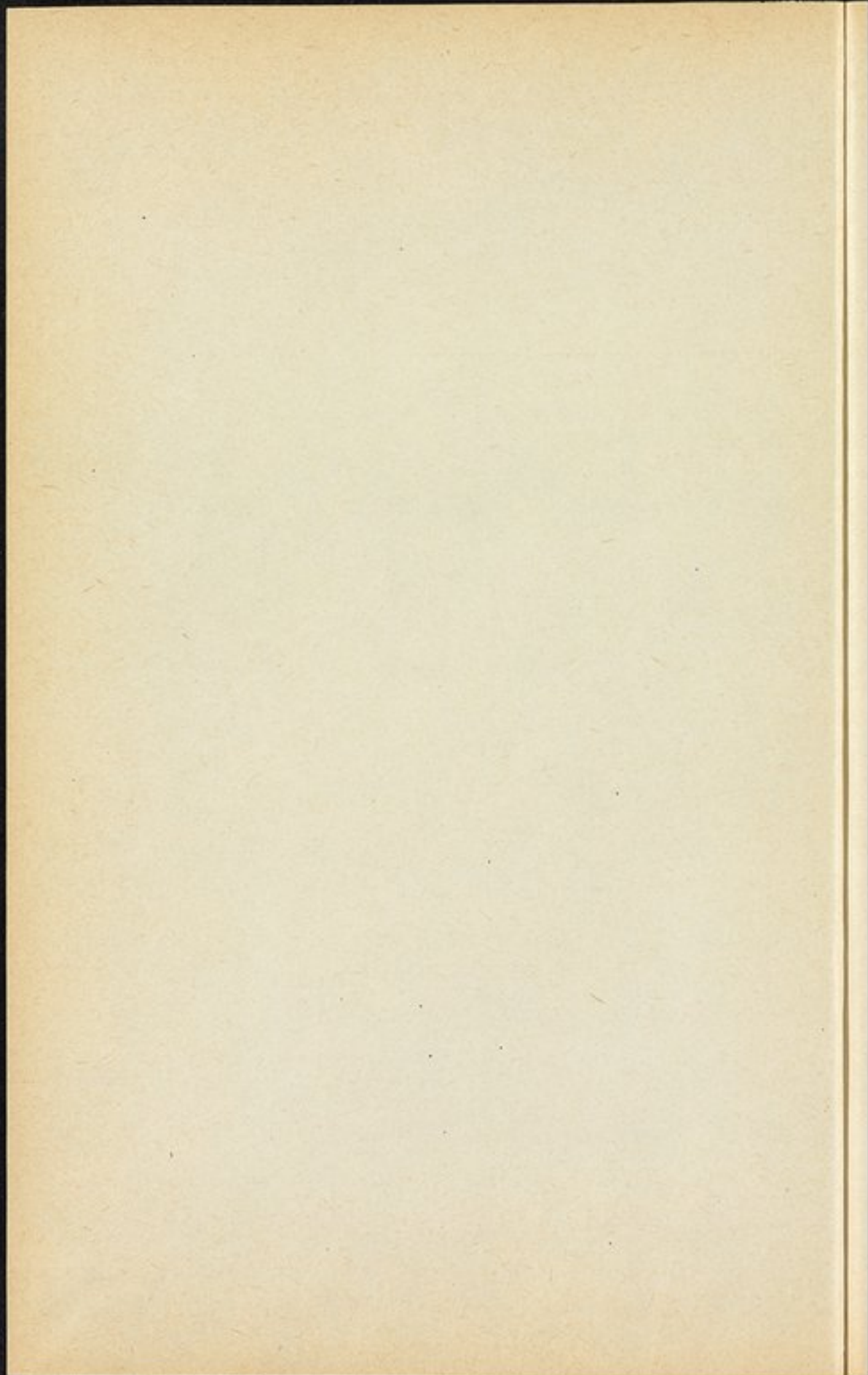
فهرس الخطأ والصواب

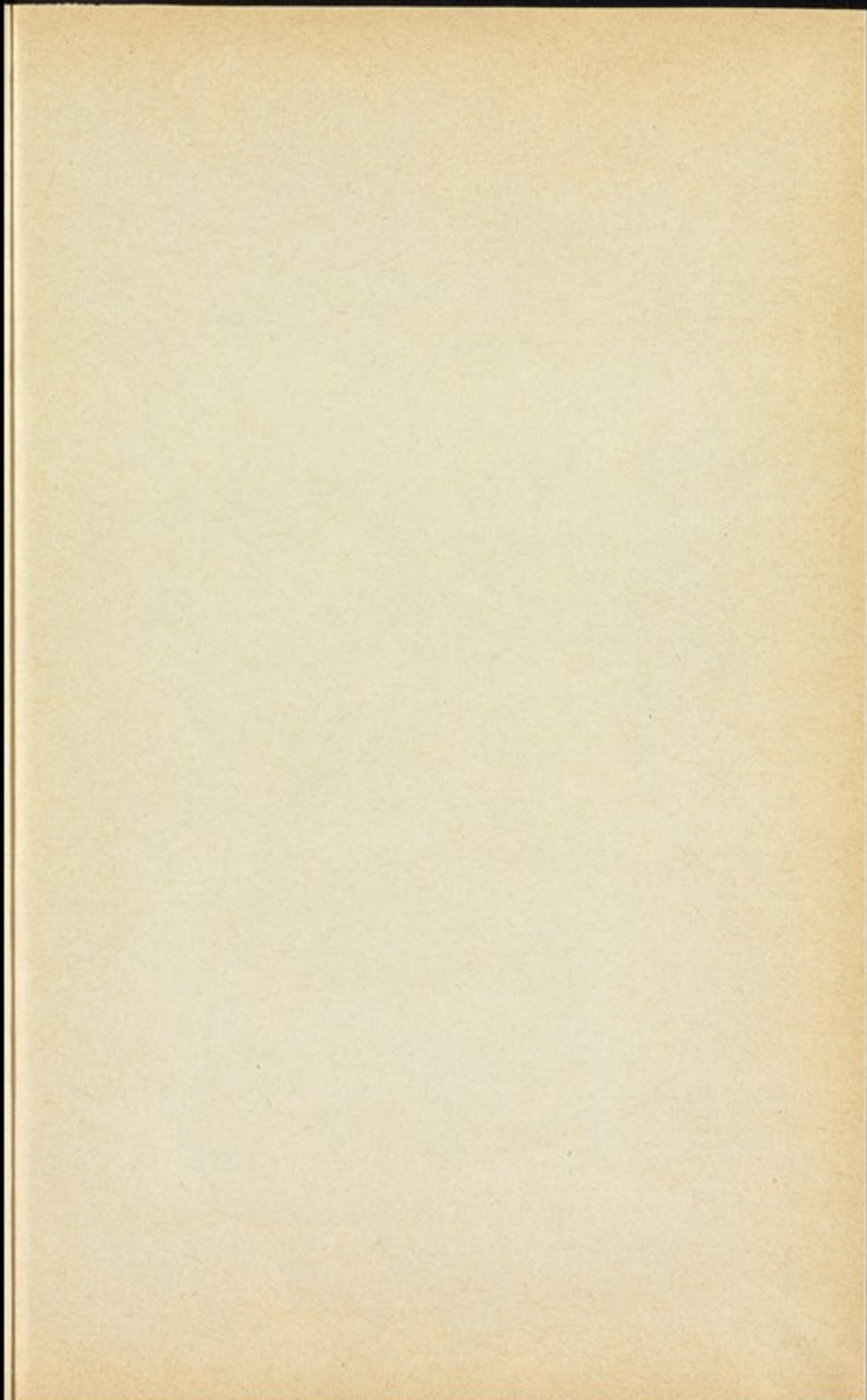
| صواب | خطا | سطر | صفحة |
|-----------|------------|-----|------|
| ظواعن | ظواعن | ٢٢ | ٣ |
| تيربعين | تيربعين | ٣ | ٤ |
| بنسى | نسى | ٢٤ | ٧ |
| شقى | شفا | ١٣ | ٩ |
| انجاش | انجاش | ٤ | ١٦ |
| فراره | فراره | ٥ | ٢٥ |
| ككرة | ككر | ٢٣ | ٤١ |
| وحره | وحره | ٦ | ٦٠ |
| لحقوا | لحقو | ٧ | ٧٢ |
| والبعث | والبعث | ٨ | ٧٧ |
| غاضهم | عاضهم | ٨ | ٧٧ |
| لحق | الحق | ٦ | ٨٣ |
| السلطان | السلطان | ٨ | ١٠٠ |
| أبا الحسن | أبا الحسين | ٣ | ١٠٥ |
| يوغر | يوغر | ١٧ | ١٠٧ |
| أغد | أغد | ١٦ | ١١٠ |
| المعروف | المعرف | ٥ | ١١٣ |
| اغذ | أغد | ١٠ | ١٢٠ |
| قبل | وقبل | ٢١ | ١٢١ |
| نقلهم | نقلهم | ٧ | ١٢٢ |

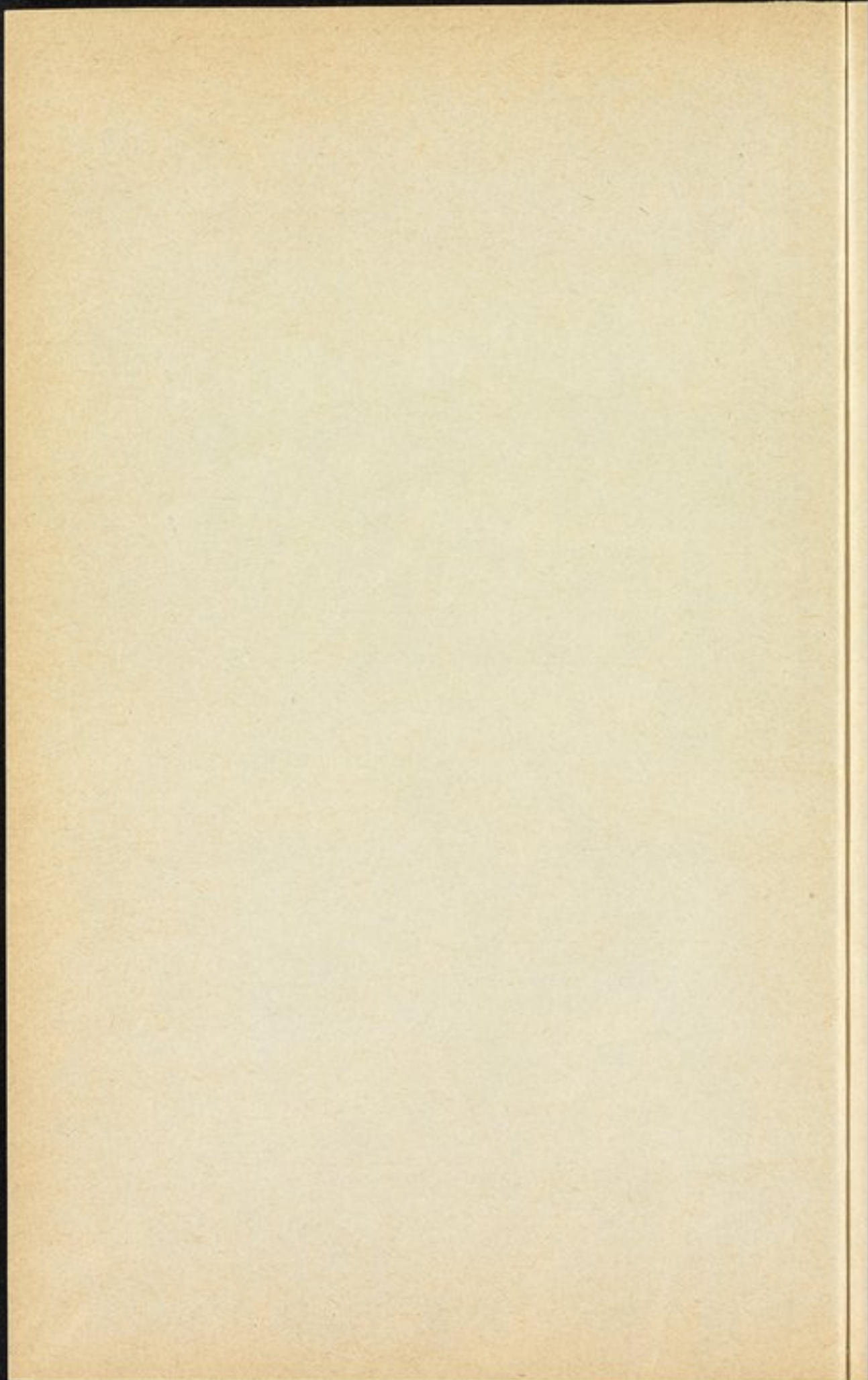


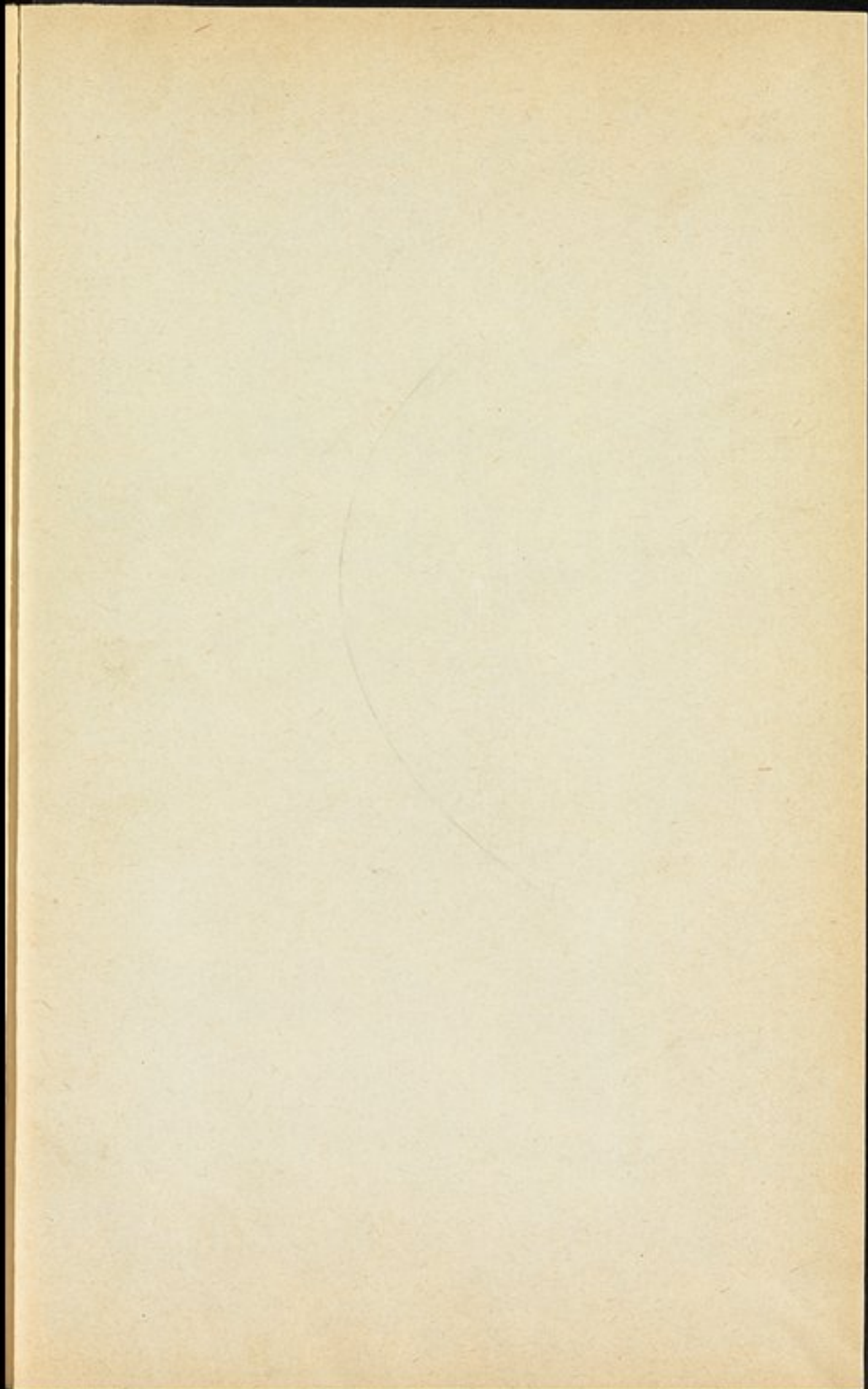
| صواب | خطا | سطر | صفحة |
|-----------------|---------------|-----|------|
| عشرة | شر | ٢٢ | ١٢٥ |
| وكفت | وكفت | ٢٦ | ١٢٥ |
| أيضا | أيضا | ٦ | ١٤٠ |
| رحمة | رحمه | ٢١ | ١٤١ |
| وقفناه | وقفه | ٤ | ١٤٤ |
| ازالة | ازله | ٩ | ١٤٩ |
| شق | سي | ١٣ | ١٤٩ |
| فتح | فتح | ١١ | ١٥٠ |
| قاضي | قاضي | ١٣ | ١٥٤ |
| بقسطنطينية | بقسطنطينية | ٢٠ | ١٥٥ |
| كبر | كر | ١ | ١٦٦ |
| كان هذا السلطان | كان السلطان | ١٩ | ١٨١ |
| وعشيرته | وعشيرته | ١٩ | ١٨١ |
| سعيد | سعا | ٢١ | ١٨٢ |
| رفعوا لسماء | رافعوا السماء | ١١ | ١٨٨ |
| واوضحوا لسيل | وأوضحوا السيل | ١١ | ٨٨ |
| أنبيائه | أنبائه | ٨ | ١٩٦ |
| بمعتبر | معتبر | ١١ | ١٩٧ |
| ينظر | بنظر | ٢١ | ١٩٧ |
| لم | لما | ٢٣ | ١٩٧ |
| ومدار | ومضار | ٩ | ١٩٩ |
| وذلك | ذلك | ٢٦ | ٢٠٦ |

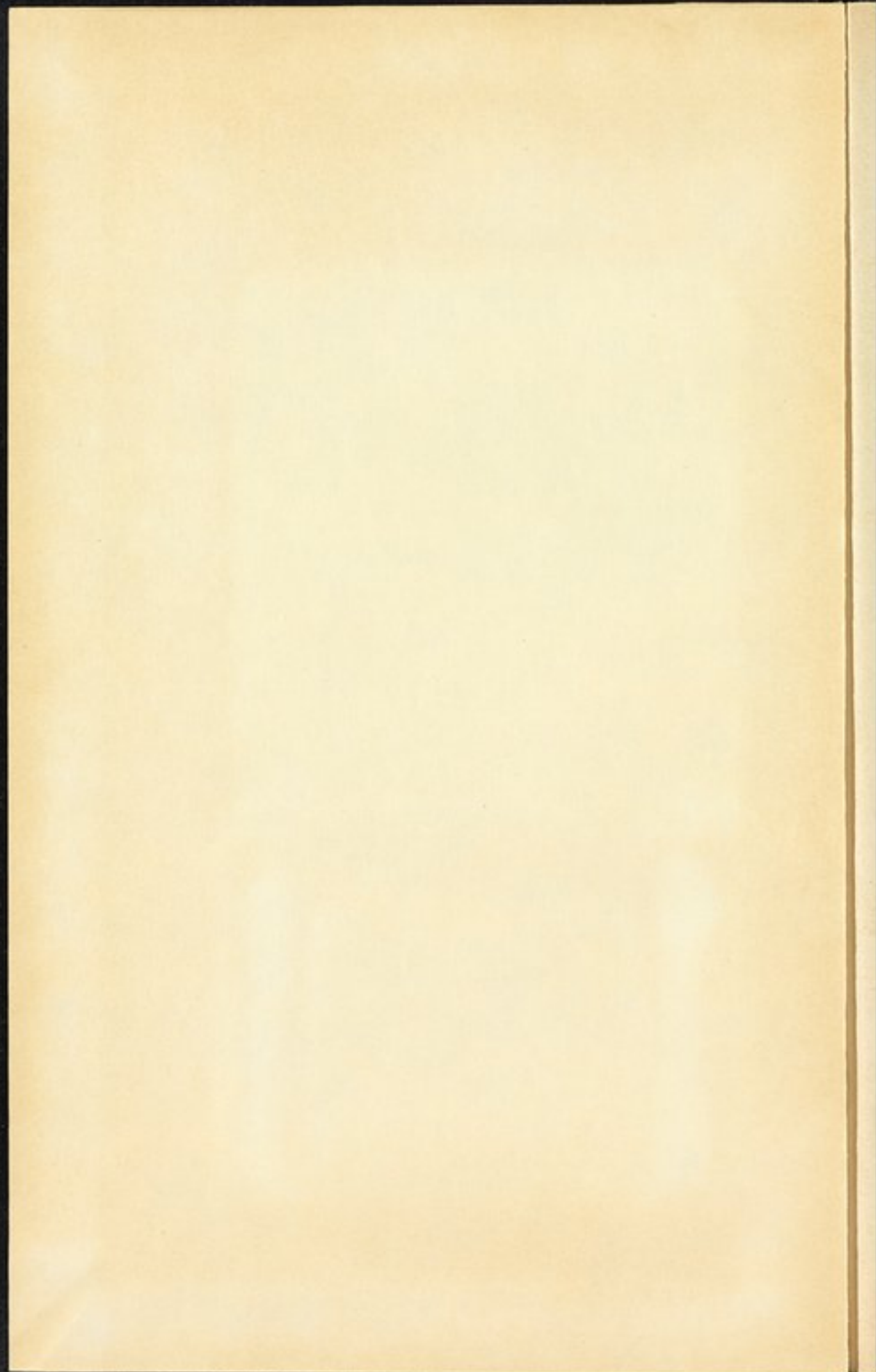


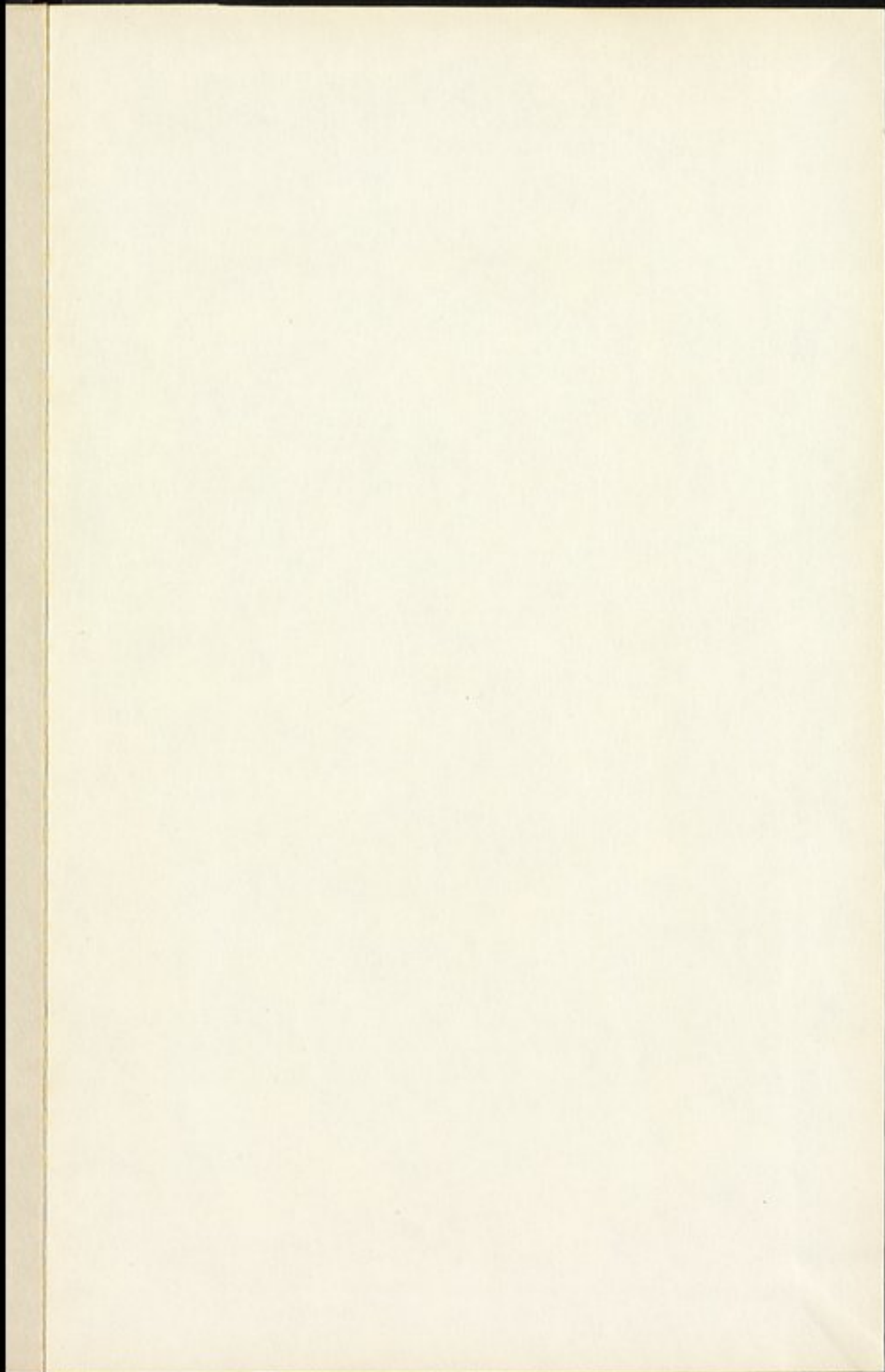


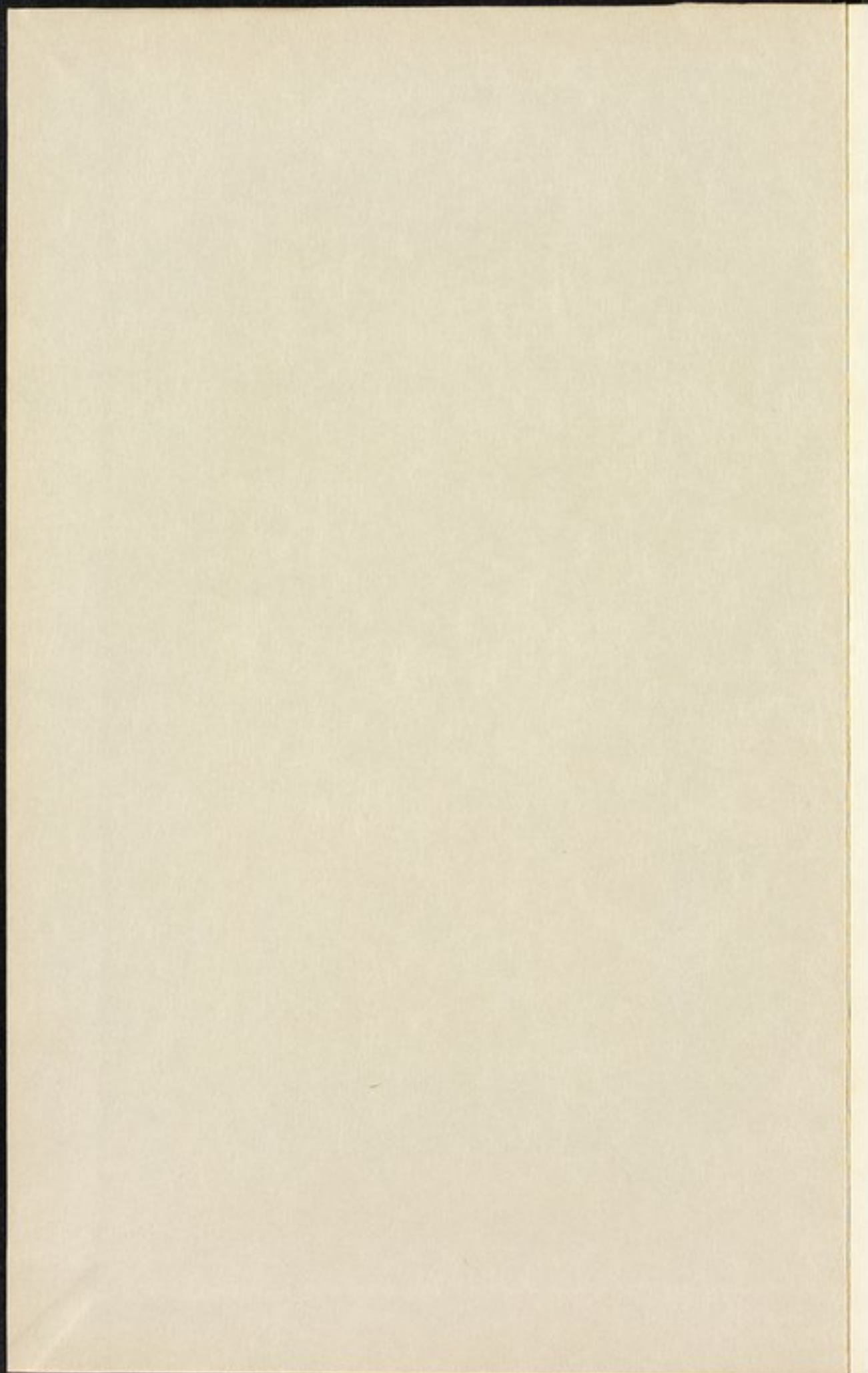












DUE DATE

~~GL/RSC~~ JAN 27 1999

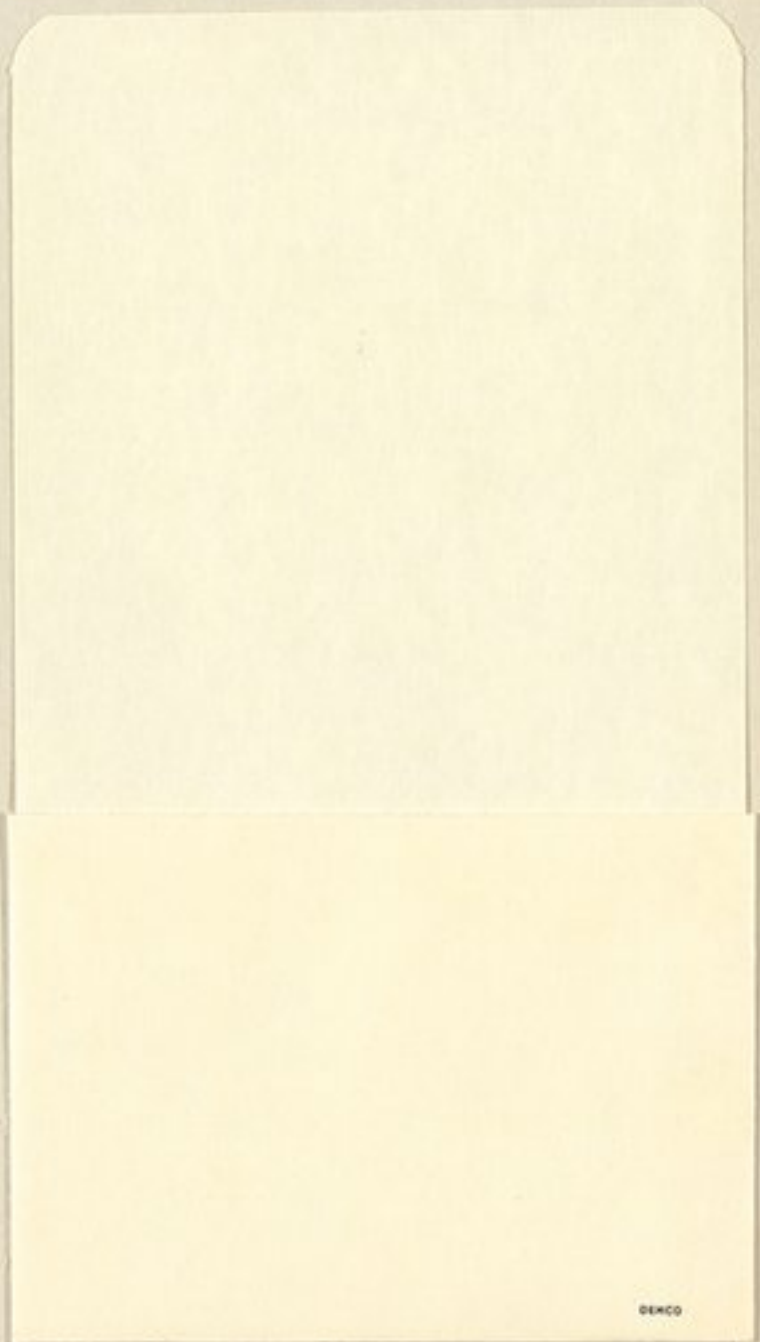
~~GLX~~ MAR 20 1995

GL/RSC MAR 22 1995

201-6503

Printed
in USA

14012979
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0114012979
BUTLER STACKS



DEXCO

FEB 14 1978

SEP 7 1967

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU17934702